سفر الأوبة من كوبا

تأليف
بن ناصر العبودي

ثية للنشر والتوزيع
١٤٣هـ / ٢٠١٤م

السفر والأوبة، من كوبة

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

السفر والأوبة، من كوبة

تأليف

محمد بن ناصر العبودي

دار الثلوثية للنشر والتوزيع
١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

ح دار الثلوثية للنشر ، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي ، محمد بن ناصر

السفر والاوبة من كوبة / محمد بن ناصر عبدالرحمن العبودي الرياض ، ١٤٣٥هـ

٢٤٣ ص ، ١٧×٢٤سم .

ردمك : ٠-٤-٩٠٤٠٠ - ٦٠٣-٩٧٨

١- كوبا – تاريخ ٣- العصر الحديث ٢- المسلمون في أمريكا أ- العنوان

ديوي : ٩٧٢.٩١ ١٤٣٤/١٠٨٢٦

رقم الإيداع : ١٤٣٤/١٠٨٢٦

ردمك : ٠-٤- ٩٠٤٠٠ - ٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

دار الثلوثية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية – الرياض

تليفون : ٠١١٤٥٠٧٨٣٢

فاكس : ٠١١٤٦٤٥٩٩٩

Email: tholothia@gmail.com

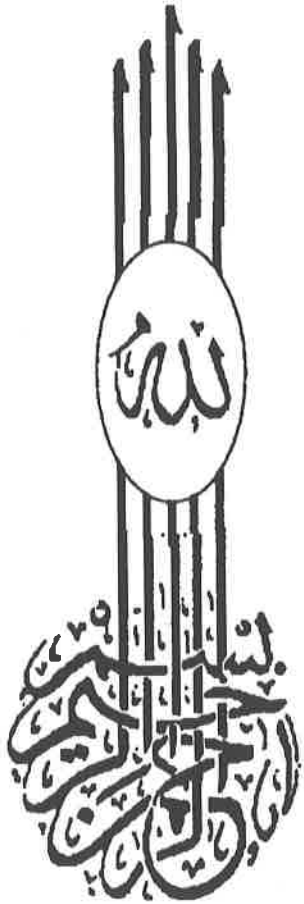
بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- طبع بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.

(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.

(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.

(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.

(٣٣) كنت في ألبانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.

(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٤٣) بلاد القريم- نشرته دار القبلة في جدة.

(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).

(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.

(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.

(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.

(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.

(٥٢) إطلالة على موريتانيا - نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.

(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض،١٤٢٠ هـ.

(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.

(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض،١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض، عام ١٤٢٤هـ.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.

(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وبارابيبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) طبع في مطابع العلا في الرياض.

(٩٩) من غينيا الاستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٠٠) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية) مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠١) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)، مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ.

(١٠٢) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) (تحت الطبع).

(١٠٣) (نظرات في شمال الهند) مجلدان، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(١٠٤) جولات فنزويلية وحديث عن المسلمين في أحد أركان القارة (من سلسلة رحلات في أمريكا الجنوبية)، مطبعة النرجس في الرياض عام ١٤٢٧هـ.

(١٠٥) الحل والرحيل في بلاد البرازيل (ثلاثة مجلدات من سلسلة الرحلات البرازيلية)، (تحت الطبع).

(١٠٦) في وسط الهند، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٧) قوادي لوب وانتقوا وسان مارتن (من سلسلة الرحلات في البحر الكاريبي) طبع مطابع النرجس عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٨) في شمال شرق آسيا، رحلة في سيبريا ومنغوليا، طبع مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٠٩) القلم وما أوتي، في جيبوتي، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٥هـ.

(١١٠) خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين، (من سلسلة الرحلات في بلاد الشمال)، (تحت الطبع).

(١١١) مقال في زيارة منطقة الأورال، (من سلسلة الرحلات في وسط روسيا)، طبع مكتبة الطرفين في الطائف عام ١٤٣٠هـ.

(١١٢) بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان، (من سلسلة الرحلات الكاريبية)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض.

(١١٣) جمهورية القبائل الروسية (رحلات في جنوب روسيا)، (تحت الطبع).

(١١٤) في غرب سيبيريا، مشاهدات وأحاديث في شئون المسلمين (الرحلات السيبيرية) - (تحت الطبع).

(١١٥) شمال أستراليا، رحلة وحديث في أحوال المسلمين (الرحلات الأسترالية)- (تحت الطبع).

(١١٦) إلمام بالمحيط الهادي من أستراليا إلى جزيرة قوام (الرحلات الأسترالية)، نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١١٧) إلى الشرق الأقصى الروسي (الرحلات الروسية)، نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١١٨) في أقصى شرق الهند (الرحلات الهندية) نشرته دار الثلوثية في الرياض.

(١١٩) جنوب أستراليا (الرحلات الأسترالية)، نشرته دار الثلوثية في الرياض عام ١٤٣٠هـ.

(١٢٠) رحلة أخرى إلى الحبشة بعد أربعين عاماً (تحت الطبع).

(١٢١) السفر والأوبة من كوبة. وهو هذا الكتاب.

مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات

(١٢٢) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)-نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٢٣) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٢٤) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٢٥) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٢٦) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١٢٧) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٢٨) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٢٩) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٣٠) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١٣١) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٣٢) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٣٣) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١٣٤) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٣٥) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١٣٦) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٣٧) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٣٨) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٣٩) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١٤٠) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٤١) الدعـوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٤٢) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٤٣) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في مجلدين كبيرين.

(١٤٤) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٤٥) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٤٦) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٤٧) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

(١٤٨) معجم الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة، نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض في مجلدين- عام ١٤٢٥هـ.

(١٤٩) المقامات البلدانية، نشره النادي الأدبي في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٥٠) الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها (ثلاثة عشر مجلداً) نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥١) الحوار في الإسلام، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٢) دور الأقليات الإسلامية في الدعوة إلى الله، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٣) الأقليات المسلمة: الواقع والمأمول، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٤) العالم الإسلامي: الواقع والمعاناة، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٥) هذا ما أستوحيته من الناس، كتاب أدبي طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١٥٦) جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله في مساعدة الإخوة المسلمين وبخاصة في بلاد الأقليات المسلمة، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١٥٧) العلاقات بين المملكة العربية السعودية وتركيا، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٩هـ

(١٥٨) أخبار الملا ابن سيف تنشره دار الثلوثية في الرياض.

(١٥٩) أخبار قني تنشره دار الثلوثية في الرياض.

(١٦٠) أخبار مطوع اللسيب تنشره دار الثلوثية في الرياض.

(١٦١) مشاهد من بريدة قبل ٧٥ سنة، تنشره دار الثلوثية في الرياض.

(١٦٢) المطوع في باريس، نشره النادي الأدبي في الرياض.

مقدمة:

الحمد لله الذي أفضل فأجزل، ويسر لنا أن نتجول في بلاد نائية عن بلادنا لم تدر في خلد آبائنا ولا أجدادنا.

وصلى الله وسلم على رسوله محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه.

أما بعد: فإن السفر إلى جزيرة كوبا الواقعة في شمال البحر الكاريبي كان أمنية من الأماني التي حالت دونها حوائل فكنت اشتريت لها تذكرة ووصلت لما قرب منها وهي مدينة (سانتودومنقو) عاصمة دولة الدومينكان التي تتقاسم مع هاييتي جزيرة هاسبنيولا المجاورة لكوبا، ولكنني لم أتمكن من زيارتها بسبب عدم وجود طيران إليها إلاّ بعد يومين من انقضاء عملي في الدومينكان، ولم أستطع إنفاق اليومين.

كان ذلك في عام١٤١٦هـ الموافق لعام ١٩٩٥م، وكنت في جولة طويلة في جزر البحر الكاريبي فتعجلت السفر وذهبت إلى مطار ميامي ثم مطار نيويورك حيث سافرت من مطار جون كندي فيها إلى جدة، وقبل ذلك كانت محاولة أخرى منع من إتمامها ضيق الوقت.

واليوم سنحت الفرصة في عادة كنت اتبعتها وهي أن أسافر أثناء حلول عطلة عيد الإضحى من بلادنا وهي عطلة طويلة فأقضي فيها ما أحتاج إليه من السفر من دون أن يتعطل العمل في المكتب، ولذلك صليت عيد الأضحى مرة في مدينة (أوديسا) الميناء الرئيسي لجمهورية أوكرانيا، وبعدها بسنة عيدت عيد الإضحى في الأرجنتين وصليت صلاة العيد مع الإخوة المسلمين أهل الأرجنتين في جامع بوينس ايرس، واجتمعنا بالمسلمين في مبنى المركز الإسلامي، وهو مركز ضخم واسع فتلقينا التهاني فيه من غير المسلمين من كبار الدولة ورجال الدين المسيحي هناك.

وفي هذا العام سوف نكرر هذا الأمر فنقضي عطلة عيد الأضحى في منطقة نائية عن بلادنا هي منطقة البحر الكاريبي وكان من المقرر أن نسافر في يوم الأربعاء الثاني من ذي الحجة غير أن ظروفاً داخلية اضطرتني إلى التأخر مدة ٥ أيام ولذلك سوف نصلي صلاة عيد الأضحى في باريس وسوف نغادرها في نفس اليوم بعون الله تعالى إلى (كوبا)، ومن كوبا نذهب إلى المكسيك ومنها إلى ميامي في جنوب الولايات المتحدة الأمريكية، حيث نذهب إلى هايتي ثم نعود إلى ميامي ومن ميامي هذه المرة نذهب إلى جزر البهاما نعود بعدها إلى ميامي ثم نطير منها إلى بوسطن في الولايات المتحدة، حيث نزور جزيرة بورمودا، فنعود بعد برمودا إلى الولايات المتحدة ولكن إلى مدينة بوسطن فنزورها ونطير منها إلى جزر الأزور البرتغالية، فنبقى فيها ما شاء الله لنا أن نبقى نغادرها بعد ذلك إلى لشبونة عاصمة البرتغال ومن لشبونة إلى روما ثم جدة.

هذا هو خط السير الذي رسمناه في مكتبي في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة ونسأل الله تعالى أن ييسر لنا إكماله، وأن يوفقنا للعمل فيه، إنه سميع قريب.

أما السبب الذي حملني على زيارة (كوبا) وهايتي والأماكن الأخرى التي ذكرتها فهو السبب الذي حملني على زيارة الأماكن الأخرى النائية في العالم، وهو الإطلاع على أحوال المسلمين فيها وتوثيق الصلة ما بين جمعياتهم وبين رابطة العالم الإسلامي التي أتولى فيها منصب (الأمين العام المساعد)، وكل هذه الأقطار وأكثرها جزر لم يزرها وفد من رابطة العالم الإسلامي من قبل ماعدا المكسيك.

وبالنسبة إلى (كوبا) فإنه إضافة إلى ما ذكرته قد بلغتنا أخبار جيدة عن وجود إسلامي صار فيها حديثاً حتى قيل لنا: إن رئيس البلاد (فيدل كاسترو) قد أعطى المسلمين مسجداً فيها، وذلك بأنها دولة شيوعية لا يمكن لغير الدولة

أن تبني فيها مبنى خاصاً، وقد أسلم عدد من أهلها إضافة إلى وجود أعداد من الطلبة المسلمين ما بين بنين وبنات من أولاد العرب ذهبوا إليها للدراسة وبقي بعضهم قد انقطعت بهم السبل أو هم فضلوا البقاء، لأنهم من بلاد لا تتوافر فيها مقومات الاطمئنان كفلسطين.

وأذكر أن الشيخ عبدالعزيز بن باز المفتي العام للمملكة العربية السعودية كان قد سألني عما إذا كنت زرت (كوبا) فلما أجبته بالنفي، قال: أرجو أن تزورها فهي بلاد غريبة كما حُدِّثنا عنها، وقد دخل أناس من أهلها في الإسلام، فقلت له: إنني سوف أجعل زيارتها في برنامجي في المستقبل بإذن الله، ثم سألني بعد ذلك عما إذا كنت زرتها فقلت له: في وقت قريب إن شاءالله.

وقد توفي رحمه الله وها أنا الآن أعزم على السفر إليها، راجياً أن أقوم بالواجب نحو الإخوة المسلمين فيها بعد أن نكون وصلناها وعرفنا كيفية مساعدتهم على أمور دينهم.

إن (كوبا) بلد شيوعي ولكن كانت له رابطة علاقة مع بعض البلدان العربية المسلمة وذلك بجامع معاداة الولايات المتحدة الأمريكية، ولأسباب اقتصادية وسياسية أخرى.

ومن ذلك مما هو ظاهر اجتماعه مع أغلب البلدان العربية في حركة عدم الانحياز وتأييد كوبا للعرب في قضية فلسطين.

إضافة إلى العلاقة التي كانت وثيقة لبعض البلدان العربية مع روسيا إبان حكم الاتحاد السوفيتي، وكوبا دولة شيوعية كانت مرتبطة بالاتحاد السوفيتي من زمن الشيوعية فكان أصدقاء الاتحاد السوفيتي أصدقاء لها، وبالعكس.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

الموقع والجغرافيا:

كوبا التي تعتبر أكبر جزر الأنتيل فيما بين البحر الكاريبي والمحيط الأطلسي الشمالي تقع في مدخل خليج المكسيك في جنوب شرق الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تبعد عن شبه جزيرة فلوريدا الأمريكية بنحو ١٨٠ كيلومتراً، وتبعد عن هاييتي بنحو ٦٧ كيلومتراً، وهو أرخبيل يتكون من جزر وصخور بحرية يبلغ عددها ٤١٩٥ جزيرة معظمها غير مسكونة وأكبرها هي الجزيرة التي تعرف باسمها كوبا وطولها ١٢٥٠ كيلومتراً ومتوسط عرضها ١٩١ كيلومتراً، وهي بذلك الجزيرة الخامسة عشرة في ترتيب الجزر الكبرى في العالم إذ تبلغ مساحتها لوحدها ١٠٤,٩٤٥ كيلومتراً مربعاً، ومع جزيرة الشباب (Isla de Juventud) تبلغ مساحة كوبا الكلية ١١٠,٨٦٠ كيلومتراً مربعاً، وتتوزع على ١٤ محافظة، بالإضافة إلى العاصمة هافانا وبلدية جزيرة الشباب.

تتميز أراضي كوبا بأن ثلاثة أرباعها سهول متموجة خصبة يزرع فيها قصب السكر والبن والأرز والقمح، كما يجري فيها رعي الماشية والأغنام، وأما المرتفعات فتتوزع في الشرق الأوسط والغرب، وتعتبر جبال سيرا ميسترا (Sierra Maestra) في الجنوب الشرقي أعلى المرتفعات بقمتها ريكو توركينو (Rico Turquino) التي يبلغ ارتفاعها نحو ٦,٥٦٢ قدماً، وهناك بعض الأنهار القصيرة والموسمية، ولكن أكبرها نهر ريو كاوتو (Rio Cauto) الذي يبلغ طوله ٣٤٣ كيلومتراً.

يتسم مناخ كوبا بالطقس المداري شبه الاستوائي لأن إحاطة المياه بهذه الجزيرة الكبيرة مع هبوب الرياح التجارية الشمالية الشرقية خفف من حدة الطقس الاستوائي، حيث متوسط درجة الحرارة ٢٧ مئوية فيما بين يولية – أغسطس في الصيف، و٢٢ مئوية في فبراير في الشتاء، ومتوسط الرطوبة على مدار العام هو

٨٠%، وتزيد قليلاً فيما بين مايو – أكتوبر في الصيف، ويكون جافاً نوعاً ما فيما بين نوفمبر – أبريل في الشتاء.

ومتوسط سقوط الأمطار هو ١,٣٢٠ ملم أكثره فيما بين مايو – أكتوبر، كما تهب الرياح الاستوائية العاصفة (هوريكان Hurricane) في أشهر أغسطس وسبتمبر وأكتوبر.

الزراعة والنبات:

في كوبا جعلت منظمة الأمم المتحدة ثلاث مناطق غابات محميات عالمية لتنوع النباتات الفطرية فيها، ويوجد أكثر من ٦,٠٠٠ نوع من مختلف النباتات في كوبا ونصفها تقريباً محلية، ويذكر وجود أكثر من عشرين مليون شجرة من فصيلة النخيل على اختلاف أنواعها ليس منها النخيل الذي يثمر.

إذ يغرس فيها نخيل التمر، إلا أنه لا يكون له تمر، وأما المحاصيل الزراعية الاقتصادية فهي قصب السكر الذي يعتبر المحصول الرئيسي الأول ثم التبغ المحصول الثاني ويأتي بعد ذلك الـ[illegible]بن والأرز والذرة والكاكاو والبطاطس والحمضيات والمانجو وجوز الهند والموز.

وتبلغ نسبة الأراضي الزراعية التي تعتمد على الري بنحو ٩,١٠٠ كيلومتراً مربعاً، ونسبة أراضي الري الدائمة ٢٧% والغابات ٢٤%.

ويتمثل الري في تربية الحيوان على أعشاب المراعي، وتربى الأبقار وأعداد قليلة من الأغنام والماعز.

المعادن والصناعة:

أهم مصادر الثروة الطبيعية في كوبا هي الكوبالت والنيكل والنحاس، والحديد والمانغنيز والملح والسيلكون والأخشاب، وقليل من النفط.

وأما الصناعة مع قلتها وتخلفها فهي تنحصر في صناعة السكر التي هي من أهم الصناعات، إذ وصل إنتاجها لأكثر من ثمانية ملايين طن وتكرير النفط، وصناعة التبغ والسيجار والنسيج والكيماويات والورق والخشب والبضائع الاستهلاكية ومكائن الزراعة والسماد والأسمنت.

الاقتصاد:

في كوبا يحس الزائر بأن عجلة التقدم والتطور قد توقفت في أواسط القرن العشرين بالحياة البدائية والمباني الكئيبة التي يرجع أكثرها إلى ما قبل الثورة الكوبية، وبالسيارات القديمة المتهالكة التي لا تزال تسير مع أن عمرها الافتراضي قد ولى منذ زمن غير بعيد.

ورغم الحصار الأمريكي المفروض على كوبا، فإن العلاقات التجارية بشكل عام مع الدول الشيوعية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي سابقاً أسهمت في توفير الاحتياجات الضرورية لرفاهية الشعب في مستوى منظومة الدول الشيوعية منذ أن أعلنت كوبا الالتزام بالنظام الشيوعي في عام ١٩٦٢م، وأدى اعتماد الاقتصاد الكوبي على الاتحاد السوفيتي بشكل خاص إلى إهمال المشاريع الاستثمارية والتنموية في البلاد، إذ بلغت نسبة الصادرات الكوبية إلى الاتحاد السوفيتي ٦٨%، كما بلغت نسبة الواردات ٥٩,٩% في عام ١٩٨٩م، وعندما انهار الاتحاد السوفيتي وتلاشت الكتلة الشيوعية تلقى الاقتصاد الكوبي ضربة قوية بسبب انقطاع المعونات، مما أدى إلى شلل تام كاد يوقف الحياة لقلة الغذاء والأدوية حتى السكر وهو المنتوج الوطني الرئيسي لم يكن متوفراً إلا ببطاقة التموين، حيث قننت حكومة كوبا المواد الغذائية الضرورية.

وعندما توقفت روسيا عن بيع البترول بسعر منخفض كالسابق اضطرت كوبا إلى الاستيراد من الصين، ولكن هذه الأزمة الاقتصادية أدت إلى انخفاض الإنتاج

الوطني من ١٩,٣ بليون دولار في عام ١٩٨٩م إلى ١٠ بلايين دولار في عام ١٩٩٣ وإنفاق ٦٠% من الدخل العام على استيراد الغذاء والنفط وظهر أثر ذلك في انقطاع توليد الكهرباء لأكثر من عشر ساعات يوميا، كما أدى توقف توريد قطع الغيار إلى إغلاق المصانع وتوقف الإنتاج، وتسبب في انعدام السلع والمواد الاستهلاكية من الأسواق، حتى إن مياه الشرب أصبحت شحيحة وصار اعتماد حياة الأسر الكوبية على كتيب تمويني يكاد لا يوفر الاحتياجات الأساسية من المواد الضرورية.

وعندما أحس النظام الشيوعي أن الشعب يعاني من الجوع الحقيقي ويواجه كارثة مروعة قد تؤدي إلى زعزعة النظام الحاكم وتفقده السيطرة، حيث خرجت الجموع الجائعة تحطم المتاجر والحوانيت والمحلات والمستودعات والمخازن في مدينة هافانا في يوم الخامس من أغسطس عام ١٩٩٤م، وبلغ الهروب من كوبا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ذروته بمعدل ألفي شخص في صيف عام ١٩٩٤م. فاضطر الحكم الشيوعي أن يأخذ برياح التغيير السياسي والاقتصادي بالدريج.

وفي أكتوبر ١٩٩١م اتخذ المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي الكوبي بعض القرارات السياسية بخصوص انتخاب أعضاء جدد في اللجنة المركزية مع قبول أعضاء جدد وممثلي المسيحية في المجلس الوطني فتمكن عندئذ من تنفيذ بعض الإصلاحات الدستورية في يوليه عام ١٩٩٢م، وكان من ذلك تحديث النظام الاقتصادي يمنح الشركات الأجنبية حق الاستثمار والامتلاك في المشاريع المشتركة وتشجيع الاستثمار الأجنبي في كوبا.

وفي يوليه ١٩٩٣م أعلن الرئيس فيدل كاسترو رفع الحظر عن المواطنين في تداول العملات الأجنبية وحل بذلك الدولار الأمريكي في التداول، وتمكن المواطنون من تلقي المساعدات المالية التي يرسلها ذووهم بخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية، كما أجاز زيارة المغتربين الكوبيين لبلادهم.

وفي أغسطس عام ١٩٩٣م أجرى النظام الحاكم بعض التعديلات في النظام الاقتصادي بالسماح للأفراد بالعمل الشخصي الخاص في ١٧٧ حرفة، كما صدرت الإصلاحات الخاصة بالمزارعين حيث سمحت لهم من خلال وحدات الإنتاج التعاونية بتسيير وتشغيل المزارع الحكومية.

وفي أبريل ١٩٩٤م عينت حكومة كوبا أربعة وزراء جدد لكل من وزارة الاقتصاد والتخطيط ووزارة المالية والأسعار، ووزارة الاستثمار الأجنبي والتعاون الاقتصادي، ووزارة السياحة، و صاحب هذا بعض الإجراءات الخاصة بالمسائل المالية والميزانية والضرائب لمعالجة التدهور الحاد في الميزانية.

ولعل هذه الأحداث وما رافقها من التغيير في السياسة الدولية أدت بالجمعية العمومية للأمم المتحدة إلى مطالبة الولايات المتحدة الأمريكية برفع الحظر الاقتصادي المفروض على كوبا في أكتوبر عام ١٩٩٤م، كما تزامن مع ذلك أن أقر الكونجرس الأمريكي سياسة فتح الحوار مع كوبا، وأخذت كندا ودول الاتحاد الأوروبي تعارض السياسة الأمريكية تجاه كوبا، كما أن زيارة بابا روما بولس الثاني لكوبا في يناير ١٩٩٨م. ودعوته فرص أكبر للحريات تلاه إطلاق مئات من سجناء الفكر السياسي في كوبا.

وقد شجعت هذه التغييرات السياسية والاقتصادية على الاستثمار الأجنبي حيث يعمل حالياً شركات من ثلاثين دولة من أسبانيا وكندا والمكسيك وفرنسا وإيطاليا وهكذا، حتى بلغت أكثر من أربعمائة شركة، وتحسن الدخل القومي بنحو ٠.٠٧% في عام ١٩٩٤، ثم ٢.٥% في عام ١٩٩٥م، و٧.٨% في عام ١٩٩٦م، ومع ذلك بلغ إنتاج السكر ٣.٢ مليون طن في عام ١٩٩٨م.

ورغم القرض الأسباني وتشجيع الاستيراد البريطاني والفرنسي فقد بلغ قيمة تصدير السيجار مائة مليون دولار في عام ١٩٩٦م، وفي عام ١٩٩٨م بلغ نحو

٣٨٠ مليون دولار، والحمضيات بلغ محصولها ١,٨٥٠,٠٠٠ طن في عام ١٩٩٨م، كما أدت مشاركة أستراليا وكندا وجنوب إفريقيا في مشاريع مشتركة إلى زيادة الإنتاج في الثروة المعدنية وبلغ إنتاج النيكل والكوبالت ٦٨,٠٠٠ طنَ في عام ١٩٩٨م، وكذلك هناك مشاريع مشتركة لاستخراج الذهب والنحاس في مقاطعة بينار دل ريو (Pinar del Rio) وجزيرة الشباب (Isla de la Juventud).

وتشكل السياحة حالياً المصدر الثاني في الدخل الوطني، فقد بلغ دخلها ١,٨ بليون دولار في عام ١٩٩٨م، وعدد السائحين ١,٤٢٥,٨٣٢ نسمة منهم ١٥% من كندا و١٣% من إيطاليا، و١١% من ألمانيا، و١٠% من أسبانيا، وتخطط حكومة كوبا لاستقبال ٢,٥ مليون نسمة بهدف الوصول إلى دخل سنوي قدره ٣,١ بليون دولار.

ولا تزال حكومة كوبا تعمل على تحسين ظروف العمل والتجارة والاستثمار والزراعة لزيادة الدخل الوطني الذي بلغ ١٦,٩ بليون دولار ودخل الفرد ١,٥٤٠ دولار في عام ١٩٩٧م، وبلغت قيمة الصادرات ١,٩ بليون دولار والواردات ٣,٣ بليون دولار في عام ١٩٩٧م، وهبط قيمة صرف البيسو الكوبي إلى ٨٠ بيسو (Peso) مقابل الدولار الواحد، وبلغ القرض الأجنبي من غير الكتلة الشيوعية ١١ بليون دولار في عام ١٩٩٨م.

حكومة كوبا:

الدستور الحالي الذي ينظم مجالس البلديات والمقاطعات والمجلس الوطني الذي هو أعلى سلطة تشريعية في البلاد تم اعتماده بنسبة ٩٧,٧% من الأصوات في عام ١٩٧٦م، ويبلغ عدد الأعضاء حالياً ٦٠١ عضواً تم انتخابهم سرياً في مجالس البلديات البالغ عددها ١٦٩ مجلساً، وذلك حسب التصويت الذي تم بنسبة ٩٤,٣٩% في ١١ يناير ١٩٩٨م ومدة العضوية في المجلس خمسة أعوام.

ومجلس الدولة يتولى حكم البلاد بعد المجلس الوطني، ويتكون من ٣١ عضواً يتم انتخابهم من المجلس الوطني، ويتكون من الرئيس وهو الدكتور فيدل كاسترو ثم النائب الأول لرئيس المجلس وهو الجنرال راؤل كاسترو (شقيق الرئيس) وخمسة نواب رئيس آخرين وسكرتير عام والباقون أعضاء.

مجلس الوزراء هو السلطة التنفيذية العليا ويتكون من ٤١ عضواً منهم رئيس الوزراء وهو الدكتور فيدل كاسترو والنائب الأول لرئيس الوزراء وهو الجنرال راؤل كاسترو (شقيق رئيس الوزراء) ثم خمسة نواب لرئيس الوزراء وسكرتير عام و٣٣ وزيراً، ويقوم رئيس الوزراء بتسميتهم ثم اعتمادهم من المجلس الوطني وهو ما تم أخيراً مع الحكومة الحالية في فبراير ١٩٩٨م.

.....

الكنيسة وضعف الوازع الديني:

وفي عام ١٩٨٠م أشارت التقديرات إلى أن ٤٨,٧% من الكوبيين غير متدينين وأن ٣٩,٦% يتبعون الكاثوليكية، و٦,٤% ملحدون، و٣,٣% يتبعون البروتستانتية، و١,٦% يدينون بالمعتقدات الوثنية الأفريقية، وأن ٠,٤% هم من أصحاب الديانات الأخرى، ولكن التغييرات السياسية الأخيرة ورفع الحظر عن النشاط الديني وزيارة بولس الثاني بابا الفاتيكان لكوبا عام ١٩٩٨م أدت إلى تزايد النشاط الديني إلاّ أن المؤشرات تفيد إلى عدم اهتمام الكوبيين بالكنيسة.

أما عن المسلمين فإن الوافدين إلى كوبا ومن السود والعرب والصينيين عددهم قد تقلص كثيراً إبان الحكم الشيوعي بالهجرة أو الاندماج ثم تزايد عدد المسلمين بقدوم طلاب المسلمين من بعض الدول العربية والإفريقية، ويبلغ عددهم حالياً بضعة آلاف نسمة.

التاريخ:

تشير الدراسات والحفريات الأثرية أن قبائل سيبون (Siboney) البدائية التي قدمت من أمريكا الجنوبية هي أكبر الجماعات البشرية التي دخلت كوبا قبل ٣٠٠٠ عام، ثم تلتها قبيلة تاينو (Taino) من قبائل اروك (Arawak) الهندية الأمريكية التي استوطنت معظم جزر البحر الكاريبي والسواحل الشمالية لقارة أمريكا الجنوبية.

وعندما قدم إليها كريستوفر كولومبوس في ٢٧ أكتوبر ١٤٩٢م كانت قبيلة سيبوني تعيش في الأطراف الغربية لجزيرة كوبا، كما قدرت أعداد الشعوب البدائية التي كانت تعيش في قرى زراعية يزرعون الذرة والفول السوداني، والأفوكادو واليام والويكة بنحو نصف مليون نسمة حينذاك.

وفي ٢٧ أكتوبر ١٤٩٢م لما شاهد كريستوفركولومبوس أرض طزبت لم يكن يعتقد أنها جزيرة، بل كان يظن أنها اليابان، وعندما هبط في كولبا (Colba) الساحل الشمالي لم يعثر على كميات كبيرة من الذهب، بل وجد الهنود الحمر يدخنون أوراق شجر يسمونها التبغ، ثم قام بعد ذلك بعامين بزيارة قصيرة لكوبا في طريقه إلى جاميكا، ثم قام بالغزو الأسباني ديغو دي فيلازكيوز (Diego de Velazque) لكوبا عام ١٥١١م، وتمكن من إقامة سبع مستوطنات أسبانية منها هافانا بعد أن قتل الآلاف من هنود تيانو وطرد الباقين منهم إلى الغرب، وأضرم النار في هاتوي (Hatuey) زعيم الهنود الحمر لرفضه اعتناق المسيحية، ثم وضع نظام سخرة واستعباد عرف باسم اينكوميندا (encomienda) يفرض على الهنود الحمر العمل في المستوطنات الأسبانية في مقابل تعليم المسيحية، ولكن انتشار الأوبئة من الجدري والكوليرا وموت الكثيرين منهم لرفض العبودية والعمل واعتناق المسيحية أدى إلى تقلص عددهم، وفي عام ١٥٤٢م ألغي نظام السخرة السابق ولم يأت عام ١٥٧٠م حتى لم يبق أحد من الوطنيين الأصليين.

وفي عام ١٥٢٢م بدأ الأسبان في جلب العبيد من إفريقية للعمل في المناجم والزراعة، وخاصة في زراعة التبغ ثم قصب السكر الذي بدأت زراعته في عام ١٥٢٢م، ولكن اهتمام الأسبان توجه إلى المكسيك وبوليفيا وبيرو، وغدت كوبا محطة عبور لشحن ثروات البلدان المحتلة المنهوبة، ولكن القوى الأوروبية الأخرى أخذت تنافس الوجود الأسباني، حيث احتلت بريطانيا جاميكا في عام ١٦٥٥م، وفرنسا هاييتي في عام ١٦٩٧م وغزت بريطانيا كوبا في ٦ يونيه ١٧٦٢م، إذ احتلت هافانا لمدة ١١ شهراً وقد جلبت بريطانيا خلالها ٤,٠٠٠ إفريقي.

ومع استقلال أمريكا في عام ١٧٨٣م وثورة العبيد في هاييتي عام ١٧٩١م دفع بزراعة قصب السكر لأن تكون المنتج الأول في كوبا، جلب الأسبان إليها أكثر من ٧٠٠,٠٠٠ عبد من إفريقيا خلال الأربعين عاماً التالية، فأصبحت كوبا ملك السكر أكبر دولة لإنتاج السكر في العالم، كما أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية المستقلة أكبر سوق لها، وقد حاولت أمريكا شراء كوبا من أسبانيا في عامي ١٨٤٨م و١٨٥٤م وخاصة أن كوبا وبروتوريكو (Puerto Rico) كانتا المستعمرتين الباقيتين للأسبان في أمريكا.

كانت الحركات التحررية التي شملت دول القارة الأمريكية الجنوبية قد هبت على كوبا حيث تزعم كارلوس مانويل ده كيسبيدس (Carlos Manuel Cespedes) حرب الاستقلال الأولى وتحرير العبيد في ١٠ أواسط عام ١٨٦٨م، ولكن هذه الحرب التي دامت أكثر من عشرة أعوام أدت إلى إنهاك قوة الثوار بمقتل ٢٠٠,٠٠ كوبي، فاضطر الثوار إلى توقيع معاهدة سلام، ولكن هذه الاضطرابات الداخلية وهروب الثوار إلى أمريكا ساعدت الأمريكان في شراء ٧٠% من الأراضي الزراعية، واحتكار ٩٠% من إنتاج السكر مع حلول عام ١٨٩٠م.

وفي عام ١٨٩٥م بدأت حرب الاستقلال الثانية التي قادها البطل الوطني خوسيه مارتي (Jose Marti) الشاعر والكاتب والداعي إلى العدالة الاجتماعية،

ولكنه قتل في الأشهر الأولى من الثورة، ولكن زعيم الثوار انطونيو ماسو (Antonio Maceo) قاد الثوار واحرق المزارع والممتلكات، مما دفع بحكومة أسبانيا لاستعمال شتى أساليب القمع والتعذيب لمعاقبتهم، الأمر الذي أدى إلى تدهور الوضع العام ونظراً للأضرار التي أصابت المصالح الأمريكية دخلت أمريكا الحرب ضد أسبانيا في ١٥ فبراير ١٨٩٨م، وبموجب معاهدة باريس في ٢٠ مايو ١٩٠٢م تم استقلال كوبا، ولكن أمريكا وبموجب اتفاقية بلات (Platt) احتفظت بحق التدخل بحجة حماية الاستقلال والاستقرار في كوبا.

وفي عام ١٩٠٣م أنشأت أمريكا قاعدة حربية في غوانتانامو (Guantanamo)، ومع تزايد التدخل الأمريكي في الشأن الكوبي جرى تعديل الاتفاقية إلى تأجير القاعدة للأسطول الحربي الأمريكي في عام ١٩٣٠م.

ورغم الاستقلال والاتفاقيات التي تحد من التدخل الأمريكي فقد كان الاقتصاد الكوبي بيد الأمريكيين مما مكنهم من تسيير شئون البلاد وقد استشرى الفساد فيها، فقام العقيد فولغينسو باتيستا (Fulgencio Batista) بالاستيلاء على الحكم في ١٥ سبتمبر ١٩٣٣م، ولكن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية استمرت في التدهور بسبب الحماية الأمريكية التي حظي بها، وتجددت الثورة ضد الحكم فقام فيدل كاسترو بالهجوم على قاعدة مونكادا في سنتياغو دي كوبا في ٢٦ يوليه ١٩٥٣م ورغم الهزائم التي مني بها الثوار بعد ذلك وهروب فيديل كاسترو إلى المكسيك، إلا أنه عاد منها في ٢ ديسمبر ١٩٥٦م وجدد الثورة وأجبر الرئيس باتيستا على اللجوء إلى أمريكا في الأول من يناير ١٩٥٩م، وعلى أثر ذلك تولى فيدل كاسترو حكم كوبا، وعمل على تطبيق النظام الشيوعي وأعلنها دولة اشتراكية في ١٦ أبريل ١٩٦١م، ثم مع تزايد العداء مع أمريكا قام بتوثيق علاقاته بالاتحاد السوفيتي وبلغت ذروتها في أزمة الصواريخ في عام ١٩٦٢م، وكانت أمريكا قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع كوبا وفرضت عليها حصاراً اقتصادياً منذ عام ١٩٦٠م.

الإسلام والمسلمون:

لم يكن المسلمون الأوائل يجهلون قارتي أمريكا وجزر البحر الكاريبي فالمسعودي في كتابه مروج الذهب وأبوبكر عمر الغوني والشريف الإدريسي في جغرافيته لهم إشارات وأخبار تدل على وصول المسلمين إلى الأراضي الأمريكية قبل المكتشفين الأوروبيين الذين اعتبروها عالماً جديداً لم يسبق إليها أحد قبلهم، وتشير الدراسات العلمية إلى عبور المسلمين الأندلسيين المحيط الأطلنطي في عام ٨٠٠ كما تذكر المصادر التاريخية أن مملكة ماندنيكا الإسلامية في مالي في غرب إفريقية تبحث عن علاقات تجارية مع شعوب الأراضي البعيدة، كما ينقل العمري شهاب الدين بن فضل الله ذلك في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار عن حديث السلطان مانسيا موسى ملك ماندنكا في مالي في حج عام ١٣٢٤ ميلادية، وفي المؤتمر السنوي التاسع لجمعية الدراسات المكتبية الذي عقد في جامعة ويسترن ايلينوس (Western Illinois) في الولايات المتحدة الأمريكية في أبريل ١٩٧٧م قدم الدكتور كليد أحمد وينترز (Clyde Ahmed Winters) بحثاً بعنوان أثر لغات الماندنغ (Mande) على أمريكا ذكر أمثلة لغوية تبين أثر لغة شعب الماندنغ المالي على لغات الهنود الحمر، وقد اكتشف الأثريون وعلماء الانثروبولوجيا شواهد كثيرة على وصول المسلمين إلى الأمريكتين وجزر البحر الكاريبي قبل الأوروبيين بعهود طويلة.

وأما المكتشف الأسباني كريستوفر كولومبوس الذي يعده الأوروبيون مكتشف أمريكا فقد كان قائده وبحاروه من المسلمين الأندلسيين، فمنهم مغاليس واستفانكو وروريغو دي لب وبيدور الونزو وهو الذي يقال عنه عندما رأى جزيرة كوبا شبّهها بالقبة فتحول اسمها من القبة إلى كوبا، وبعد أن استقر الأسبان فيها قدم إليها المسلمون الأندلسيون (المورسيكيون) الذين جلبهم الأسبان إليها بناءاً لأمر ملك أسبانيا القاضي بنفي المورسيكيين من أسبانيا بتاريخ ٣ سبتمبر ١٥٠٣م، وتفيد الوثيقة المحفوظة في سان أوغسطين عن وجود أكثر من خمسين شخصاً مسلماً في

هافانا نفسها في عام ١٥٩٦م، وقد مارس المسلمون شعائرهم الدينية سراً وعلناً ولكن السلطات الأسبانية أعادت محاكم التفتيش وأساليب التعذيب التي كانت قد استخدمتها ضد المسلمين في أسبانيا، فتقلص عددهم.

ومع ذلك فقد تزايد عدد المسلمين بقدوم المسلمين الذين جلبهم الأسبان عبيداً من إفريقيا بهدف تسخيرهم في أعمال المناجم وزراعة التبغ وقصب السكر، وقد بلغ عدد نسبة الأفريقيين ٤٠% من جملة السكان في عام ١٨٤١م وكان هؤلاء الأفارقة يمثلون أكثر من مائة قبيلة.

وفي نهاية القرن التاسع عشر الميلادي انحصر وجودهم في كوبا في أربعة عشر شعباً أفريقيا، واستطاع أفرادهم المحافظة على شخصيتهم الاجتماعية والثقافية من خلال جمعيات ونوادٍ اجتماعية عرفت باسم كابيلدوس (Cabildos)، وفي عام ١٨٨٦م أجبرت جمعيات كابيلدوس أن تكون تحت إشراف الكنائس الكاثوليكية واستعمال الأسماء المسيحية والتسجيل في سجلات الكنائس الكاثوليكية وتخويلها حق التصرف في ممتلكاتها إذا تم حلها أو إلغائها.

ومن أهم الشعوب الإفريقية المسلمة التي جلب الأسبان أفرادها إلى كوبا هو ارار (Arar) من داهومي (بنين الحالية) في القرن السابع عشر الميلادي ثم شعب يوربا (Yoruba) في نيجيريا فيما بين ١٨٢٠م- ١٨٤٠م ثم شعب كاربال (Carabal) من جنوب غرب نيجيريا والكاميرون وقد عرف باسم اباكو (Abaku) وتوجد حالياً جمعيتان لهم في سانتياغو دي كوبا، ولكن أكثر الأفارقة الكوبيين يعودون إلى قبائل في الكونغو.

وقد استعمل الأسبان كل أساليب البطش والقسوة في محو الشخصية الاجتماعية للأفارقة ومسخ هويتهم الثقافية حتى يسهل عليهم تسخيرهم لشتى أغراض العمل، وقد تضمنت القوانين التي اتخذوها في عام ١٦٨٥م عدة قواعد صارمة تحدد تعاملهم مع هؤلاء الأفارقة، منها إجبارهم على اعتناق المسيحية

وعاقبة من يلاحظ عليهم عدم ممارسة الشعائر الدينية أو لا يتردد منهم إلى الكنائس أيام الآحاد بقطع الأذن والتجويع والحرق.

وقد أدت هذه الممارسات الجائرة في مرور الزمن إلى انصهار الأقلية المسلمة وهيمنة معتقدات وثنية على الإفريقيين وبخاصة أولئك المتشبثين بجذورهم الإفريقية، وتعرف هذه المعتقدات الوثنية حالياً باسم سانتريا (Santeria) وهي جملة أفكار وثنية ودينية متداخلة.

وتزاوج الأسبان ومنهم المورسيكيون بالزنوج الأفارقة ومنهم المسلمون وامتزجت الدماء ونتج عن ذلك عنصر جديد ذو بشرة سمراء تشوبها صفرة خفيفة وأطلق على المزيج البشري اسم مولاتا التي ربما كانت محرفة من كلمة عربية وهي المولّد، وفي الوقت الذي حارب الأسبان الإسلام بضراوة تشهد عليهم مجازر محاكم التفتيش التي نصبوها في العالم الجديد، بدأت هجرات جديدة تفد إلى كوبا من العالم العربي من الشام وفلسطين وشرق الأردن في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، وقد استقر بعضهم فيها واتخذها بعضهم محطة عبور إلى دول أمريكا الوسطى والجنوبية الأخرى، ولم يكن العرب المستقرون في كوبا كلهم مسلمين، بل كان أكثرهم من المسيحيين حيث قدر عدد المهاجرين العرب بنحو ٦٠ ألف مهاجر منهم خمسة آلاف مسلم في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ثم تزايد عددهم بوصول المسلمين الصينيين الذين بلغ عددهم ألفي نسمة عام ١٩٠٨م.

وتشير التقديرات الإسلامية بأن عدد المسلمين وصل إلى عشرة آلاف مسلم في كوبا في عام ١٩٥١م، ولكن النظام الشيوعي الذي مارسه فيدل كاسترو أدى إلى انخفاض عدد المسلمين الكوبيين بسبب هجرتهم من كوبا إلى الانصهار القسري لهم في المجتمع الكوبي، وقد ذكر أن عددهم قد تقلص إلى ألف مسلم في عام ١٩٧١م، ولكن علاقة فيدل كاسترو مع الأنظمة الثورية العربية أدت إلى زيادة عدد المسلمين بقدوم الطلاب المسلمين من اليمن الجنوبي وسوريا وفلسطين والجزائر

والسودان، بالإضافة إلى أفغانستان وغينيا وغيرها، وكان أغلبهم من الصحراء الغربية إذ بلغ عددهم أكثر من ألف طالب من الصحراء الغربية فقط، قبل عام ١٩٩٠م، وذلك بسبب اعتراف وعلاقة كوبا بجمهورية بوليساريو.

وفي عام ١٩٧٧م بدأ قدوم هؤلاء الطلاب الصحراويين من الجنسين وأعمارهم تتراوح ما بين ١٠- ٢٥ سنة ووضع أكثرهم في جزيرة الشباب، ومع ذلك فالنشاط الإسلامي كان محظوراً حتى وصل الأستاذ يحيى الحسن سفيراً لجمهورية نيجيريا مع بداية هبوب رياح التغيير السياسي الذي جاء عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، وذلك في أوائل عام ١٩٩١م، فالتقى بسفراء الدول الإسلامية المعتمدين في كوبا، وفتح منزله لإقامة الصلاة جماعة ثم أجرى اتصالات عدة مع حكومة كوبا انتهت بتخصيص غرفة لهم في البيت العربي في هافانا القديمة لإقامة الصلاة جماعة وأقيمت أول جمعة فيها في يوم الجمعة ٢٤ يناير ١٩٩٢م.

والنقوش الإسلامية التي لا تزال موجودة في بعض المباني القائمة في المدن الرئيسية مثل سنتياغو دي كوبا وفي هافانا حيث توجد زخارف إسلامية وآيات قرآنية مثل العزة لله- لا غالب إلا الله- ولا إله إلا الله- الله أكبر، في بهو فندق انكلتريا في هافانا القديمة، وكذلك أشكال المباني القديمة التي تعكس الشكل الأندلسي كما هو في بيت العرب القائم في هافانا القديمة، وغيرها من البيوت في وسط سنتياغو دي كوبا مما يؤكد على استيطان العرب، بل استيطان المسلمين في كوبا، وما يثبت ذلك أيضاً أن بعض الأسر الكوبية لا تزال تحمل أسماء عربية مثل هازن (Hazan) يعني حسن أو هامو (Hamu) أي حامد.

وقد شارك بعض العرب في الثورة الكوبية منهم الفريدو جبور الذي كان أول وزير للعدل في حكومة كاسترو بعد الثورة وتوفي في عام ١٩٦٤، ولا يزال بقايا العرب المسلمين الأوائل موجودين حالياً مثل المهندس الفيريدو ديريش غوتيرز يعني فريد عبدالفتاح درويش الذي يرأس الاتحاد العربي في كوبا، وهو ابن لمهاجر

عربي مسلم من فلسطين ويقدر عدد المنحدرين من أصول عربية بحوالي ٤٠ ألف نسمة بموجب تقديرات الاتحاد العربي نفسه.

بالإضافة إلى هذا الوجود الفعلي لقدماء المسلمين الذين لا يعرفون عن ماضيهم ودينهم إلا القليل فهناك مؤسستان عربيتان لأن الحكم الكوبي الشيوعي لا يعترف بالدين وهما:

بيت العرب (Casa Arabe) وهو منزل قديم مبني على الطراز الأندلسي حيث الباحة في الوسط، فيما اصطفت الغرف المختلفة على الجوانب الأربعة في طابقين، وكل غرفة من هذه الغرف العديدة تحتوي على إحدى مكونات الثقافة العربية من تحف وأزياء ومصنوعات يديوية وملبوسات ولوحات تمثل الخط العربي وعملات عربية وصور شخصيات عربية يمثل كل ذلك متحفاً عربياً مصغراً، وخصصت إحدى الغرف الكبيرة في الدور الثاني مكاناً لإقامة الصلاة بمساع وجهود من الأستاذ يحيى الحسن سفير نيجيريا في عام ١٩٩٢م.

وبجوار هذا المبنى أيضاً منزل آخر يستخدم مطعماً يقدم الأكلات والأغاني والرقصات الشعبية العربية، ومتجراً لبيع المعلمات والصور والأفلام الخاصة ببيت العرب الذي يقصده السياح منذ عام ١٩٨٣م، ويديره موظف من أصل عربي مسيحي اسمه ريغوبيرتو مينيديز بلوديس (Rigoberto Menendez Paredes).

الاتحاد العربي الكوبي (Union Arabe de Cuba) وقد تأسس عام ١٩٧٩م ويقع مقره في شارع برادو (Pareoldel Prado) في هافانا القديمة ويرأسه في الوقت الحاضر المهندس فريد عبدالفتاح درويش عربي مسلم من أصل فلسطيني لا يعرف العربية إلا قليلاً، يقول إن عدد أعضاء الاتحاد العربي في مدينة هافانا فقط نحو أربعة آلاف عضواً وله فروع في مدن أخرى سانتياغو دي كوبا وكاماغوي (Camaguey) ومدينة سييغو دي افيلا (Ciego de Avila) التي فيها ٤٥٠ عضواً

ويقدر عدد العرب بنحو ٤٠ ألف نسمة، وقد بلغ عدد الجمعيات العربية في كوبا ٢٥ جمعية فيما بين ١٩٠٤م- ١٩٥٨م، وكان أولها الاتحاد الشرقي الذي تأسس في سانتياغو دي كوبا في عام ١٩٠٤م، ثم ألغيت تلك الجمعيات كلها وحل محلها الاتحاد العربي في العهد الشيوعي.

وعلى ضوء هذه المعطيات فالمسجد الوحيد في كوبا حالياً هو المصلى المفتوح في بيت العرب ويتردد إليه المسلمون الأجانب في أوقات الدوام الرسمي عندما يكون بيت العرب وهو متحف ثقافي مفتوحاً لزواره من السياح، وأما المسلمون المحليون فيؤدون صلاتهم في مساكنهم ولا يسمح لهم بدخول بيت العرب كما لم يسمح ببناء مسجد لهم.

علاوة على أن المسلمين الذين يمارسون الشعائر الإسلامية هم من الكوبيين القليلي العدد الذين أنار الله قلوبهم بالإسلام حديثاً بجهود الطلاب المسلمين والدعاة الذين سمحت لهم ظروف التغيرات الأخيرة بزيارة كوبا، ويبلغ عدد هؤلاء المسلمين الكوبيين الذين يتزايد عددهم يوماً بعد يوم بنحو خمسمائة مسلم، كما يقدر عدد الطلاب المسلمين الدارسين في مَعاهد وجامعات كوبا من العرب والأفارقة بنحو ألفي مسلم بعد أن تقلص عددهم بسبب الأزمة الاقتصادية التي تسببت في تضرر المعونات المالية التي كانت تقدم إلى الطلاب الأجانب.

أما أحفاد المسلمين القدماء من المورسيكيين والأفارقة والعرب القدماء فلا يعرف عددهم، مع أن الموجودين منهم والدلائل تؤكد على وجود أعداد كبيرة منهم، ولكن يبدو أن الخوف لا يزال يسيطر عليهم مع جهلهم بهويتهم الثقافية الإسلامية الذي فرض عليهم بسبب حظر التعليم الإسلامي ومنع ممارسة الشعائر الدينية في العهد الشيوعي الذي لا يزال مستمراً إلى اليوم رغم التغيرات السياسية الأخيرة.

كوبا
الولايات المتحدة
المحيط الأطلسي
جزر الباهاما
كم 200
ميل 200
هافانا
خليج كوبا
ماتانزاس
سانتا كلارا
بينار دل ريو
خليج باتابانو
سينفويغوس
22
سيينفويغوس
سانكتي سبيريتس
سيينفو دو أويلا
كاماغوي
هلغوين
فكتوريا س دو لاس توناس
رأس سان أنطونيو
جزيرة بينوس
باراكاو
غوانتانامو
بايامو
خليج غوانتانامو
منزانيلو
سانتياغو دو كوبا
القاعدة البحرية الأميركية
البحر الكاريبي
رأس كروز
جزر كايمان
هايتي
جامايكا

يوميات الرحلة

يوم الاثنين ١٤٢٠/١٢/٧هـ

من الرياض إلى جدة:

كنت غادرت مكتبي في مكة المكرمة يوم الأربعاء الماضي أي قبل خمسة أيام لزيارة أسرتي وبخاصة زوجتي في الرياض التي كانت ألمت بها وعكة صحية، ومن أجل أن أعمل في بعض الكتب التي أطبعها، وقد مضى الوقت سريعاً لي في الرياض، لأنني في مكتبي في بيتي أو في مكتبتي فيه لا أشعر بالوقت إلاّ إذا نبهني منبه من أهلي بوقت صلاة حَلَّ أو لمائدة طعام وضعت.

وفي هذا اليوم الاثنين السابع من شهر ذي الحجة سافرت إلى جدة مع الخطوط السعودية التي هي منشغلة بنقل بعض الحجاج من بلدان أجنبية إلى جدة.

ركبنا كالعادة المتكررة لي مع مطار الملك خالد الدولي في الرياض، وذلك أنني أطير منه أو أقع فيه كل أسبوعين وأحياناً كل أسبوع إذا كنت داخل المملكة العربية السعودية لأنني عضو في عدة لجان مقرها الرياض، ومن أهمها وأكثرها اجتماعات (اللجنة التحضيرية للدعوة) المنبثقة عن (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية).

لذلك صار سفري من هذا المطار من الرياض إلى جدة أمراً متكرراً لا متعة فيه، بل إنني لا أذكره حتى إذا كان مبدأ لرحلة طويلة مهمة.

وفي هذا اليوم وجدت في استقبالي عند سلم الطائرة في جدة الأستاذ (فوزي كردي) مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في جدة، ومعه سيارة المراسم في المطار، وقد حملتني السيارة إلى قاعة كبار الزوار المسماة (صالون الشرف) في المطار، وهي قاعة كبيرة جيدة بالنسبة إلى ما عرفته من أمثالها على مستوى العالم.

وجلست مع الأخ فوزي كردي بينما كان أحد الموظفين يحضر أمتعتي فقلت له: إنك تعلم أنني لم أرغب في أن أركب من (قاعة الشرف) التي تسمى هنا

بالمكتب التنفيذي لا في جدة ولا في مطار الرياض، لأن ذلك يتعب من ينتظرني فيه، ويقيدني بقيود أنا في غنى عنها.

وهي قيود رسمية يحلو لبعض الناس أن يتقيد بها، لأنه بذلك يظهر نفسه بمظهر الشخص المهم الذي يهتم به الآخرون ولكنني لست منهم، فأنا لا أسعى إلى أن يهتم بي غيري، إلا إذا كان ذلك من زاوية لا أشعر فيها بذلك، مثل كتابة هذا الكتاب الذي لم أكتبه لكي يهتم بي الآخرون ولكن الناس يهتمون- في العادة- بالمؤلفين والكتاب لاسيما بمن فاقت مؤلفاته من بين مخطوط ومطبوع على المائتين وطبع له ٩٣ كتاباً حتى هذه الساعة، وقد اشتهرت كتبي في الرحلات بين الناس حتى صاروا يتطلبونها لأن من يقرأ منها كتاباً يتطلب في العادة أن يقرأ الكتب الأخرى.

وبخاصة بعد أن صرت ألقي حديثاً مستمراً في إذاعة القرآن الكريم في بلادنا عن أحوال المسلمين في الخارج وهو برنامج سمعت الاهتمام به، بل وبالثناء عليه من وزراء وأدباء ومن ناس من سائر الناس.

سألني الأخ فوزي كردي السؤال التقليدي: عسى ما تعبتم من السفر؟ فقلت له: إن الذي يسميه الناس التعب هنا هو الراحة عينها كما كنا نعرفها، فالتعب كان في السابق عندما حججت لأول مرة في عام ١٣٦٤هـ، أي منذ ٥٦ سنة وكان الحج وقتها على ظهر سيارة نقل لأنها السيارة التي تستطيع السير في بلادنا آنذاك ولابد من أن تكون قوية تستطيع قطع الأراضي الرملية والأراضي الحجرية من صحرائنا المغبرة، ولا يوجد في ذلك الحين أي أثر للخطوط المزفتة، بل ولا للخطوط الممهدة.

ولم تكن في سيارات النقل التي كنا نركبها كراس، ولا أي شيء يتعلق بالجلوس، وإنما كان الناس يضعون أمتعتهم على السيارة ويركبون فوقها أي فوق الأمتعة، أما ما يفسده الجلوس عليه أو ما لا يمكن الجلوس فوقه كالأواني النحاسية فإنها تعلق على

جانبي السيارة، وعلى ذكر الأواني أقول: إننا في ذلك الوقت كنا نحمل أواني الطبخ والطهي للطعام وبجانبها أوانٍ أخرى لصنع القهوة والشاي، وكل ذلك يضعه الناس بأنفسهم على نار الحطب الذي يحصلون عليه من البرية التي يقفون فيها، فإذا لم يكن في المكان الذي وقفوا فيه حطباً تركوه واختاروا غيره مكاناً فيه حطب، وأخذ الحطب وإحضاره وقطعه من الشجر يحتاج إلى فأس ورجل صبور متمرن.

ثم الماء والحصول عليه صعب لأنه من آبار تحتاج إلى استخراج الماء منها بالدلو والرشاء، وعادة ما يفزع الرجال جميعاً إذا نزلوا المنزل بعضهم يحضر الماء وبعضهم يحضر الحطب، وآخرون يوقدون النار.

وللركوب نفسه سيئات ومهازل لأنه – كما قلت– يكون على ظهر سيارة النقل فوق الأمتعة وقد يتضايق الناس لأن بعضهم يريد أن يستأثر بحيِّز أكبر من المكان ولو كان ضيقاً فيمد رجليه ويوسع لنفسه على حساب الآخرين.

وأذكر أن أحد أرباب الدعابة ضايقه أحد الجالسين برجله ولكنه لا يعرف رجل مَنْ لكثرة الأرجل وتلاصق الجالسين في السيارة، فصار يصيح ويقول: من هي له هذه الرجل؟ يا صاحب الرِّجْل أبعد عنا رجْلِك!

ولما لم يستجب له أحد أخذ يقرصها بأطراف أصابعه بقوة حتى ألم ذلك صاحب الرِّجْل وكفها عنه.

وماذا بعد؟

كنت في مجلس لشيخنا العلامة الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله، وكان الناس يتحدثون عن مشقة السفر للحج، فقال: لقد أمضيت في أول سنة حججت فيها على الإبل ٢٨ يوماً من الرياض إلى مكة وقال آخر من أهل الرياض: إنها شهر يا شيخ.

فقال ثالث: بعد ذلك جاءت السيارات فصرنا نذهب إلى مكة في ثلاثة أيام على طرق وعرة ثم زُفّت الطرق وتوفرت السيارات الصغيرة فصرنا نصل إلى مكة في اثنتي عشرة ساعة أو نحوها، ثم جاءت الطيارات المروحية فصار الطريق من الرياض إلى جدة ثلاث ساعات وثلثاً، ثم جاء الطيران النفاث فصار ساعة واحدة للبوينج ٧٠٧، ويوم ذلك لم يكن يوجد أكبر منها في بلادنا من الطيارات النفاثة ثم سكت الجميع، فقال أحدهم: وأي شيء بعد هذا يا شيخ؟

فسكت الشيخ عبدالله بن حميد قليلاً، وقال: ما بعد هذا إلا أن الإنسان يفكر أنه يريد أن يذهب إلى مكة فيجد نفسه فيها!؟؟

والواقع أن الأمر تخيله مشكل بأن توجد وسيلة أسرع من الطائرات النفاثة التي ينتقل بها الإنسان من بلد إلى بلد في المستقبل.

وكما أننا لا ندري ذلك فإنني لا أدري كيف شط بنا القلم إلى ذكر شيء لم يكن مقصوداً في الكتاب، وإنما أقول إنه من المقرر لي أن أبقى في جدة إلى منتصف هذه الليلة، حيث نسافر بإذن الله من جدة إلى باريس في أول مراحل هذه السفرة الطويلة فهي نحو ٩ ساعات لذلك رأيت أن أبقى في فندق المطار، رغم وجود بيت ابني طارق في جدة لأنه يعمل في الديوان الملكي، وهو موجود الآن في جدة لأنه سافر مع مكتب ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود إلى جدة قبل خمسة أيام، ولكنني أردت أن أكون قريباً من المطار.

نزلت في فندق المطار لتلك الساعات بـ٢٠١ ريال سعودية والفندق جيد وكبير، إلا أنهم لم يضبطوا التبريد في الغرفة فصارت جيدة في أول الأمر ثم صارت باردة حتى اضطررت إلى أن ألبس ملابس ثقيلة داخلها.

من جدة إلى باريس:

حضر إليَّ في الفندق الأخ فوزي كردي وموظف من المراسم اسمه مصطفى، ومرافقي في الرحلة الأخ رحمة الله بن عناية الله، فأخذوا الأمتعة ثم ذهبت معهم بعد ذلك إلى قاعة كبار الزوار (صالون الشرف) حيث خرجنا في سيارة المراسم إلى سلم الطائرة على خلاف عادتي.

ركبنا في الدرجة الأولى من طائرة (السعودية) من طراز بوينج ٧٧٧ ونلاحظ أن أرقامها الثلاثة كلها من سبعة ولو كان بعض بني قومنا من الأعراب ومن في حكمهم معنا لكرهوا ذلك لأنهم يتطيرون من رقم (٧) ويقولون (السبع مسبوعات) وبعضهم إذا كان يعد فقال ست، بالتأنيث يقول في مكان (سبع) سَمْح، تفاؤلاً بالسماح بديلاً من السَّبْع التي تدل في بعض معانيها على السَّبْع الذي يأكل الناس، وقد نسى الجيل الجديد من الأعراب ذلك حتى كانوا لا يسمعون به ولا في الحكايات والأسمار.

كانت الدرجة الأولى في الطائرة مليئة كلها بركاب أكثرهم من السعوديين، وفيهم أسرة إيطالية وشخص أوروبي آخر لا أعرفه.

كما قال لي الإخوة إن السياحية أيضاً مليئة وهذا عجيب لأنه عكس المتوقع، إذ الازدحام على الطائرات القادمة لجدة في وقت الحج مثل الآن وليس على المغادرة منها، ولكن أكثرهم من أرباب المال وأغنياء الحال الذين يريدون أن يقضوا إجازاتهم في أوروبا، وبعض الأثرياء من بني قومنا تكون لهم شقق أو منازل في فرنسا فلا يحتاجون إلى النزول في الفنادق إذا أرادوا قضاء إجازاتهم فيها.

وسوف تنزل الطائرة في روما ثم تذهب إلى باريس.

وقد أذاع مكبر الصوت في الطائرة التعليمات المهمة وافية مسجلة بالعربية تتبعها الإنكليزية، وذكروا اسم الطيار وهو سعودي متدين، لأنه عندما أراد الإقلاع قال: أيها الركاب سوف نقلع الآن بإذن الله.

وأقلعت في الثانية والنصف تماماً بعد تأخر ٢٠ دقيقة عن موعدها المقرر في الأصل، وليس هذا بالتأخر الكبير على طائرة كبيرة.

وكان يخدم الدرجة الأولى مضيفون ومضيفات من المغرب، وهذا أفضل كثيراً مما كانوا يفعلون حينما يستخدمون المضيفات الضئيلات الفطس من أهل جنوب شرقي آسيا وهم مؤدبون مهذبون وربما اختاروهم لهذه الرحلة من بين المضيفين عندهم لكونهم يحسنون الفرنسية.

قدموا عشاءً جيداً يتسم بالذوق وحسن التصرف.

ولم يكدر صفو هذه الرحلة إلاّ أنها عندما نزلت في إيطاليا أعلن الطيار أننا نزلنا في مطار هو غير مطار روما الذي كان من المقرر أن ننزل فيه، وذلك لوجود ضباب كثيف فيه.

ثم تأخر إقلاع الطائرة وقال المضيف من المكبر: إننا ننتظر ركاباً لنا أربعين.كانوا موجودين في المطار الذي كان من المقرر أن ننزل فيه ولم نستطع لذا نحتاج إلى ساعة واحدة في انتظارهم.

ولكن الوقت امتد بالطائرة حتى مضت ساعتان ونصف في هذا المطار، وكان الطيار قد أعلن أن على الركاب الذين قد يكونون معنا وهم يريدون مواصلة سفرهم من باريس وأثر عليهم هذا التأخر أن يخبرونا بذلك الآن حتى نتخذ الإجراءات اللازمة نحو سفرهم.

ثم قامت الطائرة من روما إلى باريس.

في باريس:

حطت الطائرة في مطار (شارل ديقول) وكانت الإجراءات سريعة لأن فرنسا صارت تشدد الآن على شركات الطيران التي تركب أناساً لا يحملون سمات دخول إلى فرنسا سواء بطريق العبور أو للدخول إلى باريس، لذلك لم يكن في الركاب قبلنا من تأخر عند ضابط الجوازات، أما أنا فإنني أحمل سمة دخول إلى فرنسا باسم الدول الأوروبية العشر بحيث تتيح لي زيارة تلك الدول كلها إذا أردت وهي سمة دخول (دبلوماسية) لأن جوازي (دبلوماسي).

وجدنا في استقبالنا في المطار الأخ المكرم (يوسف باوندي) مدير مكتب الرابطة في باريس، وهو تونسي يقيم في فرنسا منذ أكثر من ١٦ سنة، ومتزوج من فرنسية الجنسية ولكنها عربية الأصل.

ومن الطريف أنني عندما سألته عن معنى (باوندي) في اسم أسرته قال: إنه لا يعرف ذلك وإنما هو من هذه الأسرة التي قدمت إلى تونس من الأندلس ولا يعرف معنى (باوندي).

ركبنا معه بسيارته إلى الفندق الذي كان قد حجز لنا فيه، ولكنه ذكر أنه كان راجع سفارة كوبا في باريس من أجل الحصول لنا على سمات دخول إلى كوبا فذكر أنهم رحبوا بذلك وقالوا: إن الأمر لا يحتاج، حتى إلى مذكرة من السفارة السعودية غير عارفين بأن جوازي يحتاج إلى ذلك لأنه (دبلوماسي) ومع ذلك مررنا بهم فوجدناهم اليوم في عطلة فذهبنا إلى السفارة السعودية للحصول منها على مذكرات بطلب سمة الدخول لدول ثلاث سوف نذهب إليها بإذن الله، وهي (كوبا) و(هايتي) و(المكسيك).

وقد دخل الإخوان يوسف باوندي، ورحمة الله عناية الله إلى السفارة وبقيت في السيارة قائلاً لهما إذا كان السفير (فيصل الحجيلان) موجوداً فأخبراني حتى أدخل وأسلم عليه، وإلا لا داعي لنزولي من السيارة.

ولم يجدا السفير، لأنه غائب عن فرنسا، ولكن سكرتيراً في السفارة أنجز ذلك كله بسرعة فذهبنا إلى الفندق وهو (إبيس) تابع للشركة التي كنا نزلنا قبل ستة شهور فيه، فهذا الذي ننزل فيه اليوم في وسط باريس في الحي الخامس عشر قريباً من مكتب رابطة العالم الإسلامي.

وجدنا الفندق كبيراً واسع الأفنية كثير الحجرات إلا أن غرفه ضيقة ضيقاً استنكرته لما كنا فيه في بيوتنا من سعة الغرف، حتى في فنادقنا في بلادنا نظراً لسعة الأراضي وعدم حساب التوفير، ومع صغر الغرفة فإن فيها كل ما يحتاج إليه النزيل من خزانة للملابس صغيرة لا تغلق ولكن فيها معاليق كافية وحمام داخلي جيد.

مدينة النور:

استرحت في غرفتي في الفندق على سرير وحيد فيها وهو عريض يكفي لشخصين متحابين، ولكنه لا يتسع لمن هما دون ذلك لضيقه تبعاً لضيق الغرفة ولم أتم البارحة إلا غراراً كما يقول الأقدمون، و مع ذلك أخذت أفكر في المرة الأولى التي وصلت فيها إلى باريس وأثر ذلك في نفسي.

كان ذلك منذ ثلاثين سنة، وكنت يومها قادماً من البرازيل في أول زياراتي لها وهي لحضور المؤتمر الأول للجمعيات الإسلامية في البرازيل، وكان سفيرنا في فرنسا هو الدكتور مدحت شيخ الأرض، إلا أنه كان غائباً عن باريس، فكان القائم بالأعمال هو صديقي (رواف الرواف) الذي اعتذر إليَّ قائلاً: إن بيتي وفيه أهلي هو شقة مؤلفة من غرفتين، وإلا لما تركتك تذهب للفندق، فقلت إليه: إن الفندق بيت من لا بيت له، وإنني أستريح فيه ولكني لا أدري أأعود لباريس مرة

ثانية أم لا لذا أريد أن أرى هذه المدينة التي طالما قرأت عنها، فأبحث لي عن رجل يعرف الإنكليزية أو العربية ليتجول بي فيها.

فقال: هذا صحيح، ونحن نعرف رجلاً روسياً من الهاربين من الشيوعية ليس له ولد ولا أسرة، ولذلك كنا نرسله مع بعض الأمراء ليرشدهم إلى بعض معالم باريس، ثم أمر أحد الموظفين بالاتصال به، وواعده أن يحضر إليَّ في الفندق غداً.

قال: وأما هذا اليوم وكان الوقت ضحى فسوف أرسل معك أحد موظفي السفارة وكان مصرياً أسمر اللون يعمل مترجماً في السفارة.

وقد تجولت بعد ذلك بالفعل ليس في باريس وحدها، وإنما أيضاً في فرساي خارجها، وذلك لمدة ثلاثة أيام.

ويومها أعجبت بما رأيته فيها من المظاهر الفنية المتمثلة في الذوق الرفيع في بناء المنازل وتخطيط الشوارع، وتنسيق الحدائق، ثم الذوق العام حتى في السير على الأرصفة وأدب الناس بعضهم مع بعض في المشي ودخول المحلات العامة.

وأما حرصهم على جمع التحف والآثار القديمة، ومحافظتهم عليها فإنه شيء استولى على فكري، وطال إعجابي به، لاسيما عندما أقارنه بما يفعله بعض بني قومنا العرب من التفريط والإهمال في هذا الموضوع.

أما موضوع الفخامة في الأبنية في باريس وفي سعة الشوارع فإن ذلك لم يكن موضع إعجاب لأنه دون ما كان في ذهني عنها.

وقد عجبت من كثرة حوانيت الكتب والمطبوعات والجرائد والمجلات، وشدة إقبال الناس على شرائها، وقلت في نفسي: إن الذين سموا (باريس) مدينة النور في ذلك الحين على حق إذا كانوا يريدون بالنور نور المعرفة، إضافة إلى صيانة الحقوق الشخصية من التعبيرِ بالرأي والنشر وعدم الاستهانة بالآخرين وإن قلَّ مقدارهم.

وكان الشيء الذي طالما تغنى به المفتونون بباريس: مدينة النور وهو حرية المرأة في التصرف حرية تكون مطلقة فيما يتعلق بشخصها ولا نقول بقلبها وعواطفها فقط، فذلك لم يعجبني لأنني تصورت أن نساءنا قد حصلن على مثل تلك الحرية، وتصورت كيف يتصرفن وكيف تكون حال بيوتنا وأسرنا وتيقنت لذلك أن تلك من عيوب الحرية الشخصية وليست من مزاياها.

ومع ذلك كنت معجباً بالمرأة الفرنسية من ناحية مظهرها، وفي قدرتها على تجميل ما أعطاها الله من جمال، وليس مجرد إبرازه، ومن مهارتها في العمل أو قل سرعتها في إنجازه، والحرص على ذلك أكثر مما يحرص الرجال المتدينون عليه عندها.

أو هذا هو ما انطبع في ذهني آنذاك.

واليوم وقد أفاء الله علينا من نعمه، وأدرَّ علينا من فضله وكرمه، قد صارت مدننا أو أجزاء منها تنافس باريس في المظهر، وقد تتفوق عليها في ذلك، وبخاصة بالنور المادي المتمثل في استعمال الكهرباء في البيوت وفي المحلات العامة، ولذلك صرنا لا نرى في باريس اليوم ما كنا نراه فيها بالأمس من الناحية المادية المجردة، فليست بالفاخرة عندنا ولا بالمثل الأعلى في المدن.

ولكن:

ولكن الشيء الذي يؤسف له أن المسلمين من إخواننا في شمال إفريقية وفي غيرها صاروا يقصدون باريس لكونهم يجدون فيها العمل والحكم بالقانون الذي يشمل الجميع أكثر مما يجدون ذلك في بلدانهم، حتى صار ذلك سبة للمسلمين ومفخرة لأولئك الفرنسيين.

وهذا بلا شك ناشئ عن تقصير الحكومات في البلدان الإسلامية في توفير الأعمال لأبنائها نتيجة لعدم الجد والإخلاص من الحكومات في هذا الأمر مع أن المسألة كلها هي بسببها.

وإنه لمما يدمي الفؤاد أن يرى المسلم إخوانه يتهالكون على الهجرة إلى أوروبا في مقدمتها باريس هذه، وحتى إذا سُدَّت دونهم الطرق المعروفة صاروا يسبحون في مياه البحريين طنجة والساحل الأندلسي الذي كان من ممتلكات العرب لقرون متطاولة، ولكنهم كما قال الشاعر:

أوتيت ملكاً فلم تحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك يُخلَعُه

وقد صار بعضهم طعماً لأسماك البحر إذْ غرقوا في البحر قبل أن يصلوا إلى هدفهم الأوروبي.

مجاملة غير منتظرة:

جاء إلينا الأخ يوسف محمد باوندي مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي في باريس يحمل جوازينا وعليهما سمة الدخول من سفارة (هايتي) في باريس: وقال: إن القوم قد رحبوا بذلك حتى إنهم جاملوكم وأعطوكم السمة دون مقابل حتى للجواز غير (الدبلوماسي) وهو جواز مرافقي الأستاذ (رحمة الله بن عناية الله).

قال: وقد أعطوكم إقامة لستة أشهر! وكيف لنا أن نقيم فيها ستة أيام؟

يوم الأربعاء: ١٤٢٠/١٢/٩هـ- ٢٠٠٠/٣/١٥م:

السمة الكوبية:

ذهب الرفيقان رحمة الله ويوسف باوندي بالجوازين إلى سفارة كوبا ومعهما مذكرة السفارة السعودية في باريس لكون جوازي (دبلوماسياً) لابد من أن يكتب معه كتاب من السفارة السعودية إلى السفارة المعنية حسب الأصول، فلم يبالوا بكتاب السفارة وإنما قالوا نحن نعطيكم السمة ولكن بمقابل ٣٠٠ فرنك فرنسي أي نحو خمسين دولاراً أمريكية لكل جواز، حتى الجواز الدبلوماسي، وهذا خلاف المعتاد، وزادوا في تصرفهم بخلاف المعتاد أن وضعوا السمة في ورقة منفصلة عن الجواز، وقالوا: هكذا نفعل بالجوازات، وربما كان ذلك بسبب مقاطعة الولايات المتحدة الأمريكية لكوبا.

ولم أخرج مع الأخوين، بل بقيت في الفندق حتى عادا في الثانية عشرة.

وفي الساعة الواحدة ذهبنا إلى مطعم لبناني فتغدينا فيه غداءاً ممتازاً فيه الحمص والمتبل والسلطة الفاخرة التي وضعوا فيها نوعاً من الجبن ومع ذلك عصير البرتقال ثم الطبق الرئيسي من الشواء الجيد، وكان ثمنه لكل واحد نحو ٢٥ دولاراً وهذا ثمن رخيص بالنسبة إلى نظافة المطعم وكون طعامه فاخراً.

والمعروف في العالم أن المطاعم اللبنانية تعتبر من المطاعم الفاخرة، ويدل على ذلك أن هذا المطعم غير بعيد من الفندق الذي ننزل فيه وهو فندق إبيس فهو يقع في المنطقة الخامسة عشرة من باريس أو (باريس ١٥) كما يعبرون به.

ومع طيب موقعه غير بعيد من برج إيفل فإن الغرفة فيه رخيصة إلى درجة لا نصدق! وهي بـ٤٧٠ فرنكاً فرنسياً ويساوي ذلك نحو ٧٥ دولاراً أمريكية مع أن له قاعة استقبال جيدة وطعام الإفطار داخل في الأجرة أيضاً.

وكنت نزلت إلى قاعة الاستقبال في الفندق فرأيت من كثرة السياح والنزلاء وتنوع جنسياتهم ما لا يجتمع مثله إلاّ في باريس، وعرفت أن هذا الفندق سياحي

من كثرة المجموعات السياحية فيه التي عمادها الأوروبيون ومن يشبهونهم كالأمريكيين، وأقلية من سكان الشرق الأقصى كاليابانيين.

أما العرب فإنهم ليسوا كثرة، ولكنهم موجودون على هيئة أفراد وليس على هيئة مجموعات.

يوم الخميس: ١٤٢٠/١٢/١٠هـ- ٢٠٠٠/٣/١٦م:

عيد باريس:

يقع مكتب رابطة العالم الإسلامي قريباً جداً من فندقنا (فندق ابيس) إذ كلاهما في المنطقة الخامسة عشرة من باريس، وليس ذلك فحسب وإنما هما قريبان بحيث نذهب من الفندق إلى المكتب سيراً على الأقدام، وقال لنا الأخ يوسف محمد باوندي مدير مكتب الرابطة: إن الذي سيؤمنا لصلاة العيد في مسجد للرابطة الملحق بالمكتب هو الشيخ فلان الذي جاء من المملكة في عطلة العيد إلى باريس، فقلت له: إذا كان الأمر كذلك فإننا نكون كالذي ردت بضاعته إليه، ونحن نريد أن نرى صلاة العيد، ونطلع على جديد في كيفية أدائها لذا سوف نصلي إن شاء الله صلاة العيد في (مسجد باريس).

وسمي بذلك لأنه أول مسجد كبير في باريس شاركت عدة دول في بنائه لأول مرة.

فأخذنا عنوانه من الأخ يوسف باوندي، وركبنا مع سائق أجرة أخذ أجرته ٤٥ فرنكاً فرنسياً عندما وصلنا إلى المسجد.

وكان الأخ يوسف قد أخبرنا أننا يجب أن نبكر في الذهاب إلى المسجد لأن الصلاة تقام في الثامنة والنصف ولكن يجب أن نحضر في السابعة والنصف وإلاّ لن نجد مكاناً فيه.

وخرجنا بالفعل في السابعة والنصف ووصلنا بعد ربع ساعة فوجدنا الشرطة قد منعوا وقوف السيارات، بل مرروها من الشارع الرئيسي للمسجد وهو يقع على

أربعة شوارع، وذلك من أجل إفساح المجال للمصلين الذين يضيق بهم المسجد، لذلك سرنا على أقدامنا إلى الباب فرأيت عدداً من السائلين المستجدين (الشحاذين) أكثرهم من النساء، ذوات المظهر الجيد في اللباس والغذاء، بل إن أوزانهن ثقيلة وبعضهن معهن أطفالهن وهن يسألن ويستجدين جالسات على الرصيف باللغة العربية الواضحة بلهجة مغربية بينة، ذكرتني بما رأيته من كثرة الشحاذين في المغرب الشقيق الذي انتقده على الإخوة المغاربة وعندما تكرر أمامي في مدن المغرب كافة أسميت المغاربة (شحاذي العرب) هذا مع العلم بأن المغاربة هم أكرم العرب المعاصرين على الإطلاق وهذا أمر جربته وتأثرت منه ولكن (الشحاذة) داء موجود في طبقات من الناس لاشك في أنها تجد من يشجعها من الناس فيعطيها، وإلا لأقصرت عن ذلك.

دخلنا إلى المسجد فرأيت الناس ينزلون درجتين إلى مسجد كامل ذي محراب إلا أنه ليس بمسجد باريس الذيّ عرفته من قبل، وتبين أنه طابق أرضي فتركناه إلى المسجد الرئيسي الذي نعرفه ودخلنا إلى صحن المسجد وهو الأروقة التي تقع بينها والفناء المكشوف، وهي جميلة مجملة، بل غاية في الجمال لأن حيطانها مكسوة بالفسيفساء الأندلسية وقد جلس فيها الناس وكانوا فرشوا الصحن أيضاً بفرش خفيفة ليصلي فيها الناس، ومن حسن الحظ أن الجو لم يكن ماطراً وإن كان غائماً.

ثم دخلنا المسجد الرئيسي فوجدناه مزدحماً بالفعل فهو ممتلئ حقاً، ولكن بعض الناس كانوا يجلسون بين الصفوف، ولما كنا نريد أن نرى ونعرف فقد دخلنا فيه واستأذنت من إخوة في الصف أن أجلس أمامهم في الفرجة بين الصفين مع أن ذلك يمنعهم من أن يصلوا، ولكن ربما يجدون فسحة عند الصلاة فوافقوا على ذلك فجلست شاكراً ومما سهل الأمر أنهم مثلنا لا يصلون سنة المسجد بعد صلاة الصبح، فجلسنا مباشرة في المسجد مثل غيرنا، ولم أر شخصاً واحداً تنفل قبل جلوسه.

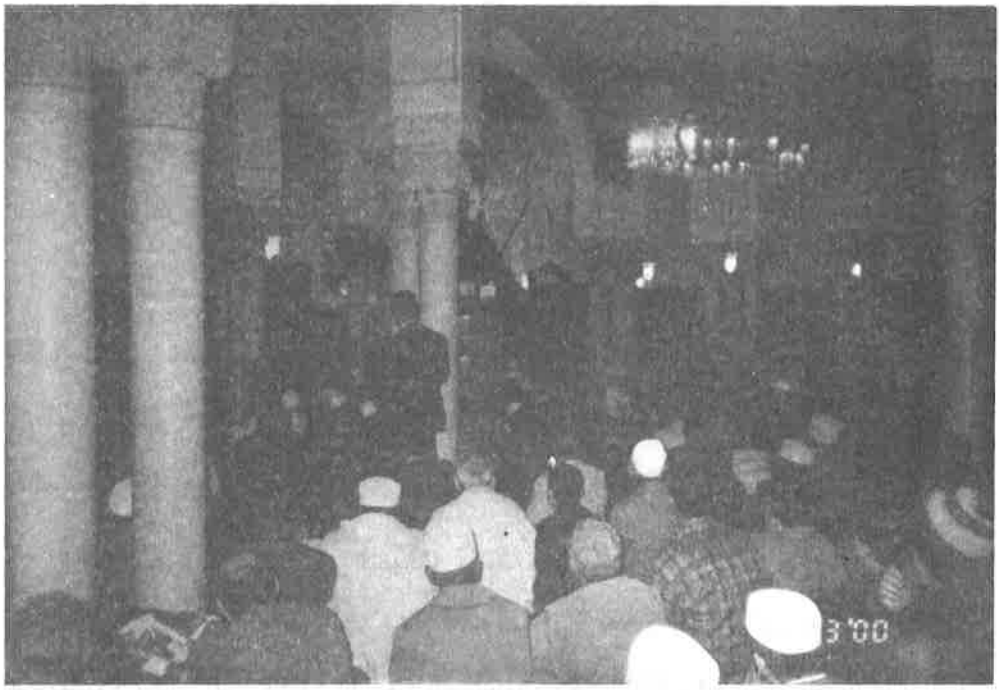

المصلون صلاة العيد في جامع باريس

كان جماعة المسجد يهللون ويكبرون ويسبحون بصوت جماعي منغم لا يفترون ويبدو أنهم يفعلون ذلك طائفتين أمام مكبر الصوت، وهم يقولون (سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد) فلا يقولون مثلنا (الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلا) ولاحظت أن المصلين ينتمون إلى جنسين لا ثالث لهما إلا على ندرة الأول: الإخوة من شمال إفريقيا والغالب عليهم المغاربة والثاني: الإخوة الأفارقة وهم من إفريقية من أقطار متعددة لأن ألوانهم ومظاهرهم تختلف ما بين السواد الخفيف (الرمادي) وما بين السواد الحالك.

والجميع عليهم السكينة ويغلب عليهم التسامح، فلم أرهم يتشاحون في الجلوس أو ينكرون على من يمر أمامهم، مع أن المار وهم قلة يتأنون ويمرون بأدب.

كانت الفرقة التي تهلل وتسبح وتكبر بلفظ جماعي لا تفتر ويتابعها بعض الناس من الحاضرين أحياناً، وفي أكثر الأحيان هم ساكتون.

كنت أحمل مصورتي وسجادة صلاتي احتياطاً لعدم وجود مكان في المسجد المفروش ولكن لم أحتج لسجادة الصلاة.

أما المصورة فإنني في آخر المسجد، ولذلك لا أستطيع أن أصور إلا أقفية الناس لأنني خلفهم، إضافة إلى وجود مصابيح مضاءة في جوانب المسجد ومقدمته قد تمنع وضوح الصورة، ومع ذلك جربت صورة واحدة فالتفت الجميع إليَّ كالمستنكرين ولم أرَ أحداً غيري يحمل مصورة، فضلاً عن أن يقوم بالتصوير.

لقد أحيط المسجد من الجهات الثلاثة غير جهة القبلة بأفاريز من الخشب المشغول المجمل وفيه في أعلاه شرفات صغيرة منه رأيت الناس يعلقون عليها معاطفهم، وحتى في الجهة الرابعة المعاكسة لجهة القبلة وهي التي يدخل منها إلى المسجد جعلوا رفوفاً من الحديد أو الخشب لوضع الأحذية عليها داخل المسجد، فكان الرجل يضع حذاءه ويعلق معطفه داخل المسجد.مع أنه فيما يتعلق بالحذاء لم أر الناس يحاذرون من سرقته أو استبداله، وقال لي شاب مغربي: إنكم تستطيعون أن تتركوا أحذيتكم خارج المسجد مثل هذه الأحذية الكثيرة، ولا تخشون عليها من الضياع أو السرقة، ولكن يستحسن أن تضعوها في كيس، ثم أحضر لنا كيساً من اللدائن لا أدري من أين أحضره وضعناها فيه وتركناها بين عمودين متجاورين من أعمدة الرواق حتى انقضت الصلاة.

وهذا أمر جيد، إذْ صار الناس في المساجد الكبيرة يخشون على الأحذية الجيدة من السرقة حتى في الحرم المكي الشريف، لأن هناك من لا ذمة لهم ولا يخافون الله تعالى يسرقون الأحذية.

وتحضرني بهذه المناسبة كلمة نقلها الشعراني في كتابه (طبقات الأولياء) في تراجم الصوفية عن أحد الصوفية وسماه وقال: كانت تعرض له حال أي وسوسة أو نحوها، ويفسرون مثل ذلك على أنه كرامة له، لأن عقله انجذب من خوف الله أو نحو ذلك، قال الشعراني- (كان سيدي فلان- يقصده- يقول: النصارى خير من المسلمين)! فلما سئل عن سبب ذلك وكيف يقول وهو صوفي: إن النصارى خير من المسلمين؟ قال: النصارى لا يسرقون المداس من الكنيسة والمسلمون يسرقونها من المسجد.

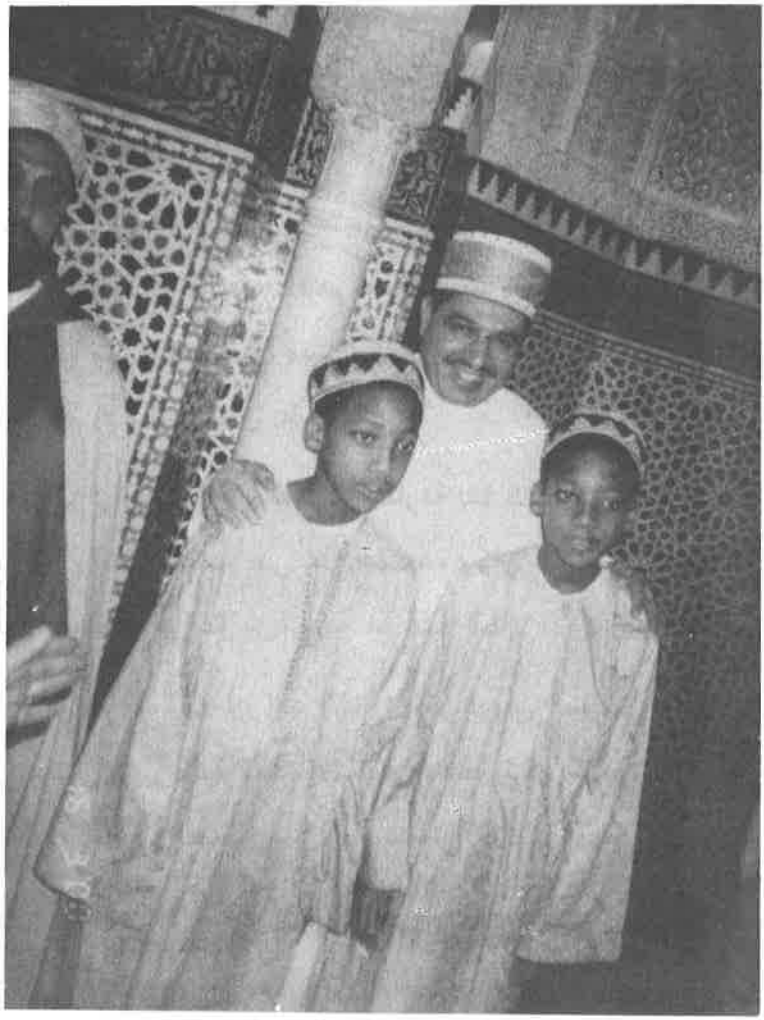

إمام جامع باريس مع فتيين من المصلين صلاة العيد

لقد سررت من النظام والهدوء رغم الزحام في المسجد، ولكن ساءني أن المصلين لا يرى بعضهم بعضاً لأن الذين في المصلى الرئيسي لا يرون الآخرين والذين في الأروقة والصحن كذلك، وكذلك الذين في المصلى الأسفل، فضلاً عن الذين في أرصفة الشارع، وذلك كله لضيق المسجد، وقلت في نفسي: إن باريس مدينة عالمية، وفيها مئات الألوف من المسلمين وعشرات السفارات للدول الإسلامية فلم لا يبنون مسجداً كبيراً جامعاً فيها يتسع في مصلاه الرئيسي لخمسة آلاف على الأقل حتى يرى الناس بعضهم بعضاً ولا يتفرقون فضلاً عن تلافي هذا الازدحام الشديد الذي جعلنا نبقى أكثر من ساعة في الضيق قبل وصول الإمام، ومع ذلك كان المسجد قد ازدحم بنا وبمن جاء قبلنا!

لا شك في أن جامع باريس عندما بني كان عدد المصلين قليلاً وهذا أمر معروف، أما الآن فقد تضاعف عددهم أضعافاً كثيرة، مع وجود مساجد عديدة في باريس تقام فيها صلاة العيد مثل مسجد رابطة العالم الإسلامي الذي ذكرته ونحن في رابطة العالم الإسلامي ننفق عليه.

وأجريت في ذهني بهذه المناسبة مقارنة بما كانت عليه حال المسلمين من حيث العدد بل والكيفية عندما بني هذا المسجد، وكان بناؤه مظهرياً بمعنى من أجل إثبات وجود المسلمين في باريس، وبين ما عليه الحال الآن فأجد البون شاسعاً.

وأذكر بهذه المناسبة أن أحد الإخوة الجزائريين المهتمين بالعمل الإسلامي زارني في مكتبي في رابطة العالم الإسلامي وأخذ يشكو ما صار يلمسه وأمثاله من التعصب ضد الإسلام والمسلمين، بل من البغض المبطن لهم من بعض الناس.

وقال: أنا منذ ٢٥ سنة وأنا أسكن في فرنسا ما رأيت مثل هذا التعصب ضد الإسلام الذي يبديه بعض الفرنسيين في الوقت الحاضر!

فقلت له: هَوّن عليك- يا صاحبي- فما تذكره ليس إلاّ علامة على قوة الإسلام، وأنه قد بلغ مبلغاً جعل المتعصبين من رجال الكنيسة ومن شايعهم يشنون هذه الحرب الضروس عليه، وذلك بخلاف ما كانت عليه الحال في الماضي عندما كان المسلمون ضعفاً، لا يخشى أحد منهم ولا دينهم أن يسيطر في البلاد.

فهذا الذي تشكو منه هو دليل على قوة الإسلام.

وقد دهش الرجل لهذا التعليل، فقلت له: إنني أريد أن أسألك عن أشياء توضح ما قلته وهي على شكل أسئلة:

منها أنه قبل ٢٥ سنة عندما وصلت إلى فرنسا أول مرة كم كان عدد المساجد في باريس؟ وفي فرنسا، وكم هو الآن؟

فقال: لا يمكن المقارنة، لقد تضاعف عدد المساجد عشر مرات مثلاً.

قلت له: وعدد المسلمين في فرنسا أهوَ الآن أكثر أم في الماضي؟ قال الآن أكثر بعشرات الأضعاف.

قلت: وماذا عن إسلام الفرنسيين الأصلاء وبخاصة من الشباب هل هو أكثر الآن أم في ذلك الوقت؟

قال: بل هو الآن أكثر بكثير، وقد دخلت أعداد عظيمة في الإسلام من الفرنسيين الأصلاء حتى إن بعض الأسر أسلمت وصارت أسراً مسلمة.

قلت له: وماذا عن عدد الكنائس التي حولت إلى مساجد منذ أن وصلت إلى باريس أول مرة قبل ٢٥ سنة؟

قال: لا أستطيع أن أحصي عددها!!

قلت له: هل حدث في باريس أو في فرنسا كلها في مقابل ذلك أن حول مسجد إلى كنيسة؟

قال: لا، لم يحدث هذا مطلقاً، ونعوذ بالله من أن يقال ذلك، أو حتى من أن يفكر فيه أحد، لأنه لم يحدث.

قلت: وفي بلادك الجزائر هل حدث أن حولت كنائس إلى مساجد؟ قال: بالعشرات، لأن أهلها الفرنسيين تركوها عندما استقلت الجزائر، وتعطلت حتى بيع بعضها واتخذها مشتروها المسلمون مساجد!

قلت له: وهل حول مسجد في الجزائر طيلة الـ٢٥ سنة إلى كنيسة؟

قال: أعوذ بالله لم يحدث ذلك.

قلت له: إذاً يا أخي يجب علينا وعليك أن نحمد الله تعالى ونشكره، لأن ديننا بستمر من نصر إلى نصر، رغم ما ذكرته من إظهار العداوة له من الأعداء.

العودة إلى ذكر الصلاة:

استمر القوم المكبرون والمهللون جماعياً لا يفترون، واستمر تأخر الإمام وقد ارتفعت الشمس قيد رمح مند وقت طويل، ولكن الإمام لم يدخل حتى رأيت ثلاثة أشخاص متفرقين يخرجون من المسجد ويأخذون أحذيتهم معهم ربما كان ذلك لداعي الضرورة من بول أو نحوه.

وقد اعتدنا في بلادنا طبقاً لما ذكره فقهاؤنا الحنابلة أن يسرع الإمام في صلاة عيد الأضحى من أجل أن يسرع الناس في ذبح أضاحيهم، وأن يتأخروا في صلاة عيد الفطر من أجل أن يتمكن الناس من إخراج زكاة الفطر قبل الصلاة.

ولكن القوم يتبعون المذهب المالكي لأن هذا هو مذهب إخواننا المغاربة في بلادهم كما هو معروف.

المؤلف مع إمام جامع باريس في محراب الجامع بعد الصلاة

وفي التاسعة إلاّ عشر دقائق سكت المهللون المكبرون جماعياً ليقول أحدهم وربما كان المؤذن (الله أكبر الله أكبر) و(ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدوّ والآصال) قوموا لصلاة العيد يرحمكم الله.

نهض الناس فرحين لطول انتظارهم ومنهم نحن، ولكن كيف يصلون وبين كل صفين صف وبخاصة في مؤخرة المسجد التي نحن فيها؟

الواقع، أن تلك مشكلة لم أستطع حلها، فلم أرد مضايقتهم ولكن اثنين كانا خلفي أفسحا لي نصف مكان صليت فيه مع الضيق وقد صنعا إليَّ معروفاً لأن شخصاً أمامي لم يجد لجسمه أي مكان في الصف فاندفع يبحث عن ذلك في الصفوف المتراصة أمامه ولا أدري أوجد مكاناً أم لا؟

وقد عجبت من أن يكون الزحام في الصلاة في هذا المسجد أكثر من الزحام في صلاة العيد أو حتى التراويح من الزحام في المسجد الحرام في مكة المكرمة.

وكنت صليت صلاة عيد الفطر القريب أي من شهرين وعشرة أيام في الحرم المكي فصلينا فيه الفجر ولم نخرج منه انتظاراً لصلاة العيد، ولم يطل انتظارنا حتى دخل الإمام بعد طلوع الشمس بنحو ربع ساعة، فلم يكن الانتظار طويلاً مثل اليوم، ولا كان الزحام شديداً مثله أيضاً، ولا شك أن ذلك راجع إلى ضيق هذا المسجد.

وقد ذكرت بهذه المناسبة أيضاً- وأرجو عفو القارئ الكريم عن هذه الاستطرادات التي مبعثها شعور الكاتب وهو يستعرض ما رآه ويسجله صلاة العيد في مصلى العيد في مدينة بريدة التي ولدت فيها ونشأت فيها وصليت فيها صلاة العيد مع والدي لأول مرة منذ سبعين سنة أي في عام ١٣٥٠هـ وكان عمري آنذاك خمس سنين فأخذني والدي إلى مصلى العيد، فرحاً بي لأنني كنت أكبر ولد له عاش، وإلا فإن سني لا تؤهلني لذلك، وسرنا على أقدامنا من بيتنا في شمال بريدة إلى مصلى العيد في جنوبها.

ثم صليت فيه منذ ثلاث سنوات فلم أره تغير عما كان عليه في القديم.

وأعظم مزية له أن أهل البلدة كانوا يجتمعون فيه على صعيد واحد فيحصل لهم بذلك المقصود من مشروعية صلاة العيد التي هي الاجتماع السنوي الكبير وهو واحد من اجتماعات عديدة شرعها الله لعباده فأولها: اجتماع أهل الحي والجيران

على صلاة الجماعة في المسجد التي تتكرر خمس مرات في اليوم والليلة يليه اجتماع أكبر من ذلك ولكنه أسبوعي وليس يومياً وهو اجتماع أهل المحلة الكبيرة في المسجد لجامع لصلاة الجمعة يلي ذلك اجتماع أكبر ولكنه سنوي وهو الاجتماع لصلاتي العيد على مستوى البلدة لذلك ينبغي أن تصلي صلاة العيد في مكان واسع يتسع لأكبر قدر ممكن من الناس الذين يأتون إليه من أماكن عديدة.

أما الاجتماع الأكبر والأعظم وهو الواجب على المسلم المستطيع حضوره فهو الاجتماع للحج مرة واحدة في العمر إلاَّ من تطوَّع وقدر على ذلك.

فإذا صليت صلاة العيد في جميع المساجد التي تصلى فيها الجمعة لم يكن بينها وبين صلاة الجمعة فرق.

خارج جامع باريس بعد صلاة العيد

وشيء آخر أفرحني في هذا العيد اليوم وهو أنهم صلوا العيد طبقاً لما ثبت في بلادنا وهو الذي ينبغي أن يكون في كل البلدان الإسلامية لأن عيد الفطر الذي يثبت في المملكة العربية السعودية يترتب عليه وقت نسك الحج الذي هو في مكة المكرمة وحدها.

لذا يجب على المسلمين أن يحذوا حذوها وأن يكون توقيتهم في العيد مطابقاً لها، لا كما حدث عندما كنت فيها في جزر الخالدات التي صارت تسمى الآن (جزر الكناريا) وهي تابعة لأسبانيا في الوقت الحاضر فاستمعت إلى الإذاعة المغربية التي كانت تصل إلى تلك الجزر قوية مجلجلة لأنها محاذية لساحل الصحراء الغربية (المغربية) فكانت الإذاعة المغربية تنقل مناسك الحج من عرفات طول اليوم ثم النفرة من عرفات إلى مزدلفة في المساء، وكان المنتظر أن يعيدوا أي أن يصلوا العيد بعد ذلك بيوم مثلما هو عندنا ولكنهم لم يفعلوا ذلك إلا بعد يومين.

فكان المنطق إذاً يقول: إن عملهم في نقل مناسك الحج من عرفة يوم التاسع من ذي الحجة حسبما هو ثابت في المملكة العربية السعودية خطأ لأنه هو اليوم الثامن حسب الثابت عندهم في المغرب أو أن الخطأ هو خطأهم في تأخير العيد يوماً واحداً عن عيد مكة المكرمة!!

صعد إمام المسجد إلى أعلى منبر عالٍ وعليه برنس مغربي أبيض، فما انسجم مع النقوش الأندلسية الموجودة في المسجد، ومع أثاث المسجد ومظهره كله الذي هو مظهر أندلسي، فقال الإمام من على المنبر كما تقول الأئمة عندنا (الله أكبر) مبتدئاً خطبته بذلك كما نفعل، ولكن الشيء الذي لم يكن يفعل عندنا أن أهل المسجد تابعوه بقولهم (الله أكبر) وكأنما كان ينتظر منهم ذلك لأنه تأنى حتى أكملوا الجملة ثم قال: الله أكبر، ونسيت أن أقول: إنه كبر في الركعة الأولى من صلاة العيد سبعاً وفي الثانية خمساً مثلنا.

ثم بدأ بالخطبة، وكلها تدور عن الأضحية وكيف كان الأصل فيها هو فدية إسماعيل الذبيح ثم صارت سنة بعد ذلك، ولم أره رغم تركيزه عليها وتأكيده لمشروعيتها ذكر شروط الأضحية، ومن ذلك ألا تكون فيها العيوب التي يذكرها العلماء وهي أنه لا تجزئ العوراء البين عورها.ولا العرجاء البين عرجها ولا مقطوعة الإذن الخ.

ومن الغريب أنه ذكر أن الأضاحي (واجبة) هكذا ذكر هذا اللفظ ولا أدري أيريد بذلك أنها مشروعة أم هو يريد أنها بالفعل واجبة!

وربما كان تركيزه على الأضحية وتأكيده عليها وبيان فضلها في باب الرد على الذين هاجموا المسلمين في فرنسا لكونهم يضحون بالغنم يوم العيد، وقد تزعمت ذلك الممثلة العجوز المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين (بريجيت باردو) التي كانت ممثلة معروفة في العالم عندما كانت ذات جمال يأخذ الألباب، فقد شنعت على المسلمين في فرنسا وغير فرنسا قتلهم- على حد تعبيرها- الغنم والتضحية بها مما عدته قسوة ووحشية، مع أنها طيلة حياتها تأكل اللحم الذي ذبح لغير الأضحية وهي تعلم- لو كانت منصفة- أن الغنم بل الماشية خلقها الله تعالى لخدمة الإنسان ومنفعته وأن الإنسان لذلك هو الذي يقوم عليها فيعلفها ويرعاها وينتفع بلحومها وجلودها وأصوافها.

ولو فرض أنه لم يذبحها فإنها ميتة لا محالة وسوف تلقى في القمامة كما تلقى جيف الحُمُر والكلاب!

هذا وقد خطب الإمام خطبتين إلا أنه لم يفصل بينهما بجلوس، والثانية تضمنت التوصية بتقوى الله تعالى، ثم عاد إلى ذكر الأضحية قائلاً: إن الفقير من المسلمين الذي لا يستطيع أن يضحي قد ضحى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه ضحى بكبشين أملحين أقرنين قال عند ذبح أحدهما، اللهم هذا عن محمد وآل محمد، وقال عند ذبح الآخر (اللهم هذا عن محمد وعن أمة محمد) ويروى وعمن لم يضح من أمة محمد.

لقد خرج بعض الناس من المسجد المزدحم بعد انقضاء الصلاة إلى خارجه في الصحن والأروقة بحثاً عن السعة فتنفسنا الصعداء.

ولاحظت أنه رغم الازدحام فإنني لم أسمع ولم أر منهم من عطس أو سعل، وهذا عجيب في بلاد باردة مثل باريس.

السلام على الإمام:

بعد انتهاء الخطبة انصرف الناس مسرعين، لأنهم كانوا ظلوا مدة طويلة في المسجد أما أنا فإنني اتجهت عكس اتجاههم إذْ قصدت الإمام لأسلم عليه والتقط معه صورة، فرأيت أن أكثر المصلين كانوا مثلي يسلمون عليه ويعايدونه مثلما أن الذين صلوا بجانبي عايدوني بمعنى مدوا يدهم بالمصافحة، وهم يقولون (عيدكم مبارك).

المصلون يقبلون إمام جامع باريس بعد أن فرغوا من صلاة العيد

سلمت على الإمام الذي ذكر أن اسمه (الزيداوي) ولكنني لم أستطع التقاط صورة معه لكثرة المسلمين المعايدين له.

وقد حضر أحد الإخوة الأفارقة وأظنه مثلي غريبا عن البلدة ومعه ولداه فرجا الإمام أن يلتقط لهما صورة معه وصار يساعده غيره يرجو المعايدين أن يقفوا حتى يلتقط الصورة واغتنمتها فرصة صورة فيها الإمام ومعه الطفلان.

والإمام شاب نضر الوجه بهيُّ الطلعة لا أدري إلى أي قطر ينتمي من شمال إفريقيا، ثم خرجنا من المسجد مع زحام من الخارجين رغم كوننا تأخرنا كثيراً، وعندما خرجنا إلى الشارع كان يموج بالناس حتى أشبه داخل صحن المسجد لكثرتهم وكلهم بين جنسين (العربي المغربي في شمال إفريقيا) والإفريقي.

بجانب جامع باريس خارجاً عنه بعد صلاة العيد مباشرة

وقد كثر الشحاذون الذين يتكلمون كلهم بالعربية، وكلهم من ذوي اللون العربي وليس فيهم من الأفارقة ذوي اللون الأسود أحد.

وقد ظللنا فترة نبحث عن محطة لوقوف سيارات الأجرة وهي في باريس تطلب في هذه المواقف وكل يصفها لنا بعيداً حتى وجدناها بعد وقت فذكرت فضل فندقنا: فندق (ابيس) الذي تقع بجانبه محطة أي موقف لسيارات الأجرة.

ولكن الذي ركبنا معه أخذ منا الأجرة مضاعفة، وعندما استلمها منا ذكر أنه جزائري ولكنه بعيد عن هيئة الجزائريين، وظني أنه يهودي من أصل جزائري.

مغادرة باريس:

ذكر لنا أهل الفندق أنهم لا يسمحون بالبقاء في الغرف بعد الثانية عشرة فنزلنا إلى قاعة الاستقبال ولبثنا فيها فترة كان حارس إفريقي يرانا أمس واليوم ولم يكن عنده أحد في هذا اليوم فتحدث إلينا وتبين أنه سنغالي مسلم اسمه مختار ذكر أنه مسلم ملتزم بأداء الصلاة لا يترك صلاة واحدة وأن أمه الآن في مكة المكرمة للحج.

ثم طلبوا لنا سيارة أجرة كان سائقها كمبودياً عجب عندما ذكرت أنني زرت كمبوديا وكان يعرف كلمات من الإنكليزية.

وكذلك عجب الأخ السنغالي عندما عرف أنني زرت السنغال وأنني سافرت بالسيارة من داكار عاصمة السنغال إلى نواكشوط عاصمة موريتانيا، وقال: أنا والدي موريتاني وولدت في نواكشوط، ربما كان من أهل جنوب موريتانيا الذين هم في لونهم كالأفارقة.

وكانت أجرة الفندق لليلتين مع طعام الفطور والهاتف لأهلي هذا الصباح عايدتهم فيها وذكروا لي أنهم فرغوا من ذبح ضحاياهم بسبب فارق التوقيت وتأخير

صلاة العيد هنا أن دفعت لخازنة الفندق ٢٠٠ دولار أمريكي فردت علي منها ١٤٠ فرنكاً فرنسياً.

وهذا منتهى الرخص بالنسبة إلى باريس.

وقف السائق بنا عند رقم باب كانت الشركة الفرنسية التي سنسافر معها إلى كوبا أعطتنا إياه وانزل حقائبنا من السيارة فأعطيناه أجرة ٢٧٠ فرنكاً فرنسياً أي ١٨٥ ريالاً سعودياً فانحنى بالتحية.

قصدنا مكتب الشركة الفرنسية (إيرفرانس) فكنا السابقين إليه ولم نر غيرنا فيه.

وقد توقفوا عند صندوق من الورق المقوى (الكرتون) كان معنا فيه تمر للإخوة في كوبا فأخبرناهم بما في داخله.

ثم ذهبنا إلى قاعة الدرجة الأولى لإيرفرانس وهي في الحقيقة لدرجة رجال الأعمال في الأكثر لأن هذه الطائرة التي سنسافر عليها ليست فيها درجة أولى وإنما فيها درجة رجال الأعمال المعروفة باسم (بزنس كلاس) وقد ختمت الشركة على تذاكرنا بذلك حتى نستعيد الفرق من السعودية عند الرجوع.

وجدنا القاعة مليئة بما لذ وطاب من الأشربة الباردة والحارة ومن المأكولات الخفيفة والبقول وهي نظيفة وإن لم يكن أثاثها فاخراً فمقاعدها ليست وثيرة والموائد أمامها من الخشب المعتاد.

ولكن كان كل شيء جميلاً، ومن أكثر ذلك جمالاً وأظهره هذه الابتسامات التي تلقاك بها الوجوه الجميلة أو المجملة العاملة في المطار.

وجميع العاملات في هذه القاعة الكبيرة هن من النساء المجدات في عملهن وبينهن واحدة يظهر عليها أنها مغربية.

وقد رأيت في قاعة فندقنا ما كنت رأيته من قبل من حال المرأة الفرنسية خاصة والمرأة الأوروبية على وجه العموم وهي أنها ولو كانت شابة جميلة قد يجاملها الرجال في العادة لجمالها أو كانت عجوزاً محتاجة بطبيعة سنها إلى مساعدة فإنها لا أحد يجامل واحدة منهن، ولا يرى المرء أن أحداً يعتني بهن، فهن يحملن أمتعتهن كما يفعل الرجال وكثيراً ما نرى واحدة منهن تحمل أمتعتها على ظهرها أو تحمل أكثر من حقيبة واحدة في يديها، أو على كتفيها.

كما أنها تدفع ما يترتب على سكناها من جيبها كما يفعل الرجال، لذلك صارت حرة تفعل ما تشاء، ولذلك أيضاً كانت نساؤنا ونحن نحمل عنهن كل شيء مما ذكر خاضعة لما يطلب منها رجالها أن تفعله.

وإن المرء إذا رأى ذلك يعجب ممن يطلب من نسائنا أن يكن كالمرأة الفرنسية أو الأوروبية التي لا يساعدها أحد، ولا يبالي بها أحد، إلا أن يكون من يحبها أو تحبه، فتنفق مثلما ينفق، وتفعل مثلما يفعل لأنها تشعر أنها تستمتع به مثلما يستمتع بها.

من باريس إلى هافانا:

تأخرت الطائرة عن موعدها المقرر الذي كانت الشركة قد ذكرته، ثم أعلنوا الدخول إلى الطائرة فوجدناها بوينج ٧٤٧ المسماة (جامبو) فركبنا في مقدمة الطائرة الذي هو عندنا (درجة أولى) وعندهم درجة رجال الأعمال أو الأفق كما صار يعرف في طائراتنا وهي مريحة إلا أن الفراغ بين صفوف المقاعد هو أضيق مما عندنا.

وقد امتلأت الطائرة بالركاب في درجتيها على سعتها مع أنها رحلة تسير مرتين في الأسبوع ولكن طيران كوبا يسير رحلات يومية من باريس إلى هافانا ما عدا يوم الأربعاء ويقبل الناس عليه لرخص سعره، وقد جربت الركوب مع طائرة كوبية منذ ٥ سنوات من (سان هوان) عاصمة (بورتوريكو) إلى سانتو دومنقو

عاصمة جمهورية الدومنيكان، وكلتاهما من جزر البحر الكاريبي فوجدت خدمتهم جيدة وأجورهم أرخص من غيرها، إلا أن سمعتها عند الناس من ناحية الصيانة والعناية بالطائرات ليست بذاك.

أعلنوا أن المسافة إلى هافانا سوف تكون تسع ساعات وثلثاً، وقد غادرت مطار باريس في السادسة والثلث متأخرة ساعتين إلا عشر دقائق عن الموعد الأصلي لها، إلا إذا كان تأخر موعدها إلى هذا الحد بدون أن نعلم به.

وكانت الشمس قد غابت أو أصبحت قرب مغيبها بغيم خفيف إلا أنها ما لبثت أن أشرقت عندما ارتفعت الطائرة ثم ظلت فترة لم تغرب لأننا كنا ذاهبين إلى جهة مغرب الشمس فكأننا نلاحق الشمس، وحتى عندما غربت الشمس عن الطائرة ظل الشفق وهو النور الذي يبقى في الأفق بعد غروب الشمس منيراً لفترة طويلة لما ذكرته من كوننا متجهين جهة الغرب.

وعندما اضمحل نور الشفق تماماً صار الجو كما يرى من نافذة الطائرة مظلماً بل موحشاً لاسيما أن لوحة الطائرة التي أمام الركاب كانت تسجل درجة البرودة خارج الطائرة فتذكر أنها ما بين ٥٧ إلى ٦١ درجة مئوية تحت الصفر، مما جعلني أتصور الفضاء الخارجي بين الكواكب فضلاً عن الفراغ بين النجوم كما هو بارداً مظلماً مفزعاً لا حركة فيه ولا حياة، وأتصور كيف تخترقه أرواح الناس بعد الموت فضلاً عن الملائكة، كما قال الله تعالى ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**﴾.

فظاهر هذا أن الروح مثل الملائكة تقطع في اليوم الواحد من هذا الفضاء الذي لا يتخيل المرء سعته مسافة خمسين ألف سنة من أيام الدنيا وسنواتها في يوم واحد.

وهذه السرعة الهائلة هي التي تناسب هذا الفضاء الكوني الهائل الاتساع.

أما خدمة القوم في الطائرة فإنها متوسطة إن لم تكن أقل من المتوسطة فمثلاً النور الذي يضئ للركاب لم يكن يعمل فوق مقعدي فكنت أكتب على نور جاري في المقعد ذكروا أنه متعطل ولا يمكن إصلاحه الآن.

وقد وجدنا في جيوب المقاعد ثلاث مجلات لم نجد في واحدة منها خريطة توضح خط الرحلة من باريس إلى هافانا.

كما كانت خدمتهم معتادة.

وبعد أن أتمت الطائرة ثمان ساعات من الطيران لم يعرضوا فيها أي شريط سينمائي يقطع الوقت كما تفعل شركات الطيران الكبيرة، أوقدوا المصابيح وكانت مطفئة ليتيحوا النوم للركاب، وسعوا في طعام فطور، ثم قدموه غير جيد إلا أن الجيد فيه أنه ليس فيه لحم خنزير ولا ما أشتق منه مثلما أن العشاء ليس فيه شيء من ذلك، وهذا من العجائب السارة ألاّ يكون في الوجبتين شيء من لحم الخنزير.

ومن الأشياء السارة في هذه الطائرة الفرنسية الكبيرة أن التدخين ممنوع في كل الدرجة التي نحن فيها، وهي درجة رجال الأعمال بمثابة الدرجة الأولى في السعودية، إلا أننا عانينا من أذى التدخين في الدرجة الأولى السعودية التي ركبنا معها من جدة إلى باريس لأن منطقة غير المدخنين مجاورة للمدخنين وقد جعلوا المقدمة لغير المدخنين، وهذه أفضل مع أن الرحلة هنا أطول إذْ تزيد على تسع ساعات كما سبق.

ثم استمر الطيران فوق موقع مظلم هو بلا شك مياه البحر الكاريبي المنسوب إلى قبائل الكاريب من السكان الأصلاء الذين كانوا موجودين في المنطقة قبل وصول الأوروبيين.

وقد فني الكاريب أولئك وانقرضوا إذْ أفناهم الأوربيون بحجة أنهم كانوا يقاومونهم بدرجة من العداء بلغت أنهم كانوا يأكلون من يقع في أيديهم من

الأوربيين، وكانوا يأبون الضيم بحيث كانوا يقتلون أنفسهم لئلا يقعوا في قبضة الأوروبيين، وأشهر ما عرف عنهم في هذا الصدد هو أن آخر جماعة من سكان جزيرة (قرينادا) من الكاريب تحاربوا مع الفرنسيين، فلما رأوا ألاّ قبل لهم بالفرنسيين لوجود أسلحة معهم ليست مع الكاربيين انتحروا انتحاراً جماعياً بأن ألقوا بأنفسهم من رأس جبل معروف هناك بأنه مقتلة الكاريب.

ولا يوجد منهم الآن إلا جماعة يسيرة في جزيرة دومينكا في البحر الكاريبي وهي غير جمهورية الدومنيكان التي عاصمتها سانتودمنيقو اعتصموا في جبال منيعة فيها وبقوا هناك، وقد استغلوا بقاءهم فيها في الحصول على أموال من تنظيم رحلات سياحية يعرضون فيها فنونهم، وأهم ذلك هو مشاهدتهم أنفسهم ورؤية أولئك القوم الذين أبوا الخضوع للأوروبيين.

الهبوط في مطار هافانا:

بعد أن انقضت على بدء طيران الطائرة من باريس ٩ ساعات بدأت وكأنها تهدأ من زمجرتها وبدت كأنها تنزلق في الجو انزلاقاً لأن هدير المحركات صار كالحفيف الرتيب، وبدت أنوار خافتة على البعد من جزيرة كوبا الكبيرة الممتدة، وأضاءوا إشارة ربط الحزام وكانت أحزمتنا مربوطة قبل ذلك حذراً من أن يحدث شيء للطائرة كما حدث قبل سنوات لطائرة من طراز ٧٤٧ (جامبو) مثل هذه تابعة لشركة خطوط (تايوان) إذ توقف اثنان من محركاتها وهي على ارتفاع ٣٦ ألف قدم فوق مياه المحيط الأطلسي فهوت كما تهوى لعبة الطفل من بين يديه، فصار الركاب الذين لم يحزموا أنفسهم إلى المقاعد كالكرات التي يقذف بها الأطفال وصار سقف الطائرة يقرع رؤوسهم فيهبطون إلى المقاعد أو على رؤوس غيرهم ثم يعاودون الارتفاع ، أما من ربط نفسه إلى الحزام فقد سلم من ذلك.

وفيما يختص بنهاية هذا الأمر فهو أن المحركين اللذين تعطلا وربما قيل: إنهما المحركان كانت تعطلت فقد عاودت الاشتغال والطائرة على ارتفاع عشرة آلاف قدم عن سطح المحيط فعاد فيها كل شيء إلى طبيعته.

وبدت أنوار الجزيرة خافتة ليست متصلة رغم اقترابنا منها، وقدرت أن تلك الأنوار منبعثة من منطقة ريفية لأنها متباعدة ضعيفة، ثم مررنا بتجمع سكني ربما كان قرية ونحن لا نرى في هذا الظلام الدامس إلا بصيص هذه الأنوار.

ووردت إلى ذهني صورة زعيمها القديم الممتدة زعامته (فيدل كاسترو) الذي كان ملأ الأسماع والأبصار في تلفازات العالم وإذاعاته عندما كان للشيوعية بأس شديد، وعندها قوة من الحديد سلاحاً تشهره في وجوه أعدائها، وتمنحه بيعاً أو هبة لأصدقائها.

وما يزال كاسترو هكذا في بلاده حتى قيل: إنه منذ سنوات قليلة لا يزال يخطب كل يوم بمعدل ساعة كاملة، بمعنى أنهم وزعوا خطاباته أو خطبه في الشهر الواحد فوجدوا أنه يخص كل يوم ما لا يقل عن ساعة من ذلك.

وفكرت بأنه نظام شيوعي يقيد الدخول بالعملة الأجنبية ومعي ٦٠ ألف دولار من أجل أن أدفعها للإخوة المسلمين في البلدان التي نزروها في المنطقة، وإن السمة التي منحونا إياها في سفارتهم في باريس ليست (دبلوماسية) بل هي معتادة، وتلك لا تعفي حاملها من تفتيش أمتعته عرفاً.

ثم وصلنا إلى القرب من أطراف المدينة فرأيت فيها شارعاً أصغر أي مضاء بالنور الأصفر واحداً ليس طويلاً، والنور الأصفر دليل على أنه شارع سريع كما هو معروف.

ثم هبطت الطائرة: في مطار ذي مدارج طويلة وأعلن مكبر الصوت في الطائرة أن درجة الحرارة في هافانا هي ٢٤ درجة مئوية وهذه درجة حارة في الليل:

وكان هبوطها في الرابعة إلا الثلث بعد منتصف الليل بتوقيت باريس التي أقلعنا منها، وهي العاشرة إلا الثلث بتوقيت هافانا فبينهما في التوقيت فرق ست ساعات وعلى هذا يكون فرق التوقيت بينها وبين بلادنا ثمان ساعات بمعنى أن الشمس إذا غربت عندنا يكون قد بقي على وقت الغروب في هافانا ثمان ساعات.

ومن الطريف أن الطائرة الفرنسية هذه كانت طول الرحلة تعلن بشكل مطول وكثير بالفرنسية وبلفظ مختصر بالإنكليزية لا تزيد، ولكنها نطقت بالإسبانية عندما حطت في المطار ولم تتكلم بها قبل ذلك.

ومعلوم أن الإسبانية هي لغة لكوبا ولغة أمريكا الجنوبية كلها ما عدا البرازيل وأما جزر البحر الكاريبي الذي تعتبر (كوبا) أكبر جزره فإنها تتكلم عدة لغات حسب لغة الأمة التي استعمرتها وأكثرها الإنكليزية والإسبانية كما في كوبا وجمهورية الدومينكان التي تقع في الجزيرة المجاورة لكوبا وهي جزيرة هسبينولا.

أما الإنكليزية فإنها لغة جامايكا وترينداد وباربادوس ودومينكا وسانتا لوسيا وأما الهولندية فإنها لغة كورساو ونصف جزيرة سان مارتن، والفرنسية لها نصيب كبير في هايتي وقوادي لوب والمارتنيك.

وليس للعربية من ذلك نصيب مع الأسف، مع أنها كانت سيدة إسبانيا التي أنطقت هذه الجزر بلغتها.

ألقموا باب الطائرة باب دهليز متحرك مما كان مفاجأة لي فقد كنت أظن أن مطارهم ليس مجهزاً بذلك على اعتبار أنها دولة شيوعية تقاطعها الولايات المتحدة الأمريكية وتحاربها حرباً اقتصادية لا هوادة فيها، وهي حرب مستمرة منذ أكثر من عشرين سنة.

ثم كانت المفاجأة الثانية أن معظم الذين استقبلوا الطائرة من موظفي المطار يغلب عليهم البياض وكنت ظننت أنهم مثل أهل بورتوريكو وسانتو دومنقو قد تغيروا

نتيجة لتأثير الطقس، وللتزاوج مع السود الذين يكونون الأكثرية من سكان الجزر الكاريبية في الوقت الحاضر، وإن لم يكونوا أصلاء في المنطقة، إذْ كانوا من أنسال العبيد الذي نهبهم الأوربيون من البرتغاليين والهولنديين وباعوهم في هذه الجزر وفي الأمريكتين الشمالية والجنوبية من أجل القيام بالأعمال الزراعية الشاقة، وبخاصة في مزارع السكر فيها قبل اختراع الآلات الزراعية الحديثة الضخمة في الزراعة حيث تتطلب مجهوداً جسمانياً لا يصبر عليه السادة الأوربيون المستعمرون.

هذا وربما يعود بقاء الكوبيين على بياض اللون النسبي هو بعد موقع جزيرتهم عن خط الاستواء بعداً نسبياً وبخاصة جهتها الشمالية التي تقع فيها العاصمة.

كانوا حجزوا ركاب السياحية عن الخروج من الطائرة حتى يخرج ركاب الأولى لذلك أسرعنا إلى مكاتب الجوازات عبر ممر طويل بدا منه المطار جيد التأثيث والتجهيزات، ثم نزلنا مع درج كهربائي متحرك إلى حيث مكاتب الجوازات التي كانت كثيرة إلى درجة أننا وجدناها اثني عشر وعلى اثنين منها امرأتان أحدهما كأنها من بدو أهل نجد في اللون، وأما التقاسيم فإنها غير ذلك، والأخرى سوداء إفريقية سواداً غير حالك ولكن تقاسيم وجهها هي تقاسيم الوجوه الإفريقية وهي أعلى من غيرها رتبة لأننا وجدناها على مكتب كتب عليه (V.I.P) أي شخصية مهمة.

كانوا ينتظروننا:

زيارتنا إلى كوبا هي سياحية هكذا أخبرناهم وكذلك ستكون، ولكن سفارتهم رأت جوازي (دبلوماسيا) فأخبرت حكومتها بذلك، لأن قدوم شخصية سعودية تحمل جواز سفر دبلوماسياً أمر له أهميته عندهم، لعدم وجود علاقات سياسية، بل ولا غيرها ما بين بلادنا وكوبا.

فجاء ضابطان وتعرفا إليّ وأخذاني إلى هذا المكتب الذي عليه الضابطة السوداء، ولكن صاحبي وهو الأستاذ رحمة الله بن عناية الله كان ذهب إلى مكتب عليه الناس في يكتبون في بطاقات القدوم، ولم يكونوا أعطونا إياها في الطائرة.

وجاء ضابط أكبر في سنه وفي مظهره وهو أبيض كأنه سوري أو لبناني فحيانا بأدب ثم تركنا مع الضابطين اللذين أدخلانا دون سوانا في المكتب لا يقف أمامه أحد وأخذا يتأملان الجواز والتذكرة حتى إن أحدهما ظل فترة يملي على الآخر خط السير الموجود في تذاكرنا وهو خط طويل، وهما يتعجبان من ذلك، ويقولان لنا: أتذهبون إلى كل هذه البلدان؟

فقلنا: نعم، ثم ختما الجوازين، ورحبا ترحيباً حاراً وهما يودعاننا.

فانتقلنا إلى حيث تسلم الحقائب من سيور معتادة إلا أن عربة اليد التي تحمل عليها الأمتعة مربوطة لا يفك وثاقها إلا دولار أمريكي واحد يدخل في شق في عمود حديدي بجانبها كما عليه الحال في بعض مطارات الولايات المتحدة الأمريكية.

وكانت تجلس قريباً منا موظفتان إحداهما سوداء والثانية خلاسية اللون، واللون الخلاسي هو الذي بين البياض والسواد، وقد رأتا أننا لم نحسن إدخال الدولار في مكانه ليفك العربة فلم تكلف إحداهما نفسها مساعدتنا.

وعند ضابطة الجمرك وهي سمراء صفراء ضئيلة الجسم كأنها من بدو الجنوب أشارت إلينا بالخروج من دون أن تنظر في جوازاتنا، أو أن تسألنا عما في حقائبنا.

وكانوا قد جعلوا مثل الأوربيين ممرين أحدهما فيه علامة خضراء لمن ليس معهم ما يحتاج إلى رسوم مكس والثانية حمراء.

وبذلك خرجنا إلى القاعة الخارجية للمطار مما يلي المدينة فبحثنا عن مكتب يصرف لنا الدولار، والساعة الآن تجاوزت العاشرة مساءً فوجدنا فيه امرأة قالت: إنها لا تستطيع أن

تصرف الدولار لكونها ليست مسئولة عن ذلك ولكن لا حاجة لكم إلى صرفه لأن الناس يتعاملون به هنا، فصرفنا مائة دولار من عندها بدولارات صغيرة.

ثم إلى موقف سيارات الأجرة ومن بابه مباشرة حملنا شخص بسيارة تشبه (الجيب) اليابانية إلى فندق كانت الشركة الفرنسية ذكرت أنها حجزت لنا فيه وهو فندق (ناسونال)، سألت السائق الذي لا يعرف أي حرف من أية لغة أخرى غير الإسبانية عن المسافة ما بين المطار وقلب المدينة؟ فذكر أنها ١٨ كيلومتراً وظني أنها أكثر من ذلك.

وسار مع شارع غير واسع تتقابل فيه السيارات من غير حاجز، فيما يشبه المنطقة الريفية أو الضاحية التي لم يشملها البناء بعد.

ثم وصلنا المدينة التي بدت في هذا الليل أحسن مما كنا ظنناها عليه حتى وصلنا الفندق الذي نقصده وهو فندق (ناسونال) وكانت الشركة الفرنسية قد ذكرت للأخوين أنها حجزت لنا فيه غرفتين الغرفة الواحدة بأربعين دولاراً غير أننا لم نجد فيه لنا حجزاً، وقال لنا المسئول في الإدارة إن أجرة الغرفة عندنا هي مائة وعشرون دولاراً وليس أربعين دولاراً، فقلنا له: إننا نريد أن نبيت الليلة هنا بما ذكرتم ، ذكر أنه لا توجد لديهم غرف خالية حتى ولا واحدة، ثم تبرع بأن حجز لنا في فندق فذكر أن مستواه هو مستوى فندق (ناسونال) وأن اسمه (فندق فكتوريا).

كما دفعنا لسائق سيارة الأجرة الذي أحضرنا من المطار إلى الفندق أجرته التي طلبها وهي عشرة دولارات أمريكية.

وعندما وصلنا إلى فندق (ناسونال) وجدنا زحاماً حوله ورأيت فتاتين شقراوين عند بابه وفي قاعة الاستقبال فيه تتمشيان ولا أعرف من أمرهما شيئاً، إلا أنني لاحظت أنه لا عمل لهما وكنت جلست في القاعة فترة أمام مكتب الاستقبال

بينما كان صاحبي يحادث المكتب، وربما كانتا جاسوستين، فهكذا تفعل الدولة الشيوعية للتجسس على الآخرين.

ولم أجد من يحسن أن أسأله عن هذا الأمر، وعن جماعة وجدناهم في هذه الساعة المتأخرة وهي الحادية عشرة جالسين على الأرصفة في الطريق عندما دخلنا المدينة ويبدون لا عمل لهم اللهم إلا أن يكونوا ينتظرون الحافلات.

ركبنا مع سيارة أجرة إلى فندق فيكتوريا وليس بعيداً من (ناسيونال) وقد أخذ صاحبه دولارين أجرته.

وجدنا في مكتب الاستقبال امرأة إسبانية خالصة من الذين يوجدون في هذه البلاد ولكن عددهم قليل فأسرعت بإعطائنا مفاتيح الغرف وحمل حامل قوي البنية كالحارس أسود اللون أمتعتنا وأخبرنا أن البطاقة (الكارت) الذي يفتح باب الغرفة هو أيضاً يفتح صندوق الأمانات، الموجود في الغرف وهو الذي تحفظ فيه الأشياء الثمينة وهو مهم لنا، إلا أنني فكرت أنه يمكن أن تكون لديهم نسخة أخرى من هذه البطاقة التي تفتح الصندوق لذلك لم أضع فيه كل ما معي مما أخشى عليه الفقد.

وجدنا غرفة الفندق حيدة كغرف الدرجة الأولى وقد كتبوا عليه أنه من ذوات النجوم الأربع، ولكن الغرفة فوق ذلك ففيها سريران عريضان، وتلفاز معه (فوديو) وتجهيزات الحمام فيها هو تجهيز الحمامات الفاخرة حتى القوارير الصغيرة التي فيها (الشامبو) وقناع الشعر عند الاستحمام موجودة فيه.

والغريب أن المرأة في الاستقبال لم تطلب منا أن ندفع الأجرة مقدمة ولا طلبت الإطلاع على بطاقة الائتمان.

يوم الجمعة ١٤٢٠/١٢/١١هـ- ٢٠٠٠/٣/١٧م:

صباح هافانا:

أزحت ستارة النافذة التي كانت تفتح إلى جهة الغرب من الغرفة فاستقرت عن منظر جزء من المدينة الحديثة نسبياً، إذ حداثتها بالنسبة إلى ما كان قبل الثورة الشيوعية التي مضت عليها نحو ٤٠ سنة فهذا الحي الذي يقع فيه الفندق يعتبر الحي الحديث القديم من مدينة (هافانا) معظم بيوته على أطرزة فنية منها ذات الطراز العربي الأندلسي لأن الذين بنوها هم الأسبان.

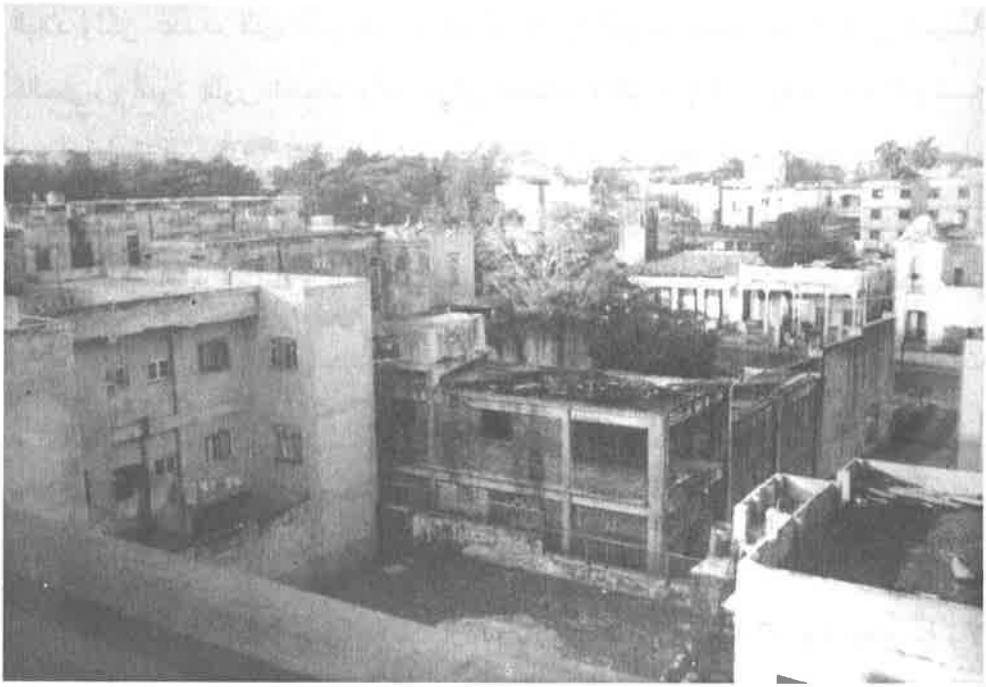

جانب من مدينة هافانا كما التقطتها من نافذة الفندق

ويوم أن ذهبوا إلى أمريكا الجنوبية كان البناء الفاخر عندهم هو الطراز العربي الأندلسي، ولذلك حفلت المدن الاستعمارية التي بنوها في أمريكا الجنوبية مثل ليما عاصمة بيرو وكيتو عاصمة الإكوادور ومدينة بنما عاصمة بنما بالمنازل ذات الطابع الأندلسي الواضح الذي تكون فيه حتى ما يسمى بالرواشين وهي النوافذ الخارجة من الحيطان إلى الشوارع أو الأزقة ولكنها مكسوة بشبك من شباك الخشب المشغول بحيث يتيح لمن يكون داخله أن يرى الناس دون أن يروه، وهذه كانت إلى عهد قريب موجودة في المدينة المنورة ولا تزال موجودة في القسم القديم من مدينة جدة على اعتبار أنها من التراث الوطني في البناء.

وفي هافانا رأيت مع هذه البيوت بيوتاً مبنية على الطراز الروماني، وقليل منها على الطراز القوطي، ولكن تحاصر هذه البيوت من الخلف بيوت حديثة المعمار لا طابع لها لأنها بنيت بعدها.

ومع أن المطر ليس قليلاً في كوبا فإن التشجير في هذه المنطقة ليس واسعاً إلا من أشجار قديمة ضخمة في أرصفة ولا ترى الخضرة كثيرة فيه، ورأيت نخلاً من نخيل الزينة هنا ولم أر النارجيل شجرة البلاد الاستوائية مما يدل على أن موقع المدينة يبعد شمالاً عن منطقة الاستواء إلى درجة أبعد منها النارجيل.

وقد رأيت هذا القسم من المدينة وهو أول ما رأيته في هذا النهار خلاف ما كان في ذهني عن المدينة فهي فخمة جيدة.

ثم نزلنا إلى مطعم الفندق لطعام الإفطار فوجدنا المسئولين فيه امرأة سوداء وهي من أنسال السود الذين أحضرهم الأسبان من إفريقيا في العمل في مزارع السكر.

وقد وضعوا الطعام كما في مطعم (إيبيس) في باريس الذي كنا فيه أمس، مع أن إفطار باريس مجاني داخل في الغرفة وإفطار هافانا هذا يبيعونه بيعاً ولكنه محدد الثمن وهو خمسة دولارات.

صورة أخرى التقطتها من نافذة الفندق لما حوله من مدينة هافانا

وأجمل ما فيه الفاكهة الاستوائية الجيدة وهي الباباي ومعه (الأناناس) الـذي هو غير جيد، ومما يجدر ذكره أن الأناناس هو من فاكهة هذه المنطقة من أمريكـا الوسطى والجنوبية لم يكن معروفاً في العالم القديم قبل اكتشاف أمريكا.

ولم يكن على المائدة أي شيء من الجبن وهذا غريب، ولذلك سألتنا العاملـة عما إذا كنا نريد جبناً مع البيض فقلنا: نعم.

وفي المائدة قطع من البطيخ الأخضر (الحبحب) أو الجح من نوع غير جيد، وبرتقال من النوع الأخضر الجلدة الذي تنتجه المناطق الاستوائية، وما قرب منها، وقطع قليلة جداً من طماطم غير جيدة، وليس في فطورهم أي شراب لا من عصير البرتقال ولا من غيره.

نظرة أولى:

انطلقنا بعد الإفطار في تمشية إلى شاطئ البحر الذي لم يكن بعيداً من فندقنا (فندق فيكتوريا) فرأينا أن هذا الحي يعتبر الحي الفاخر من هافانا قبل الشيوعية، ويسمونها هنا الثورة، وهي ثورة حقيقية وهي شيوعية حسبما صرح به زعيمها (فيدل كاسترو) بعد نجاح ثورته ولا تزال تطبق المبادئ الشيوعية في شمولية الدولة وإشرافها على كل شيء في البلاد.

المؤلف في القسم الحديث من هافانا

انحدرنا من الفندق إلى شاطئ البحر مع شارع عريض شأن الشوارع في هذه المدينة التي هي عريضة واسعة بالنسبة إلى الوقت الذي بنيت فيه، فأعجبني بل راعني طراز بعض البيوت القديمة المعتنى بها حتى إن بعضها لفرط إظهارها بمظهر قديم قد ركبوا تماثيل على مداخلها، وذلك في البيوت ذات الأطرزة الرومانية، وتلك التماثيل من الحجارة المنحوتة أو من الجبس، بحيث قاومت فعل الزمن حتى إن الخراب والإهمال الظاهر في هذه البيوت من تساقط شرفاتها أو من اضمحلال طلائها لم ينل تلك التماثيل والأشياء التزينية الأخرى.

ورأينا سكان بعض البيوت ليست عليهم مظاهر الثراء أو قل مظاهر الذين ينبغي أن يكونوا سكان هذه البيوت العريقة، وذلك ظاهر السبب وهو أن الثورة الشيوعية قد صادرت تلك البيوت كما صادرت غيرها من الممتلكات الواسعة وأسكنت فيها أناساً ممن لا بيوت لهم، فأصبح البيت الكبير الذي كان لأسرة غنية واحدة تسكنه أكثر من أسرة فقيرة، وهي لذلك لا تعتني به لاسيما مع ضيق الدخول ومحدودية الكسب.

ولاحظت أن الأرصفة والشوارع ليست كهذه البيوت، بل هي جيدة حافظوا عليها بالتعهد والترميم، حتى غدا هذا القسم من المدينة شبيهاً بالأحياء الفاخرة في المدن الغنية لولا ما ذكرته من عدم العناية بترميم البيوت الجميلة، وحتى النظافة فإنها هي الغالبة فلا يرى المرء قمامات ملقاة في الشارع كما يحدث في البلدان الشيوعية أو في البلدان التي كانت شيوعية كروسيا ودول أوروبا الشرقية.

أما الشعب الذي رأينا أناساً منه في هذه المنطقة فإنه شعب مختلط منه ما هو مختلط بالفعل بمعنى أن الفرد منه هو ذو مظهر مختلط بين الأسبان ومن هاجر معهم من الدول الأوروبية من البيض وبين السود الذين جيء بهم إلى هذه الجزيرة بل إلى منطقة البحر الكاريبي وبين جماعات من السكان الأصلاء الذين يعرفون بالهنود الأمريكيين أو هنود البحر الكاريبي، ولا يصح أن يقال: إنهم هنود (الكاريب) فأولئك قبائل منهم وإن شئت الدقة قلت: إنهم جزء منهم، وليسوا كل السكان الأصلاء، عندما وصل الأوروبيون إلى المنطقة، ولذلك بقوا بخلاف (الكاريب) الذين انقرضوا كلياً من المنطقة ما عدا عدداً قليلاً منهم التجأوا إلى جبال جزيرة (دومينكا) الوعرة.

ومما ينبغي تذكره أن كريستوفر كولومبس قد رأى أجزاء من جزيرة (كوبا) أول ما رآه من أرض العالم الجديد، وذلك في جنوب جزيرة كوبا، ومن الشائع أن البحار أودونيس البحارة، أو لنقل أحد ذوي الخبرة من العرب الذين يسمون (الموريسكيين) وهم أنسال العرب الأندلسيين المنصَّرين، وكان يرافق كريستوفر كولومبس طائفة منهم شاهد قمة جبلية في جنوب الجزيرة فرآها كالقبة على البعد،

وكان لذلك أعظم الأثر في نفسه ونفوس البحارة بعد الوقت الطويل الفظيع الذي قضوه في مياه المحيط الأطلسي منذ أن غادروا إسبانيا حتى وصلوا من حيث لا يشعرون إلى مياه البحر الكاريبي فصرخ قائلاً (قُبَّة، قبة!) بلغته العربية، فحرفها الأسبانيون وأسموا المكان (قبة) أو (القبة) التي أصبحت بعد ذلك (كوبا)!

إن هذا هو الشائع في سبب تسمية هذه الجزيرة، وسمعت من يقول: إن الأسبان أسموها (كوبا) على لفظ الكوب الذي هو الكأس الذي يشرب به.

وعلى هذا تكون التسمية ذات أصل عربي في كلتا اللفظتين، لان كلمة (كوب) بمعنى الكأس الذي جمعه أكواب لفظة عربية بل قرآنية كما قال الله تعالى ﴿... **بأكواب وكأس من معين**﴾.

ونعود إلى الحديث عن الشعب الذي رأيناه وقد جربت بنفسي أن النظرة الأولى التي ألقيها على شعب أصل إلى أرضه لأول مرة هي النظرة الصائبة لأنها تكون خالية من المؤثرات فلاحظت الفروق الدقيقة بينه وبين الشعوب الأخرى، فالبيض موجودون بكثرة ولكنهم البيض المتغيرون الذين أصبح بياضهم كبياض العرب الشماليين فإذا رايتهم على البعد خيل إليك أنهم من العرب حتى إذا نظرت إلى وجوههم رأيت تقاسيمها غير تقاسيم العرب، بل إن العربي لا يجد في أكثرها جمالاً ولا تناسقاً بين تقاطيع الوجه أو تقاسيمه.

ويليهم (المولاتو) كما يسمون هنا وهم المختلطون الذين سبق ذكرهم، ثم يأتي السود ولا بأس بنسبتهم هنا، وأكثرهم سوادهم غير حالك، وحتى إذا كان حالكاً فإنه سواد ندي ليس مغبراً، ولا خشن الملامح.

وأما السيارات في الشوارع فإنها موجودة ولكنها غير كثيرة وأغلبها من أطرزة قديمة نسبياً.

وفيها سيارات صغيرة من طراز (لادا) الروسي المأخوذ في الأصل من (فيات) الإيطالي، ولكنه هنا أيضاً ليس جديداً، إذْ كانت السيارات وغيرها من السلع

وبخاصة النفط ومشتقاته ترسل من الاتحاد السوفيتي السابق إلى كوبا بالعملة المحلية، وبالمقايضة بالسكر ونحوه من البضائع التي تنتجها كوبا، ولكن عندما سقط الاتحاد السوفيتي، واضمحلت الشيوعية فيه صارت روسيا وريثة الاتحاد السوفيتي تطلب من كوبا ثمن (البترول) وغيره من البضائع بالعملة العالمية الصعبة مما سبب ضيقاً وحرجاً اقتصادياً لكوبا ما زالت تعاني منه ويئن اقتصادها تحت وطأته.

جمعة كوبا:

قال لنا القائلون: إن الجمعة تقام في (بيت العرب) في هافانا وأن المكان الذي تقام فيه الجمعة هو جزء من متحف وليس مسجداً جامعاً وعجبنا من ذلك واستغربناه.

القصر العربي في هافانا القديمة

ولكن إذا عرف السبب بطل العجب فقد عرفنا قصته وهي أن بعض سفراء الدول الإسلامية قد شكوا إلى الحكومة الكوبية من أنه لا يوجد مسجد يؤدون فيه صلاة الجمعة في هافانا وحكى لي بعضهم أن بعض رجال إحدى السفارات الإسلامية قال لوزير الخارجية الكوبية السابق وهو- أي الوزير- من أصل عربي لا أدري أمسيحي أم مسلم: إننا إذا لم توجدوا لنا مسجداً، ومكاناً نصلي فيه فإننا سوف ننظر في العلاقات معكم.

وقد تولى القيام قياماً جاداً بأمر أول مسجد في كوبا وإن لم يكن على هيئة المسجد الكامل السفير النيجيري السابق في كوبا الأخ (يحيى الحسن) فتكلم مع المسئولين وألح في ذلك، ولم يقف عند هذا الحد، بل إنه عمل حتى صار مسجد الجمعة حقيقة واقعة، وذلك بأن الحكومة الكوبية خصصت قاعة في مبنى عربي الطراز، بل أندلسي التصميم والنقوش كان يملكه أحد أثرياء العرب في هافانا القديمة وهو القسم التاريخي من المدينة، وكانت الحكومة الكوبية قد صادرته بعد الثورة في عام ١٩٥٩م من بين ما صادرته من أملاك الأثرياء الكوبيين وعقاراتهم فأعطت جناحاً في الطابق الثاني من هذا المبنى ليكون مسجداً للجمعة،والمراد بأنها أعطته أنها سمحت به لكي يجهز ويعد على هيئة المسجد، وأن تؤدى فيه صلاة الجمعة، وأن تقوم بحراسته وتأمين المصروفات المتكررة له من الماء والكهرباء.

وقد صدع الأخ السفير النيجيري يحيى الحسن بالأمر فجمع من المال ما يصل إلى نحو أربعين ألف دولار من أهل الخير في قطر عن طريق الجمعية الخيرية القطرية للدعوة، وحصل بنفوذه واجتهاده لدى الحكومة الكوبية على فرشه بالسجاد التي كانت الحكومة الكوبية تملكه لأنها كانت صادرته من بعض الأثرياء غير المعروفين، وقد جعل له محراباً وكسي حيطانه بما يشبه السيراميك من الفسيفساء الأندلسية التي كانت موجودة في المبنى من قبل، ولكنها احتاجت فيه إلى ترميم.

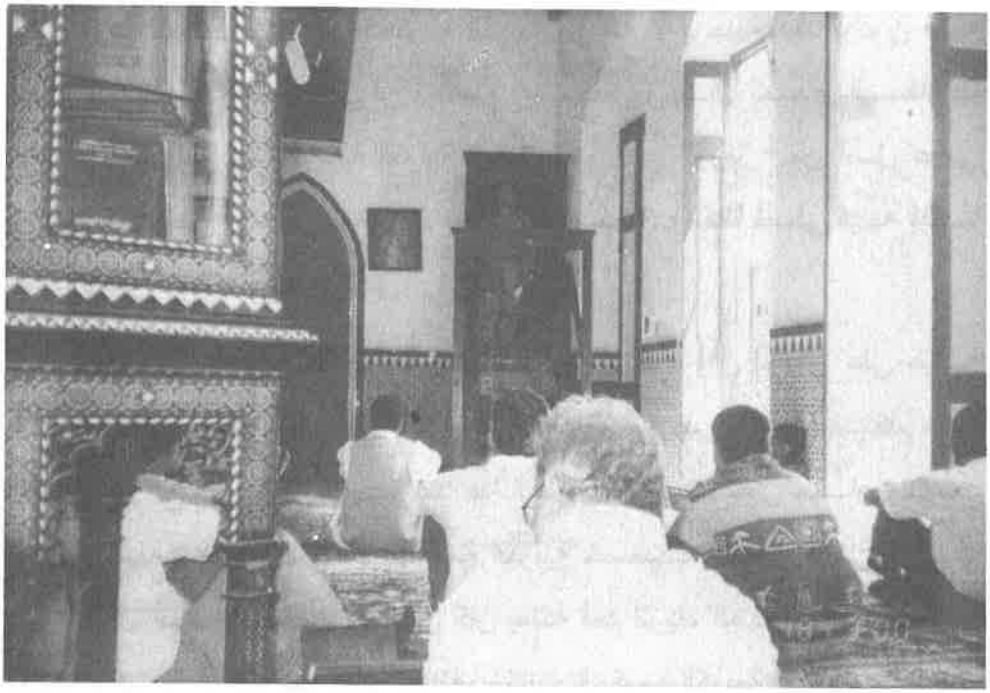

الخطيب على المنبر في مسجد هافانا يوم الجمعة

وقد اقتضى ذلك إلى أن تجعل الحكومة الكوبية المبنى كله على طراز عربي وتجعل فيه مطعماً تشغله لمصلحتها تقدم فيه الطعام العربي، وجعلته أيضاً متحفاً مهماً وأسمت المبنى كله بـ(المبنى العربي).

ممنوع صلاة الكوبيين:

صار هذا المسجد مكاناً جاهزاً جيداً نظيفاً محروساً لصلاة الجمعة كل أسبوع، لا يستعمل لغير ذلك مطلقاً، بل يغلق حتى يحين وقت صلاة الجمعة لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات من كل أسبوع، ولكنه يغلق فيما عدا ذلك، فلا تصلى فيه الصلوات الخمس، وليس له إمام راتب، وإنما يخطب الجمعة بالناس ويصلي بهم أفقههم أو أكثرهم جراة على ذلك إذا كان لديه شيء من الفقه.

وهذا غريب ولكن الأغرب منه أنه يمنع منعاً باتاً أن يصلي فيه الجمعة أحد من الكوبيين المسلمين، فأولئك لا يجوز أن يدخلوه للصلاة، وإنما لهم أن يصلوا في أي مكان آخر غيره علماً بأنه لا يوجد مسجد آخر، ولا حتى مكان مُرخَّص فيه من قبل الحكومة لمن يريد أن يصلي فيه، وليس هذا الكلام مجرد أمر صدر من الحكومة، وإنما هناك (البيت العربي) الذي يقع مصلى الجمعة فيه جنود أشداء يمنعون الكوبيين من دخوله سواء في يوم الجمعة أو غيره وسواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

فلو أراد أخ كوبي مسلم أن يؤدي صلاة الجمعة فيه لم يستطع.

قال لي أحد (الدبلوماسيين) العرب الذين حضروا لصلاة الجمعة: إنه استنكر ذلك عند ضابط من ضباط الأمن، وقال له: الدين الإسلامي يسوي بين الناس في أماكن العبادة، ونحن لا نفهم أن تمنعوا الكوبيين المسلمين من أداء الصلاة في هذا المسجد يوم الجمعة، فأجاب الضابط قائلاً: إن هذا من أجل حمايتكم، فلو فتحنا الباب للكوبيين ليدخلوا فيه لكان من هذا خطر عليكم وأنتم دبلوماسيون وأجانب واجب علينا أن نحميكم!

وهذه حجة داحضة، إذْ بإمكانهم أن يمنعوا غير المسلمين الذين يمكن أن يحصلوا على بطاقة انتساب للإسلام، وإلاّ فإنه لا توجد في كوبا كلها جمعية إسلامية معترف بها من الحكومة يمكن أن تصدر بطاقات انتساب إلى الإسلام، أو حتى شهادات بإسلام المسلمين الجدد.

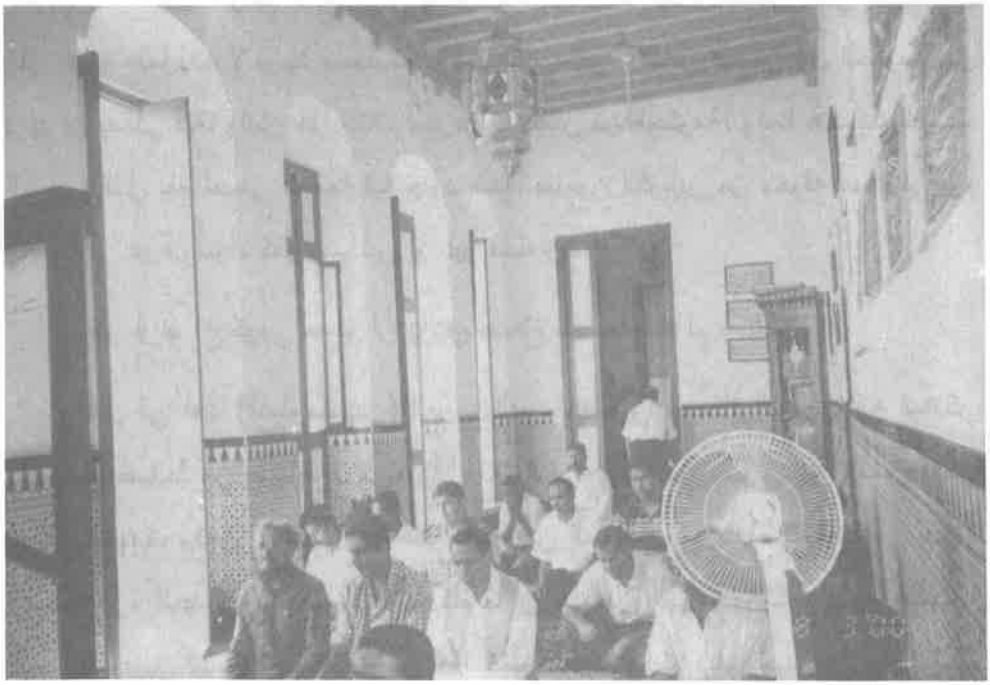

في انتظار صلاة الجمعة في مسجد هافانا

ويسأل المرء بعد ذلك عن الإخوة من المسلمين الكوبيين الجدد، ولفظ (الجدد) هنا لا مفهوم له إلا كونه يخرج (الدبلوماسيين) والعاملين في السفارات والمؤسسات الإسلامية فكل المسلمين الكوبيين هم من الجدد، وهم كثرة قيل إنه بلغ عددهم (٥٠٠) شخص في هافانا، وهذا عدد طيب في بلد بعيد عن الإسلام والمسلمين، بل منقطع عنها ثقافياً قبل الثورة الشيوعية التي حصلت في العقد السادس من القرن الماضي، وهي تسمى نفسها في أول الأمر الثورة الشعبية، إلا أن الأمر فيها تطور إلى الشيوعية أو الاشتراكية الشبيهة باشتراكية الاتحاد السوفيتي المنحل، وبذلك صار مبدؤها الإلحاد، وعدم الإلتزام بالأديان بمعنى عدم أخذها بالاعتبار، فهؤلاء الإخوة المسلمون الجدد لا يمكنهم الصلاة مع إخوانهم المسلمين في مصلى الجمعة، ولا يوجد أي مسجد آخر، بل لا يوجد أي مكان آخر تقام فيه الصلاة، لذلك صاروا يصلون في

بيت أحدهم فترة من الزمن ثم صاروا يصلون في بعض الأحيان صلاة الجمعة متنقلة بمعنى أنها في بيت أحدهم هذا الأسبوع أو لعدة أسابيع ثم يصلونها في بيت آخر لأن عددهم محدود وهم يعرفون أين ستصلى الجمعة.

في مسجد الأجانب في هافانا قبل صلاة الجمعة

وقد اتصل بهم بعض الطلبة العرب الذين يسمح لهم وضعهم بأن يصلوا الجمعة مع إخوانهم المسلمين في مسجد الجمعة في البيت العربي ولكنهم كانوا يذهبون أحياناً إلى أولئك المسلمين الجدد في بيت أحدهم لتشجيعهم والتذاكر معهم لاسيما أنهم كانوا يصلون المغرب والعشاء في هذا البيت على حين أن مسجد الجمعة أو هو (مصلى الجمعة) لا تقام فيه أية صلاة غير صلاة الجمعة.

وقد تجنبت أن أصف هذا المسجد بأنه (مسجد الجمعة) لأن هذا الاصطلاح كان يقال في كتبنا العربية القديمة للمسجد الذي تؤدى فيه الصلوات اليومية إلى جانب صلاة الجمعة.

ويقال له أيضاً (المسجد الجامع) بخلاف المسجد الذي لا تصلى فيه الجمعة وإنما تصلى فيه الصلوات الخمس فقط لضيق مبناه أو لكون مسجد أوسع منه تقام فيه الجمعة قريباً منه.

وهذا المسجد أو المصلى غير ذلك فلا تقام فيه أية صلاة إلاّ الجمعة.

وقد اتصل بعض جماعات التبليغ بهؤلاء الإخوة المسلمين واتصلت بهم من الجمعيات العاملة في سبيل الدعوة في الخارج (جمعية الدعوة) في قطر وساعدت صاحب المسجد الذي تصلى فيه الصلاة من أجل دفع مصروفات الكهرباء والماء وتهيئة البيت للصلاة، فكانوا يدفعون خمسين دولاراً في الشهر له: أي نحو ١٩٠ ريالاً.

وهذا مبلغ ضئيل بالنسبة لما هو عندنا ولكنه عندهم كبير لأن متوسط راتب الموظف هو ما بين ٧ دولارات إلى ١٠ ويوجد موظفون يتقاضون خمسة دولارات فقط في الشهر.

قالوا: فانشق بعض المصلين المسلمين على الجماعة بحجج واهية ربما كان بعضها شخصياً وبعضها ذكروا أنه بدافع الحصول على مثل هذه المنحة، فصاروا يصلون جمعة أخرى في بيت معين، وهكذا صار هناك جمعتان في بيتين ثم جمعة ثالثة في بيت ثالث، وكلها يمكنها أن يتسع لها بيت أو بيتان، ولكنه الخلاف الذي دب بين المسلمين، وسوف نحاول أن نرى بعض تلك البيوت ونصفها عندما نراها بإذن الله.

إلى صلاة الجمعة:

استدعى فندقنا لنا سيارة أجرة حملتنا إلى (البيت العربي) الواقع في قلب مدينة (هافانا) القديمة من فندقنا الواقع في قلب هافانا الحديثة مع أن حداثته نسبية ، فانحدر السائق بسيارته من فندقنا: فندق فيكتوريا إلى شارع الشاطئ وهو عريض جميل تقع عليه أبنية فاخرة إلا أنه أخنى عليه الزمن فاخْلَقَّ ولم يجد من يجدده إلا ما كان من تجديد في الوقت الحالي لبعض هذه البيوت وبعض هذه البيوت ذو أطرزة من الهندسة معروفة منسوبة من الأطرزة القديمة المتميزة.

وعلى يسار هذا الشارع خليج يجري في أقصاه ميناء هافانا قد نهضت منه ولم تنفصل عنه رافعات عديدة ترى من البعد.

ثم تيامن السائق بسيارته إلى منطقة (بورتا اولد هافانا) أي ميناء هافانا القديمة وهو القسم القديم من المدينة الذي يسمى بهافانا القديمة.

وقبل الوصول إلى المصلى أوقف السائق سيارته عند رأس زقاق بل شارع غير واسع وقال: بعد هذا يمنع دخول السيارة، ويمكنكم أن تمشوا بأنفسكم وأشار إلى جهة المصلى.

أعطيناه الأجرة التي طلبها وهي خمسة دولارات، لأن التعامل مع الاجانب هو بالدولار الأمريكي الذي هو الشائع الوحيد لا شائع لك غيره في الحصول على ما تريد من الطعام والشراب إلى السكن إذا كنت أجنبياً فإذا اشتريت من أحد شيئاً بالعملة الوطنية وهي (البيتزو) عدت هذه مخالفة قانونية تستحق عليها أنت ومن باع لك السجن والعقوبة وتكون العقوبة مغلظة بالنسبة للكوبي الذي يبيع على الأجنبي شيئاً بغير الدولار.

ثم نزلنا نتمشى على أقدامنا في شارع ضيق قديم ولكنه جيد قد رصفت أرضه مثل المنطقة التي يقع فيها من المدينة بالحجارة الصغيرة بديلة من الزفت وهو ذو أرصفة جيدة مصونة، بل معتنى بها مما جعلني أعجب، بل يطول عجبي من كون كوبا خرجت عن القاعدة التي تكاد تكون عامة في الدول الشيوعية، والتي كانت شيوعية مثل روسيا التي تجولت في أنحائها وكتبت فيها كتباً بلغت العشرة أو كادت، فرأيت الشوارع والأرصفة فيها مهملة، بل هي مكسرة ومحطمة وبعضها تلف حتى صار لا يوجد في زفته شيء فالشوارع فيها الحفر والنقر، والأرصفة حلت محلها أرض ترابية، سيئة المنظر.

أما هافانا فإن كل شيء مصان، بل مرتب وجميل، وقد نوه كل من بحثت معه هنا بأن هذه الأبنية والشوارع والأرصفة هي قبل الثورة الشيوعية في كوبا وهذا ظاهر لأن عهدها قريب بالنسبة إلى عهود الثورات الشيوعية الأخرى، ولأن أطرزة الأبنية هي تقليدية عريقة وبعضها على طراز أندلسي أحضره المستعمرون

الأسبان لهذه المنطقة، ولا يبنى الشيوعيون مثل هذه الأبنية، ولكن يبقى الإعجاب بهذه البلاد وبثورتها كيف حافظت عليها مثل كثير غيرها من الأبنية والميادين، بل والطرق الواسعة التي زادتها فضلاً عن صيانتها، مما لا يوجد أيضاً في البلدان الشيوعية في أوروبا وآسيا.

ووجدت المارة كثرة في هذه المنطقة وهم الشعب الكوبي العريق بمعنى العريق في التسمية بهذا الاسم، وإلا فإن البلاد الكوبية هي- كما يعرف الجميع- بلاد حديثة التاريخ يبدأ تاريخها المكتوب وتطورها مع وصول المكتشفين الأسبان تحت قيادة كريستوفر كولومبس مكتشف العالم الجديد الذي يعرف هنا باسم (كولون) وليس باسم (كولومبس).

والشعب الكوبي ملون وحتى غير المختلطين في الألوان مع غيرهم من أبناء الشعب هم مزيج فالألوان تتمازج، وإذا فرض أن شيئاً منها تمايز فإن ذلك لا يصل به إلى حد التنازع والسود هنا موجودون أكثر من وجودهم في المدينة الحديثة التي فيها فندقنا ولكن سوادهم نديٌّ جميل.

واللباس في كل المدينة قصير بالنسبة إلى النساء ولا يكاد يصل إلى منتصف الفخذ سواء أكان قميصاً أم سروالاً غليظاً (بنطلوناً)، والأكمام قد تقلصت إلى ما يقرب من الكتف حتى عدمت.

والسياح هنا كثرة كاثرة على هيئة جماعات معهم أولادهم، وكلهم- أي السياح- من ذوي المظهر الأوروبي الذين منهم، أو مثلهم الأمريكيون مع أن الأمريكيين ممنوعون رسمياً من دخول كوبا، ولكنهم مع الحكومة الكوبية يتحايلون على ذلك بأن يعطوهم سمات الدخول في بطاقات منفصلة عن جوازاتهم وحتى أختام الدخول والمغادرة تكون على تلك البطاقات.

وقد فعلت السفارة الكوبية في باريس معنا ذلك دون أن نطلبه أو نرغب فيه، لأننا لا نخشى شيئاً من وجود الختم الكوبي على جوازاتنا فنحن لم نخالف أمراً لحكومتنا في هذا الموضوع، فحكومتنا لم تمنع السفر إلى كوبا، ونحن من العاملين في الحقل الإسلامي في خارج البلاد، وسبق أن زرنا أقطاراً شيوعية عديدة، بل هي كل الأقطار الشيوعية في العالم ماعدا كوريا الشمالية.

وجدنا (بيت العرب) قصراً مبنياً على الطراز الأندلسي إذ هو أقواس أو طيقان- جمع طاق- على هيئة الأهلة فوقها سقوف بالخشب الغالي الفني على هيئة القصور والمساجد القديمة في السقوف، وفي حيطانه أزر من الفسيفساء الأندلسية الخضراء.

المؤلف في محراب مسجد هافانا مع الإمام

وجدنا عند بابه وهو متحف كما قلت، وكما قلت أيضاً: إنه كان يملكه أحد الأثرياء العرب قبل الثورة امرأة عاملة في المتحف سوداء ومعها جندي جاد خلاسي اللون أرشدتنا المرأة إلى المصلى حيث صعدنا مع درج عريض إلى الطابق الثاني، فوجدنا المصلى مفتوحاً فيه أربعة أشخاص اثنان من الطلبة الأردنيين في هذه البلاد أحدهما صغير السن، ومعهما رجل بدأ أنه لا يريد أن يتعرف على أحد، ورجل آخر عراقي المظهر والمخبر، ذكر لنا أنه لاجئ سياسي في كوبا!

قلت له: كيف تأتي إلى كوبا التي تهرب منها أهلها، فقال: أنا لم آت إليها والعياذ بالله وليس فيها خير، وإنما جئت لاجئاً سياسياً إليها لأنها هي البلاد الوحيدة التي تمنح سمات الدخول للعراقيين على أمل أن أنتقل بعدها للولايات المتحدة الأمريكية.

قلت له: تذهب إلى أي مكان؟ قال: إلى ميامي، قلت: يعني متسللاً، فاحتدَّ قائلاً: أعوذ بالله، أنا لاجئ سياسي رسمي قدمت بواسطة هيئة الأمم المتحدة للاجئين وهي تصرف لي ١٢ دولاراً في الأسبوع الآن، وسوف أدخل إلى أمريكا دخولاً شرعياً واضحاً.

ثم أخذ يسب الرئيس صدام حسين، وقال: الشعب العراقي ثلاثة أثلاث، ثلث قتيل، وثلث لاجئ، وثلث سجين!

قلت له: إذاً لا يوجد الآن في العراق أحد؟

فسكت.

وتبين أنه شيعي ذكر الإخوة أنه وزميلاً له لا يحضر للجمعة، جاءا إلى هنا واسمه (فايز عباس).

جلسنا نتحدث في المسجد فدخل أخ تركي وهو يسأل عن محل الوضوء، وقال: سألت عن مسجد أصلي فيه الجمعة فدلني أحدهم على هذا، ولا يعرف إلا

شيئاً من الإنكليزية، ولكن مرافقي الأستاذ رحمة الله بن عناية الله يعرف اللغة التركية فحدثه أنه جاء هنا سائحاً لأنه كان له عمل في مكتب قريب من هنا ثم تركنا وصار يتنفل لأنه لم يستطع حديثنا بالعربية.

وقد صار الناس يتقاطرون أي يأتون واحداً واحداً للصلاة حتى أعجبتني كثرتهم لأنه كان قد بلغني أنه لا يصلي هنا إلا ١٢ شخصاً نصفهم من الكوبيين، وهذا كان في تقرير وصلنا في الرابطة تبين لنا عدم صحته، لأن العدد أكثر ، ولكون المسلمين الكوبيين لا يسمح لهم بدخول المصلى.

حضر أخ من السفارة المصرية ثم اثنان من العاملين في السفارة وقال: كلنا خمسة ولكن يوجد مصريان اثنان في كوبا أحدهما متزوج من كوبية ويقيم بعيداً والآخر من هافانا، وهما كل المصريين الذين نخدمهم في كوبا نحن الخمسة العاملين في السفارة.

ثم حضر اثنان من السفارة الليبية وحضر بعدهما بقليل القائم بالأعمال في السفارة الليبية كما يصف نفسه والإخوة يدعونه السفير، لأنه أعلى رجل في السفارة وهو قائم بأعمال السفير واسمه عبداللطيف... وقد أثنى الإخوة المسلمون على تدينه وسعيه للعمل الإسلامي بقدر طاقته، ثم شخص من سفارة نيجيريا التي كان لسفيرها السابق الفضل في إنشاء هذا المصلى، كما حضر ثلاثة إخوة من السفارة الإندونيسية، مع العلم بأنه يوجد هنا سفارات أخرى عربية كالعراقية والجزائرية واليمانية.

صلاة الجمعة:

حان الوقت فأذن أحد الطلبة الأردنيين داخل المسجد وبدون مكبر صوت بطبيعة الحال، فصعد المنبر الأخ الأردني (وسام... الضلاعين) وهو من الكرك في الأردن وتخرج من جامعة مؤتة في الأردن قسم كلية الشريعة وهو ذو اتجاه

إسلامي متحرك وقد جاء زائراً لأخيه الدكتور (سايد... الضلاعين) الذي يدرس الصيدلة هنا وسوف يأتي الحديث عنه.

كان الأخ وسام يحمل معه ورقة مطوية في يده، ربما كان يريد الرجوع إليها عند الحاجة، ولكنه لم يفعل ذلك بل اندفع يخطب بفصاحة وبلاغة لا تعرف اللحن فألقى خطبة ركز فيها مثل خطيب جامع باريس أمس على فضل الأضحية وبيان حكمها.

ثم خطب الخطبة الثانية فألقاها مضبوطة أيضاً وخطبته على وجه العموم مختصرة وافية، ولم ألاحظ عليه أي لحن ولم يورد أي حديث على غير وجهه، بل لم تكن لي عليه أية ملاحظة إلا أنه نسي- كما قال- أن ينصرف إلى المأمومين بوجهه بعد انقضاء الصلاة.

وقد هنأته على خطبته وحفظه للنصوص من الآيات القرآنية والأحاديث والآثار التي أوردها في الخطبة.

ثم التقطت معه صورة تذكارية في المحراب الذي لا يختلف عن محراب أي مسجد آخر، ولاحظت أن المسجد فيه لوحات عديدة كلها بالعربية من أحاديث وآيات قرآنية وحكم بالحروف العربية.

وهو مرتفع السقف إلى حد أن يكفي لطابقين حتى نوافذه عالية من قرب الأرض إلى نحو السقف وذلك حتى يدخل منها الهواء الذي ينبغي أن أذكر أن مروحة كهربائية كانت تدور في سماء المصلى كانت كافية، فليس بالغ الحر مع أن جميع الأماكن المهمة في هافانا كالفنادق والمطاعم مكيفة، وقد كاد المسجد يغص بالحاضرين وقد أحصيتهم فوجدتهم (٣٩) مصلياً ليس فيهم أي كوبي مسلم، بل كلهم من الأجانب كما سبق.

وقال الإخوة: إن العدد في هذه الجمعة قد زاد قليلاً عن العادة.

المطعم العربي:

قال الأخ السفير الليبي عبداللطيف، إن الأخ الدكتور (سايد الضلاعين) قد أمضى حتى الآن تسع سنين في هذه البلاد ولذلك هو يعرف وضع المسلمين فيها.

وقد عرفت الأخ (سايد) بعد ذلك متديناً إلى درجة التشدد جزاه الله خيراً.

نزلنا من المسجد الجامع ومعنا عدد من الإخوة المصلين واشترينا كتيباً بالإسبانية نشرته الحكومة الكوبية عن العرب في كوبا ذكرت أن ذوي الأصول العربية في كوبا يبلغ عددهم مائة ألف نسمة وأن بعض الأسر منهم لا تزال تحتفظ بأسمائها مثل أسرة (مصطفى) و(حسن) ولكن الكتاب لا يذكر ما إذا كان أنسالهم بقوا مسلمين أم غيروا دينهم أم أصبحوا شيوعيين لا يدينون بأي دين، وذلك أن الحكومة الشيوعية مثل حكومة كوبا لا تلقى بالاً للدين، وهي حتى لو ألقت له بالاً بمعنى أنها اعتنت على سبيل المثال بأن يبقى خامداً فإنها لا تعترف بذلك.

المؤلف في أحد شوارع هافانا القديمة بين الأستاذ رحمة الله بن عناية الله على يمينه والأخ علي... الفلسطيني على يساره

وسوف أحاول أن أترجم فقرات منه وألحقها بهذا الكتاب أو أضعها في الفصل المناسب لها منه، ومن الغريب أننا ونحن ندور في المتحف الواقع في المبنى رأينا بنادق قديمة وأشياء أخرى ذكر الإخوة أنها هدية من بعض البلدان العربية إلى كوبا لتضعها في هذا المتحف، وكان العاملون في المتحف وهم نساء من المتغيرات والسوداوات التفوا علينا وصاروا ينظرون إلينا باهتمام، ولا أدري مبعث ذلك، إلا إذا كان ذلك لكرم عربي عرفوه من بعض الزوار العرب الذين يشترون منهم ما يبيعونه من كتب وأوراق وتذكارات صغيرة.

ودخلنا إلى (المطعم العربي) ونوه العرب الذين معنا وهما الدكتور (سايد الضلاعين) وأخوه وسام كما نوه إخوة من قبلهم ممن صلوا معنا وتحدثنا إليهم عن اللحم الحلال هنا بأن هذا المطعم العربي ليس فيه لحم حلال، ولذلك لا يجد المسلم المتورع لدينه فيه حلالاً إلا السمك، وإنما هو في الحقيقة مطعم كوبي يقدم أطعمة عربية، ودخله راجع للحكومة الكوبية.

كان في آخر المطعم فرقة من خمس نساء يرقصن رقصاً هادئاً على موسيقى تشبه الموسيقى العربية التي عمادها القرع على الطبول، فأردنا أن نجلس فيه، ولكن الأخ (سايد) لورعه أبى أن يجلس ونحن ننظر إلى هؤلاء الراقصات اللاتي كن يلبسن ملابس ساترة، وليس فيهن ما يغري، ورقصهن ليس فيه تثن ولا أي حركة مغرية، وإنما هو التمايل، كما يقلدن الرقص العربي، ومن أجل أن يعطي هذا المطعم المصداقية في اسمه (المطعم العربي).

طلبنا سمكاً وأرزاً وشيئاً من الخضرات المطبوخة فجاءوا به صحناً لكل واحد ولكنه لا يكفي الرجل غير الأكول مثلي فهو قليل رغم كون المطعم لا يطعم أحداً، إلا إذا دفع ثمن طعامه وبالدولار، ولذلك لا يدخله الكوبيون وإنما يدخله العرب والسياح.

ذكروا أن عدد العرب كان كثيراً في القديم في هافانا خلاف الآن فهذه المنطقة التاريخية الغالية كانت فيها أملاك للعرب الأثرياء، وبعضهم قال: كانت معظم أبنيتها يملكها العرب الأثرياء قبل الثورة، وحتى بعد الثورة كان في هافانا الآلاف من الطلاب والسياح والزوار الذين يأتون على فترات.

أما الآن فقد قلوا ولكن السياح من الأوربيين وغيرهم صاروا يأتون لزيارة هذه المنطقة التاريخية من مدينة هافانا ويدخلون هذا المطعم العربي، يأتي بهم الأدلاء السياحيون لأن هذه المطاعم والفنادق المخصصة للأجانب كلها ملك للدولة الكوبية، وحتى الأشياء العامة التي تكون للجمهور هي ملك للدولة.

وقد رأينا المطعم غاصاً بالسياح، ونحن في غرفة كبيرة مكيفة تكييفاً ضعيفاً ولكنه كافٍ لأن الحر ليس بالغاً.

وقد دفعنا ثمن غدائنا نحن الأربعة ٤٠ دولاراً أمريكياً، وهو لا يكلف أربعين ريالاً، في بلادنا لأن السمك رغم كون بلادهم جزيرة مستطيلة جداً ذات شواطئ غنية بالأسماك فإنه غالٍ لأنهم يصدرونه وبخاصة الأنواع الغالية من المأكولات البحرية كالأربيان الذي يسمونه هنا (كمرون) مثلما يفعل البرتغاليون في تسميته، وقد يتبادر إلى الذهن عند سماع ذلك علاقته ببلاد الكمرون في غرب إفريقية، وذلك تساءل في محله لأن له أصلاً من الواقع إذ كان المكتشفون الأوائل من البرتغاليين عندما وصلوا إلى ساحل جمهورية الكمرون في الوقت الحاضر رأوا فيه إربياناً كثيراً وهو (الروبيان) عندنا ولم يعرفوا اسمه فأسموه الكمرون على اسم هذا الروبيان.

وهناك السرطانات البحرية الغالية التي يصدرونها حتى السمك المعتاد يصدرون جزءاً كبيراً منه، ولذلك ليس رخيصاً وحتى لحم الغنم الذي يسمح ببيعه يبيعونه الكيلو الواحد منه بدولارين ونصف، وهذا ثمن غالٍ جداً بالنسبة إلى دخول الناس.

أما لحم البقر فإن الحكومة تمنع ذبح الأبقار على اعتبار أنها ثروة وطنية ينبغي المحافظة عليها في إنتاج الزبد واللبن، وستأتي تتمة هذا الموضوع إن شاء الله تعالى.

أهم ميدان قديم:

نساء باللباس التقليدي الكوبي في ميدان (سانت فرانسيسكو) في هافانا

في المدن الإسبانية في أمريكا الجنوبية يحرصون على أن يكون الميدان الرئيسي في المدينة بجانب كنيسة مهمة وأحياناً أهم الكنائس في المدينة، وهذه المدينة لم تشذ عن القاعدة، إذْ أهم ميدان قديم فيها هو ميدان سانت فرانسيسكو ويسمونه (بلاسا دي سانت فرانسسكو) وبلاسا: ميدان أو ساحة بالإسبانية تطل عليه كنيسة قديمة مهمة عندهم من الناحية التاريخية، وإلا فإن مظهرها ليس بذاك.

يقع الميدان المهم بجانب (بيت العرب) لذلك وصلنا إليه ونحن نتمشى في شوارع هذا القسم القديم من المدينة، ويصب فيه شارع (بيت العرب) بعد أن يتقاطع مع شارعين وهو المسمى (أوفيشو) بمعنى المكاتب جمع مكتب التي هي (أوفيس) بالإنكليزية هكذا كتبوا اسمه على لوحة في الشارع.

والميدان مبلط مثل سائر الشوارع القديمة في هافانا القديمة بالحجارة المهذبة وليس بالزفت والأرصفة فيه جيدة معتنى بها، وفي وسطه عربات الركوب التي تجرها الخيل.

التقطنا مع الأخوين صورة في شارع البيت العربي هذا، ورأيت عربة من عربات النقل على الأرض دون حصان، وعندها مجموعة من النساء الجميلات من خلاسيات وسوداوات وليس فيهن بيضاء واحدة، وقد لبسن لباساً كوبياً قديماً ووقفن هكذا في هذا الميدان بجانب العربة، وأحياناً كن يركبن عليها، وذلك من أجل أن يلتقط السواح صوراً معهن.

كان المنظر يغري بالتصوير ليس من أجل هذه النسوة اللاتي كن يقفن في مكان عام وإنما أيضاً لكونه في أهم ميدان قديم من هافانا القديمة، ولكن الأخ (سايد) لورعه ابتعد فالتقطت لهن صورة فأشرن مع كلمات بالإسبانية لا أعرف معناها لكنني أعرف الابتسامات التي أبدينها أن التقط معنا صورة فكانت صورة مهمة، قد تبدو بعضهن وهي خلفي كأنما هن ملتصقات بي، ولكن الأمر على عكس ذلك.

المؤلف عند لابسات اللباس الكوبي التقليدي في ميدان سانت فرانسيسكو في هافان

ولم يطلبن شيئاً بل لم ينتظرن شيئاً لأنهن فيما فهمنا من أمرهن موظفات أو عاملات في مصلحة السياحة، وقد تعهد الذين أمروهن بذلك أن يكن من الملونات إمعاناً في الإغراب للسياح الأوربيين.

ثم عدنا إلى الفندق بسيارة الأخ سايد الذي هو متزوج من كوبية أبوها إسباني وأمها كوبية ذكر أنها أسلمت وأنها ملتزمة بالتستر رغم كونها تعمل، ووجود سيارة مع شخص في كوبا أمر لافت للنظر، لغلبة الفقر ورقة الحال على الناس وعدم وجود الأغنياء فيهم.

جلسة عربية:

مر بنا في الفندق اليوم عدد من إخواننا العرب وهم الأخ عبدالرحمن بن محمود من قطر وسايد الضلاعين وعلي صالح شريف قبيل أذان المغرب، وكنا وأعدنا الأخ سايد للذهاب إلى بعض الإخوة من المسلمين الجدد الكوبيين الذين لا تسمح الحكومة لهم- كما تقدم- بالصلاة مع الأجانب في مسجد الجمعة.

ولم نجد مكاناً نصلي المغرب فيه في الفندق فانتقلنا إلى منزل الأخ عبدالرحمن المحمود وهو شقة في مكان قريب من الفندق، عرفنا بعد ذلك أنه يسكن فيها معه آخر، فصلينا المغرب فيها وعقدنا معهم اجتماع عمل تباحثنا فيه موضوع الإخوة المسلمين الكوبيين وكيف نساعدهم على بناء مسجد لهم بمعنى أنه لا يكون على مستوى المساجد الدولية أي التي تبنى بواسطة دول وإنما هو مسجد مناسب، وقبل ذلك نستطيع أن نجعلهم يستأجرون بيتاً يتخذونه مسجداً ونساعدهم بدفع الأجرة لأنها قليلة جداً، غير أن الجهة الوحيدة التي تؤجر البيوت هي الحكومة، وهي لا تؤجرها إلاّ وفق سياستها، ووفق مبادئها، وليس من مبادئها السماح بافتتاح مسجد للكوبيين المسلمين إلا إذا وجِّه إليها ضغط من جهة تملك ذلك الضغط مثل دولة إسلامية لها معها مصالح اقتصادية أو حتى شعور الحكومة الكوبية بأن علاقاتها بالدول الإسلامية سوف تتحسن إذا سمحت للمسلمين باتخاذ مسجد.

لذلك رأيت أن الأمر في الوقت الحاضر لا يمكن- عملياً- إلا بأن نساعد ونشجع المسلمين على استمرار اتخاذ أحد بيوتهم المتسعة مسجداً وأن نعاونهم على ذلك ببعض المساعدات.

كما أن الأمر يحتاج أيضاً إلى الحديث مع جهة أو شخصية حكومية مؤثرة من أجل السماح للمسلمين بذلك، وقلت للأخ عبدالرحمن المحمود: إنني أرى أن اجتمع بمسئول عن هذا الأمر وأحدثه به بأن يسمح للمسلمين بذلك، لأنهم إذا عرفوا أن الأمر وراءه اهتمام من جهة في دولة لها وزنها العالمي كالمملكة العربية السعودية فإن ذلك سوف يسهل الأمر.

وقد وافق الإخوة على أن ذلك مهم وأنه سيكون له أثر جيد بإذن الله.

وقد طلبوا منا أن نرسل كتباً إسلامية ونسخاً من ترجمة معاني القرآن الكريم بالإسبانية على ألا يرسل ذلك للمسلمين أنفسهم لأن الحكومة سوف تصادره وإنما يرسل إلى السفير الليبي الأخ عبداللطيف لأن الذي للسفارات لا تتعرض له الحكومة.

إلى أعماق الريف الكوبي:

طلب مني الأخ عبدالرحمن المحمود وألح في طلبه أن نزور قرية كوبية دخل بعض أهلها إلى الإسلام بوساطة جمعية الدعوة القطرية، وذكر أنها تبعد نحو مائة كيلومتر إلى الجنوب من هافانا العاصمة.

وقد وافق ذلك هوى في نفسي إذ سنجمع بين العمل الإسلامي إن شاء الله وبين رؤية طبيعة هذه البلاد الكوبية.

أما العمل الإسلامي فإنه ذكر أن امرأة منهم أسلمت قبل سنة تبرعت ببيت تملكه ليكون مسجداً وذكر أن هذا البيت يحتاج إلى شيء من العناية، ولذلك يحتاج إلى شيء من المال.

فواعدناهم غداً.

يوم السبت ١٤٢٠/١٢/١٢هـ- ٢٠٠٠/٣/١٧م:

مر بنا الأخ عبدالرحمن المحمود وهو قطري الجنسية والأصل، يعمل مع جمعية الدعوة القطرية وهو إلى ذلك مؤلف ذكر أنه تأسى بي في كتابة الرحلات، وذكر أنه تأثر خاصة بكتاب: (إطلالة على نهاية العالم الجنوبي) الذي ذكرت فيه رحلة إلى تسمانيا التي تتبع استراليا، وتقع إلى جهة الجنوب منها وإلى نيوزلندا، كما ذكر أنه قرأ كل ما وقع في يده من كتبي في الرحلات.

وقد أهدى إليَّ نسخة من كتابه عن كوبا بعنوان (كوبا فراشة الكاريبي الحالمة).

وكان معه الأخ (علي صالح شريف) الفلسطيني، ووجوده مهم معنا لأنه يعرف الأسبانية جيداً بخلاف الأخ عبدالرحمن المحمود الذي لا يعرف إلا طرفاً منها.

شارع لاترو في هافانا

سرنا مع الأخوين من فندقنا (فندق فيكتوريا) والتفت أبحث عن السيارة التي كان الأخ عبدالرحمن ذكر أنه سيعدها لنا وأن سائقها هو من إخواننا المسلمين الكوبيين الجدد، ولم أر السيارة واستمر الأخوان يسيران على الأقدام وقالا أخيراً: إن السيارة لا تستطيع أن تقف عند الفندق ولا بالقرب منه لأن معنى ذلك أنها ستحمل سياحاً وهذا مخالف لأوامر الحكومة التي تحصر نقل الأجانب في سيارات أجرة رسمية تتقاضى أجرها بالدولار.

أما السيارة التي سنذهب بها فإنها خاصة لأحد المسلمين ولا مانع من أن يحملنا على أننا أصدقاؤه ولكن من دون أن يعرف أحد أنكما من السياح.

وفوجئت عندما رأيت السيارة وهي مثل كثير من السيارات هي من أطرزة قديمة كنت رأيتها في شبابي ثم غابت عنا بحيث صارت لا ترى إلا في المتاحف وليست لدينا متاحف للسيارات القديمة، وكلها مهلهلة.

وسألت الأخ السائق (جمعة فوستافو فوستافو) عن سيارته من أي طراز فذكر أنها (بليموث طراز ١٩٥٠) أي قد مضى عليها نصف قرن.

الوجه المشرق:

والوجه المشرق ليس في هذه السيارة بالطبع، ولو أن بعض الناس يحبون أن يركبوا سيارات (تاريخية) مثل هذه، وإنما في سائقها (الأخ جمعة) فهو مسلم جديد أسلم في الشهر السابع من عام ١٩٩٣م، فهو يعتبر مسلماً قديماً هنا نسبياً ومنذ أن أسلم حسن إسلامه، وهذب الإسلام أخلاقه حتى قال الأخ عبدالرحمن: إن زوجته لم تسلم بعد وتقول: إنه منذ أن أسلم صار لا يشرب الخمر، وكان قبل ذلك يسكر ويتصرف تصرفات السكران، إلى جانب شراسة فيه على أهل بيته.

قالت: أما الآن، بل منذ أن خرج معكم أيها العرب فقد ذهب ذلك كله، وكان خرج معهم سائقاً فرأى تصرفاتهم وصلواتهم وتعاونهم فأسلم.

وقد أسلم جميع أولاده وعددهم خمسة اثنان صغار وثلاثة كبار، ولم يبق من أسرته إلا زوجته ووالده لم يسلما بعد، وهو إسباني كوبي أبيض، والمراد بالإسباني هنا أن أصله من الأسبان أو من الأوربيين الأوائل الذين جاءوا مثلهم من أوروبا فصاروا يعدون من الأسبان مثلهم وبخاصة أنهم اختلطوا بهم، وإلا فإنه لا علاقة له وأمثاله بإسبانيا وبالأسبان فيها الآن اللهم إلاّ علاقة اللغة التي هي علاقة جميع الكوبيين، بل جميع الأمريكيين الجنوبيين ما عدا أهل البرازيل.

شارع برادو في هافانا

كنا نريد أن نحجز مقاعد بالطائرة المسافرة من هنا إلى هايتي المجاورة لكوبا فسألنا الفندق وهو كبير من ذوات النجوم الأربع عما إذا كان يستطيع أن يحجز لنا أو على الأقل يخبرنا بمواعيد قيام الطائرة، وإذا لم يفعل فإنه يستطيع أن يصلنا بشركات الطيران أو المكاتب السياحية، فذكر أهله أنهم لا يعرفون ذلك ولا يستطيعون.

ذهبنا سيراً على الأقدام إلى فندق سياحي كبير ذكروا أن فيه شركة سياحية هي مثل غيرها من المؤسسات وما تسمى بالشركات ملك للحكومة الكوبية وواعدوا السائق عندها، لأنه لا يستطيع أن يحملنا هنا خوفاً من الشرطة واسم الفندق (فندق هافانا) وذلك مع شوارع هافانا الواسعة الجيدة ذات الأرصفة التي حظيت بالعناية والصيانة فوجدنا في المكتب عجوزاً تحادثك وكأنما تتنهرك وتبين لنا بعد ذلك أنها أنموذج غير صالح لموظفي الشركات والمؤسسات في هذه البلاد مما ذكرنا بالموظفين في البلدان الشيوعية الأخرى وبخاصة روسيا.

شارع كارلوس الثاني في هافانا

مع العلم بأن هناك فرقاً كبيراً بين الروس والكوبيين في هذا الأمر فالروس كلهم عابسون مكفهرُّون لا يخاطبونك إلاّ بجدٍ أو بما هو كالجد، بخلاف الكوبيين من غير الموظفين الذين هم لطفاء في المعاملة سريعوا الابتسام، بل هو وديون تشعر بأنهم يريدون أن تكون صديقاً لهم وأن ذلك طبع فيهم وليس تطبعاً.

قالت العجوز: إنه لا أحد يستطيع أن يخبركم بمواعيد قيام الطائرات إلى هايتي فضلاً عن أن يحجز لكم إلاّ شركة الطيران الكوبي.

وقال الإخوان: إن الكوبية يكون لديها في العادة صف طويل من المراجعين ونرجوا ألا نتأخر، فطلبت ألا أرافقهم، فأوعزوا إلى السائق أن يأخذني بسيارته إلى شارع جانبي إلا أنهم تأخروا علينا فذهبت أبحث عنهم بعد أن وصف لي السائق مكانهم، وقد نفعني الله بكلمات أعرفها من اللغة البرتغالية استعملتها فتبين أنها نافعة في الأسبانية للقرب بين اللغتين.

ولم أستطع حتى أن أدخل إلى المكتب لأن حارسا يسألني عما أريد فعدت إلى السيارة ثانية.

وبعد فترة عاد الإخوة يتأففون ويقولون: إننا لم نستطع الحصول على أية إفادة.

ينتظرون الجمل:

والجمل بفتح الميم هو ذكر الإبل وأبو الناقة وابنها ولذلك قد تقول كما قلت أنا: ما لكوبا وللجمل؟ بل ما لكوبا وما للجمل وما حمل، وأقول هنا: ها قد عرفت حينما ذكرت ما حمله الجمل وما يحمله، فقد مررنا بجماعات من الناس واقفين في محطات إنتظار كمحطات الحافلات، قال الإخوة: إنهم ينتظرون (الجمل).

وذلك أن مدينة هافانا مرت بفترة عصيبة من الشح في المواصلات، وصعوبة الحصول على مركب فيها حتى إن الناس فيها كانوا يفعلون مثلما كان الإخوة المصريون يفعلونه في زمن الرئيس عبدالناصر من التشبث بالحافلة وهي تسير أو الصعود فوق سقفها فاخترعوا حلاً لذلك على طريقتهم وهو أنهم عمدوا إلى شاحنات من ذوات الثمان عشرة عجلة وهي ضخمة قوية وركبوا لها صناديق ثلاثة أقسام قسم أمامي عالي نوعاً ما وقسم متوسط منخفض قليلاً وقسم ثالث مرتفع وهي على صناديق الحافلات فصارت الحافلة الواحدة هذه التي هي في الأساس

سيارة شحن ضخمة تتسع لثلاثمائة راكب، لاسيما إذا كان أكثرهم واقفين كما هو الحادث، وبهذا حلوا المشكلة بالفعل، واسموا هذه الحافلة الكبيرة بالجمل تشبيها لها بالجمل الذي يحمل الأحمال الثقيلة وزادوا على تأكيد ذلك بأن رسموا صورة بعير على مقدمة الحافلة ومؤخرتها إشارة إلى أنها كالبعير.

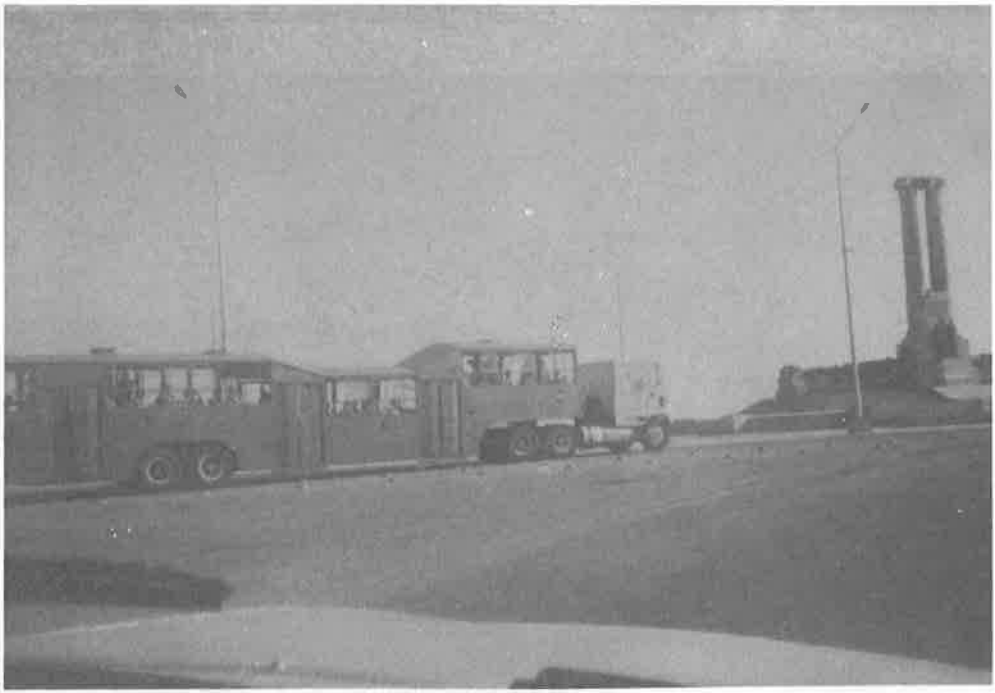

الحافلة الضخمة المسماة بالجمل في هافانا

ولم يخل هذا الأمر من تخبط الجمال المعتادة فقد قال قائلون منهم: إن ثقله يجعله يضغط على أرض الشارع بما لا تستطيع تحمله، وقال آخرون: إن تحريكه للهواء إذا كان مثقلاً بالحمل يؤثر على النوافذ بل والشرفات القديمة المستهلكة.

بعد الوقت الضائع:

بعد هذا الوقت الضائع انطلقنا بالسيارة القديمة جداً التي صارت أجزاؤها تفرقع بأصوات نافست صوت محركها فسلكت من شوارع هافانا الجيدة التي يسير

فيها هذا الشعب العجيب الذي تآخت فيه ألوان بني الإنسان إلى درجة الامتزاج، حتى إن المرء إذا غفل ورأى ألوان أكثر الناس خُيِّل إليه أنه في البلدان العربية، حتى يشده لباس النساء التي لم يبقين منها إلا ما لا يعد لباساً إلى أنه في كوبا الكاريبية الشيوعية، وقد تكفي كلمة الكاريبية نسبة إلى وقوعها في بحر الكاريب- لكي تعتقد أنها ثياب فاضحة ذات معان فاضحة.

السيارة التي استأجرناها من هافانا إلى بلايا دي روساريو وهي من طراز ١٩٥٠

ومررنا بثلاثة شبان رابعهم امرأة وقد رفعوا أيديهم بشيء ذكر الأخ عبدالرحمن أنها حبوب كوبية معروفة لخفض الكلسترول، و تنشيط الدورة الدموية، ومن ثم تنشيط الرجل لإرضاء زوجته، ذكروا أن العلبة منها تباع في الصيدليات بعشرين دولاراً وهي مع هؤلاء بخمسة دولارات فقط، لأنها تكون في الأصل مسروقة من المصنع مثلها في ذلك مثل (السيجار) الكوبي الشهير المعروف بسيجار

(هافانا) يباع مسروقاً من المعامل الحكومية بنصف ثمنه، ونقول: إنه غال ولو وضع أربابه معه مثل ثمنه لمن يريده، فهو ضرر بدون نفع إلاّ نفعاً وهمياً مؤقتاً.

عندما ذهبت ألتمس الرفقة في مكتب الشركة رأيت أكثر من ركشا وهي الدراجة الهوائية ذات العجلات الثلاث يركب فيها الراكب، ويحركها صاحبها برجليه، وكلهم يناديني ويلح، ويتكلم بالأسبانية يظنون أنني من أمريكا الجنوبية.

وعندما عدت إلى السيارة وركبت رأيت الأخ السائق جمعة فزع وارتبك وهو يقول (بوليسيا) أي شرطة ويسرع إلى أحد الشوارع الجانبية يوقف سيارته ثم يعود راجلاً ليراه الإخوة المرافقون وذلك لكونهم يمنعون مثل سيارته من أن تحمل الأجانب كما سبق.

أما الانطباع المؤكد عن مدينة (هافانا) من واقع كوننا نسير الآن فيها فإنها مدينة فخمة واسعة الشوارع جميلة التخطيط وشوارعها وأرصفتها جيدة في الأماكن المطروقة منها، أما الضواحي فإن شوارعها من حيث الزفت والعناية بالأرصفة دون ذلك، ولكن الأجمل منها هو شعبها الودود، المجامل للغريب.

نظام كاسترو:

قام رئيس كوبا في الوقت الحاضر (فيدل.. كاسترو) بتزعم الثورة الشعبية الكوبية حيث اعتقل وسجن ولقي المتاعب من أهمها عنده موت كثير من رفاق دربه في كفاحه إلى أن نجحت الثورة وكنا نتابع قبل أربعين سنة أخبارها وأحكام الإعدام التي كانت محاكمها تصدرها ضد رجال الحكم المنحل، بل التابع للولايات المتحدة الأمريكية بقيادة (باتيستا).

فنسمع أن محاكمة بعض الأشخاص لا تستغرق أكثر من ساعات، ينفذ فيه حكم القتل بعد ذلك دون تأخير، وقد كافح الولايات المتحدة وأعدَّ له خصومه مثلما أعدت الولايات المتحدة عشرات المؤامرات والحيل والمكايد لقتله، وتخليص الشعب

الكوبي من نظامه الشيوعي، وإدخال كوبا في حظيرة الدول التي تتبعها غير أن ذلك كله قد فشل وسقط أو مات تسعة من رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية الذين خاصموه أو حاربوه بأنواع الحروب، وبقي (فيدل كاسترو) حتى الآن!!

مع السائق المسلم الذي قاد السيارة من هافانا إلى بلاي دي روساريو

وكنت أعجب من هذا وأنا بعيد عن كوبا، لذلك عندما وصلت إليها صرت أسأل ذوي الخبرة عن السبب في صمود (فيدل كاسترو) هذا وبقائه في الحكم هذه المدة الطويلة، فذكروا أولاً ما يعرفه الجميع من أن حكمه هو شيوعي ماركسي، ولذلك هو أي هذا الحكم مكروه من عامة الشعب، لا شك في ذلك ولا ريب، ولكن الرئيس (كاسترو) نفسه يحبه كثير من الناس هنا الذين يبغضون نظامه، والسبب في ذلك هو صرامته في النزاهة في الحكم، وكونه يضرب المثل للناس في ذلك بنفسه، حدثني الأخ (سايد الضلاعين) قال: كان ابن كاسترو يدرس معي في الكلية، ومعي

سيارة وهو لا يملك سيارة، فكان يرجوني أن أوصله بسيارتي في أكثر الأحيان فأحسن إليه، وأحمله معي بالسيارة، وذكر أن ابن كاسترو حصل على جهاز (حاسوب) صغير (كمبيوتر) وقال أرجو أن تحفظه عندك لئلا يعلم به أبي، لأنه لا يرضى بذلك وسوف يأخذه مني.

وكان ابنه يشغل منصباً مهماً هو الإشراف على البحوث الذرية فظهرت في إدارته علامات سوء الإدارة من الاختلاس أو الشبهة في ذلك فعزله (كاسترو) وجعله في الإقامة الجبرية أي كأنه سجين، وقال لي أحد العرب: إنه خيره بين النفي خارج كوبا، أو السجن بتحديد إقامته في كوبا فاختار الأخيرة.

وقال لي الأخ سايد الضلاعين أيضاً وهو يقيم منذ تسع سنين في كوبا: إنه ومنذ تلك السنين كان يشاهد موكب الرئيس كاسترو على سيارات ثلاث لم يجددهن ولم يستبدل غيرهن بسيارات جديدة، وقال لي الأخ (سايد): إن وزيراً يسكن بجواري ليس على بيته حراسة، لأنه ليس لديه ما يخاف عليه السرقة والبلاد آمنة.

أقول: إن جميع الإخوة المواطنين يذكرون أن كوبا آمنة، وأن الإنسان لا يخشى فيها سارقاً ولا منتهباً.

حزب الأقلية:

يبلغ عدد أعضاء الحزب الشيوعي الكوبي المسجلين ٣٣ ألف حسب قول الحكومة التي يفترض أنها قد تبالغ في ذلك لأغراض الدعاية، مع العلم بأن مجموع سكان كوبا أحد عشر مليوناً فإذا فرض أن نصفهم أطفال ونحوهم من لا يحق لهم التصويت في الانتخاب عرفنا أن الشيوعيين أقلية، وأنهم يهيمنون على البلاد بحجة واهية وهي الاشتراكية والديمقراطية والدفاع عن حقوق الفقراء.

وتلك شنشنة عرفناها من الشيوعيين الروس ومن التحق بهم، ولكن مـــا أن مضى الزمن حتى انكشف زيفها على أيدي أربابها الذين صاروا يتنافـــسون فـــي كشف مخازيها وقد هجروها هجراً غير جميل.

ولكن في (كوبا) خاصة يتحدث الناس عن الاستقامة المالية للـــرئيس ومـــن حوله من كبار زعماء حكمه، وعن العدل في المعاملة بين النـــاس ســـواء أكـــانوا شيوعيين أو غير شيوعيين.

وإلا فإنهم يعترفون أن الشيوعية الكوبية لم تفعل شيئاً متميزاً غير مـــساواة الناس في الفقر أو إذا شئنا أن نلطف الأمر قلنا إنه العوز والحاجة، إلا أن التعلـــيم والصحة موفران فيها بالمجان لجميع الناس وعلى مستوى جيد.

شارع واسع في هافانا

وأما الاقتصاد فإنه كان أفضل في زمن الاتحاد السوفيتي والأممية الشيوعية لأنهم كانوا يرسلون للاتحاد السوفيتي طن السكر فيرسل إليهم مقابله ٩ أطنان من البترول، أما بعد أن سقطت الشيوعية فقد أصبح الروس يطلبون من الكوبيين ثمن البترول بالعملة الصعبة وهذا ما لا يستطيعونه لأنه صار ثمن طن السكر طناً ونصفاً من البترول، لذلك انصرفوا إلى تأمين حاجتهم من المواد البترولية من (فنزويلا) القريبة منهم فصاروا يشترون منها النفط الخام ويكررونه عندهم، ولذلك يلخص الناس الوضع هنا بأن العدل بين الناس في الشر والخير وعفة الرئيس عن المطامع المالية هما سبب تأييد بعض الناس لبقائه في الحكم، وإلاّ فإن الجميع يقولون: إن نظام الرئيس كاسترو هو نظام فاسد بمعنى أنه غير صالح للحكم.

وذكروا من ذلك أن كوبا لديها الآن مليون جندي كانت أرسلت أناساً منهم إلى أنقولا وإلى غيرها، ولو وفرت مصروفات هؤلاء الجنود الكثير لكان ذلك أفضل للشعب.

وقد أخبرني بعض الإخوة أن الاقتصاد الكوبي بدأ الآن يتحسن في ظل هذا النظام الفاسد وإلا لكان أحسن لأنها تنتج منتوجات ثمينة كالمعادن وتصدر السكر والطباق وأنواع السيجار الفاخرة الغالية في العالم.

العودة إلى المشاهدات:

كنت راكباً في السيارة وحدي فشاهدت في الشارع ثلاثة صناديق من صناديق القمامة مغطاة بأغطية جيدة محكمة وهي مصفوفة صفاً، ورأيت اثنين خرجا من بيتين ففتحا الغطاء وألقيا بما معهما في الصندوق وأغلقاه ثانية.

وقد عبرت عن ذلك بالصناديق لأنها شبيهة بالفعل بالصناديق التي تفتح وتقفل وإلا فإنها براميل حديدية صقيلة جميلة ذات عجلات سلسة مما لا يكاد يوجد مثله في العالم الثالث، و أما العالم الشيوعي فإنني لم ار له نظيراً مثلما أنني لم أر

في العالم الشيوعي بلداً فيه العناية بالمرافق العامة وبخاصة الشوارع المطروقة المهمة في المدينة وأرصفتها وميادينها وما يتصل بذلك.

بل إن هذه الصناديق أو الحاويات الصغيرة هي أحسن مما عندنا من (البراميل) أو الحاويات المعدة لجمع القمامة وأنظف غير أنه لا ينبغي لنا أن نغفل أن مقادير القمامة عندنا ليست كما هي عندهم لأن دخولهم محدودة، واستيرادهم محدود، لذا فإن استهلاكهم للبضائع والسلع محدود، ولذلك يكون مقدار ما يحتاجون إلى إلقائه في حاويات القمامة محدوداً.

من هافانا إلى بلايا دول روساريو:

و(بلايا دل روساريو) قرية تبعد عن هافانا نحو ١٠٠ كيلومتر، يعني اسمها (شاطئ روساريو) فبلايا هي شاطئ التي تعني شاطئ البحر، وكنت عرفتها بالبرتقالية (برايا) بالراء مع العلم بأن البرتغالية شقيقة للإسبانية، وقد نفعني ذلك، إذ أكلمهم بما أعرف من البرتغالية فيفهمونه، و(دل) أداة إضافة بين المضاف والمضاف إليه و(روساريو) السبحة ذات الخرز الذي يسبح بها أي يعد بها جمل التسبيح والتحميد والتكبير في الأصل، ويستعملها المسيحيون من باب التقليد فيأخذونها معهم عند أداء صلاتهم في الكنيسة ولذلك يستعملون في الإسبانية (روساو) بمعنى صلاة.

ومع أن هذا الاسم هو كنسي الأصل فإن أهل تلك القرية لا علاقة لهم بالمسيحية، ولا توجد لديهم الآن أية كنيسة، وقد دخلت أعداد منهم في الإسلام كما سيأتي.

انطلق السائق بسيارته وكان معي شريط إضافي للمصورة أردت أن أضعه في درج السيارة فوجدت أنه لا قاع له أي مكسور منتزع منه، وكذلك مكان جهاز الاستقبال الإذاعي ومكان الساعة كل ذلك خالٍ في السيارة.

سلكنا شارع (سان لاتزرو) وهو رئيسي ينطلق من حاشية المدينة القديمة خارجاً منها ثم وصلنا إلى شارع (برادو)، وهو رئيسي قريب من شاطئ البحر ولذا ترى منطقة الميناء منه ويسمون الميناء (بويرتو) وهي (بورت) بالإنكليزية والفرنسية.

وبقرب نهاية هذا الشارع رأينا مبنى أندلسي الطراز أو شبيها بالطراز الأندلسي الذي أحضره الأسبان معهم من الأندلس، ثم أشار الإخوة إلى جهة اليمين قائلين هذا كان منزل زعيم كوبا السابق الذي ثار عليه وعلى نظامه (فيدل كاسترو) وزملاؤه فرأيناه بيتاً متميزاً، ولكنه ليس بذي حديقة كبيرة، ولا مظهر سري من مظاهر القصور القديمة.

ولا يذكرون اسم (باتيستا) الآن إلا مقروناً بوصف (الدكتاتور) فيقولون (الدكتاتور باتيستا).

هافانا الشرقية:

جانب من هافانا الشرقية

تم سلكنا نفقاً قد حفروه تحت خليج البحر الذي فيه الميناء وطريق (الماليكون) الذي يعنون به شارع الشاطئ أو ما تسميه العامة عندنا بشارع الكورنيش.

وقد أفضى بنا هذا النفق إلى شرق (هافانا) ويسمونه (هافانا الشرقية) وينوهون بذلك لأن هذا القسم من المدينة بناه كاسترو وزملاؤه بعد نجاح الثورة الشيوعية.

ولم أجده حيّاً معتاداً كسائر أحياء هافانا التي بنيت قبل الثورة ولكن تبين أنه لم يشذ عن القاعدة في البلدان الشيوعية، وهو مجموعة أبنية ضخمة متعددة الطوابق (عمارات) ولكنها مؤلفة من شقق صغيرة تبيعها الدولة على المواطنين الذين لا مساكن لهم أو تؤجرها لهم.

وسمعت منهم من يقول: إن الحكومة تعطي المنازل للناس الذين لا مساكن لهم باجرة شهرية قدرها ٦% من راتب المستأجر فإذا أتم خمس عشرة سنة، وهو كذلك تملك المنزل الذي هو شقة تكون في الغالب صغيرة.

وذلك أن النظام الشيوعي لا يمكن الناس من أن بينوا مساكن لهم بأنفسهم، إذا استطاعوا أن يحصلوا على أموال تكفي لبناء منزل من جهات خارج بلادهم، وإلا فإن دخولهم المحدودة المعروفة لا يفضل منها شيء لغير الشيء الضروري.

وذلك أن رواتبهم ضئيلة فهي ما بين سبعة دولارات إلى عشرة في الشهر إلا أنهم يحصلون على الأشياء الضرورية من الأغذية والألبسة بثمن يكاد يكون رمزياً، يصرف لهم من الدولة بالبطاقة فمن ذلك أن الكيلو من لحم البقر يباع بدولارين ونصف غير أن الحكومة تبيع للمواطنين حصتهم المقررة بالبطاقة من اللحم بما يعدل عُشر الدولار أي عشرة سنتيمات ، وهكذا بقية الأغذية الضرورية التي يحصلون عليها بالبطاقات، غير أنها قد تكون رديئة أو أقل جودة مما يريدون وهذا ظاهر السبب كما أن حاجات الإنسان في هذه العصر الحديث لم تقتصر على الضروريات المشار إليها، بل له حاجات كثيرة أخرى حصلت عليها شعوب أخرى ويريد الشعب أن يحصل عليها أيضاً.

الريف الهافاني:

ولو قلنا الريف الكوبي لكان هذا صادقاً، ولكننا قصدنا الإشارة إلى ما يسمى بالسيجار الهافاني لأنه ليس كله في الأصل من هافانا وإنما من أنحاء كوبا.

خرجنا فجأة من المدينة إلى الريف متجهين جهة الجنوب حيث الهدف الذي نقصده مع طريق جيد ذي اتجاهين واسعين تفصل بينهما جزيرة فيها أعشاب وشجر قصير مهذب، وفي بعض الأماكن منها زهور جميلة، مما يعد- أيضاً- غريباً في بلد شيوعي.

الحامل بالسرطان:

ومهلاً أيها القارئ الكريم لتقرأ ما بعد العنوان لئلا يذهب بك الظن إلى أن المراد بـ(السرطان) الورم الخبيث أعاذنا الله وإياك منه، وإنما المراد منه هذا الحيوان الذي يعيش بين البر والبحر وهو من صيد البحر فهذا هو اسمه بالعربية الفصيحة العريقة اسمه بالإنكليزية (لوبستر) ويعرف عالمياً بلفظ (استاكوزا) وهو بالإسبانية لغة هذا البلاد (انغستا).

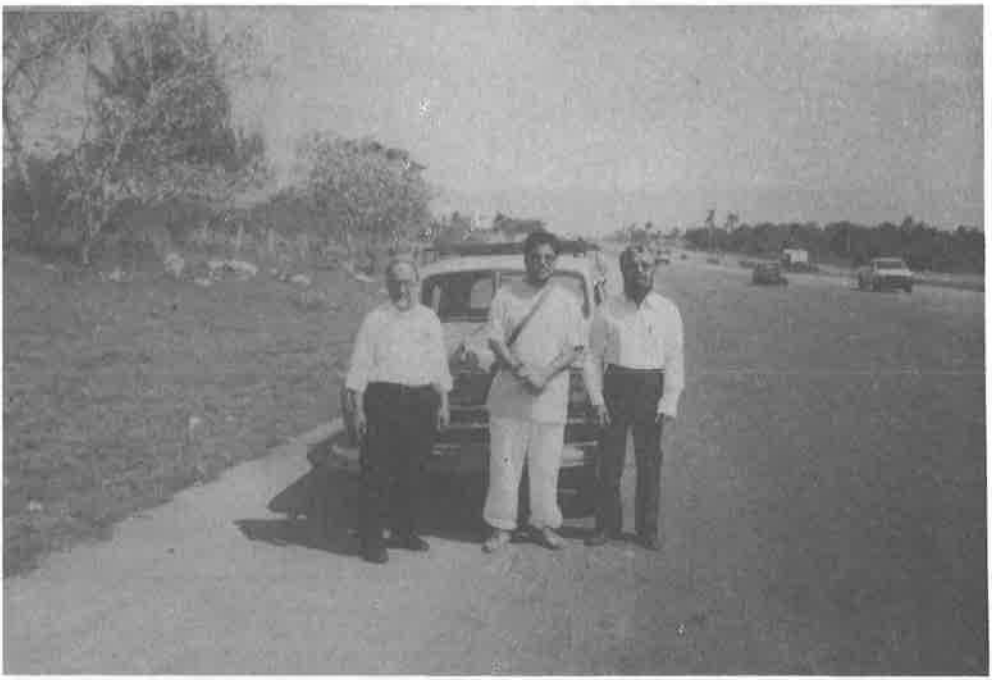

مع الرفقة في الطريق بين هافانا وبلايا دي روساريو

أما في اللغات المحلية فإن له أو لبعض أنواعه أسماء عديدة فهو في الحجاز يسمى أبو مقص وفي مصر (أبو جلمبو) وفي الخليج (أم الروبيان) والروبيان هو الإربيان في الفصحى الذي يسمى في مصر بالجمبري.

لقد أثار حديث السرطان المخيف والسرطان الغالي أننا رأينا ثلاث فتيات شابات جميلات واقفات على الطريق في انتظار من يحملهن من أرباب السيارات فقال الإخوة: لقد جرت في هذا الطريق قصة غريبة بالنسبة لنا، وهو أن الحكومة الكوبية قد اعتبرت (السرطان) البحري (انفستا) ثروة وطنية عامة لا يجوز أن يتعامل بها فضلاً عن أن يتجر بها أحد غير الحكومة، فلا يجوز أن يحملها حامل لبيعها ولا حتى ليأكلها، لأن الدولة تجمعها وتصدرها إلى الخارج حيث تحصل منها على عملة صعبة مهمة تحتاجها البلاد، بل هي في أمس الحاجة إليها، وحدث مرة أن رأى سائقا امرأة حاملاً وحملها فيما ظنه- لأن بطنها بارز ومعها امرأة أخرى فوقف لهما وحملهما بسيارته وبعد قليل اعترضته الشرطة وقالت له: هل تعرف من حملت؟

قال: لا، إنها امرأة حامل أشفقت عليها من الوقوف في الطريق وهكذا هكذا فحملتها، فقالوا: هكذا يقول المهربون: أنت شريك لها ثم سجنوا الحامل المزيفة والتي معها لأنهم وجدوا معهما قليلاً من الإربيان (الروبيان) وعاقبوا السائق بأن أخذوا منه سيارته كما قاله الأخوة وأنا استبعد ذلك، ولكن الدولة الشيوعية تعتبر الجرائم الاقتصادية كما يسمونها أعظم الجرائم بعد الجرائم السياسية، حتى إنهم قتلوا أناساً بتهمة السرقة من مال الدولة، أما نحن فإن فقهاءنا ذكروا أنه لا تقطع يد الذي يسرق من مرفق عام كبيت المال أو أثاث المسجد، وليس ذلك إباحة له، وإنما لكونه له في المسروق شبهة حق، لأنه مال عام والسارق من عامة المسلمين.

وحتى ذبح البقر:

إن هذا أمر غريب بالنسبة إلينا أن يصطاد أحد سمكاً أو ما يشبهه من البحر وأراد أن يبيعه في مكان آخر أن ذلك لا يجوز له، ولا يجوز إلا أن يأكله في مكانه الذي صاده فيه أو أن يبيعه للدولة بثمنه المحدد عندها وهي تبيعه للناس بثمن محدد أيضاً.

ولكن الإخوة قالوا: إن هذا ليس مقتصراً على السرطان والإربيان وإنما هو أيضاً قريب منه متبع بالنسبة للبقر، فالحكومة لا تبيح ذبح البقرة أياً كانت على اعتبار أنها ثروة قومية ويعجب المرء من الثروة القومية التي لا يباح أن يتعامل بها الناس ولكن وجهة نظرها قريبة من وجهة نظر الهنادكة أي الذين يدينون بالديانة الهندوكية وهي أن البقرة لا يجوز ذبحها بل إنهم يقدسونها لكونها تخصب الأرض بروثها وبولها وتنتج السمن واللبن للشعب، وتقول الحكومة الكوبية مثل ذلك، وإن كانت لا تعبد البقر ولا تقدسها لأن من لا يعبد الله، ويعترف بألوهيته كيف يعترف بألوهية البقر، وإنما وجهة نظرها أن على صاحب البقرة التي يكون مستغنياً عنها ويريد أن يذبحها أن يبيعها للحكومة بثمن محدد معروف للجميع لا يُغْبن فيها ذلك، ولا ينقص فيه أحد عن أحد، والحكومة تذبحها وتبيعها على الناس بأسعار محددة، ولكنها لا تبيع عليهم إلاّ حصصاً محددة بالبطاقة لكل شخص، وذبح البقرة لغير ذلك مثل أن يقوم فرد من الناس بذبحها يعتبر جريمة اقتصادية.

وقد ذكر الإخوة أمثلة عجيبة على محاولة خرق هذا القانون الظالم ومن ذلك أن أحدهم عرض بقرة للقطار وهو يسير فصدم القطار البقرة وقتلها فأخذها هو وأصحابه وأكلوا لحمها.

وطبيعي أن هذا لا يجوز في الإسلام فهو تعذيب للبقرة كما أنه حرام مثل لحم المتردية وهي التي تقع في بئر أو نحوه أو تقع من مكان مرتفع إلى مكان منخفض فتموت، ولكنهم قوم غير مسلمين وأكثرهم غير متدينين حتى بدياناتهم.

وبهذه المناسبة ذكروا أن أرخص اللحم عندهم هو لحم الخنزير، وأنه هو ولحم الغنم مباح ذبحه للأفراد وبيعه واستهلاكه، ولحم الغنم أغلى من لحم الخنزير، وذلك لكون الخنزير أسهل تربية، لأنه يأكل أوراق الشجر الساقط والمتعفن

والقاذورات والقمائم وحتى براز ابن آدم إذا وجده يابساً فهو في هذا كالحمار الذي يأكل البراز اليابس.

والسمك كثير ولكنه غالٍ عندهم ويأكلون سمكاً غير جيد لأنه رخيص أما الجيد فإنه يصدر إلى الخارج.

وحدثونا أن لحم الغنم يباع بنحو ٢,٥ للكيلو، وأن ثمن الخروف عندهم يتراوح بين خمسة وعشرين دولاراً وثلاثين دولاراً.

ومن الطريف العجيب أننا مررنا بامرأة حامل ومعها أخرى صغيرة السن وقد وقفتا في الطريق تنتظران من يحملهما بسيارته وهنا أغرب الإخوة في الضحك لأنهم ذكروا القصة التي قصصناها قبل قليل فيمن أخذ امرأة حاملاً من الطريق ومعها أخرى بسيارته فظهر أن المرأة تحمل بعض السرطان المهذب في كيس في بطنها فقال الإخوة لن نقف لها لأنها ربما كانت حاملاً بالسرطان البحري، هذا مع العلم بأن سيارتنا لا تتسع إلا لشخص واحد معنا لأننا أربعة مع السائق.

وريف كوبا هذا جيد وإن لم يكن بالغ الخضرة لكون الوقت ليس فصل الأمطار ومع ذلك فإن الأعشاب فيه خضراء، ورأيت من الأشجار النافعة فيه شجرات من النارجيل الأصفر فيه حمل، وحمله هو جوز الهند، والموز كثير.

ولا يكاد المرء يخطئ وجود أناس في هذا الطريق لأنهم من داخل الريف، ومن ذلك أن رأينا مجموعة من الفتيات الصغيرات واقفات على الطريق ينتظرن من يحملهن، وذكروا أنهن من طالبات مدرسة هناك من أنحاء متفرقة من هذا الريف.

وذكروا أنه لا يفكر أحد بالاعتداء عليهن، لأن الاختلاط بالنساء موجود والعقاب على من يكره امرأة على ما لا تريده شديد، أما إذا أرادت ذلك فإنه لا يوجد من يمنعها لا من القانون ولا من الأعراف السائدة.

وأكثر هؤلاء التلميذات من البيضاوات ذوات المظهر الجيد، وجودة المظهر الذي يدل على الكفاية في الغذاء أو الوفرة منه هو السائد في كوبا في جميع الطبقات.

وقد لحقنا بسيارة شحن كبيرة ظهرها ملئ بالركاب يغلب عليهم السواد فأخبرنا المرافقون أنها سيارة حكومية وأن الحكومة تلزم سائقي سياراتها أن تحمل كل من تراهم على الطريق يطلبون من يحملهم بدون مقابل، ولا يستطيع السائق أن يمتنع من ذلك وأن هؤلاء الذين يركبون الآن في ظهر هذه الشاحنة هم من الذين يركبون فيها من دون أجرة.

أما السيارات الخاصة فإنها غير ملزمة بحمل من يقفون في الطريق، سواء بأجر أو بغير أجر.

مدينة غوينس:

محطة بيع المحروقات في غوينس

عدل السائق عن الطريق العام إلى جسر تحت الطريق حيث سلك خطاً مزفتاً ولكنه غير واسع يوصل إلى مدينة اسمها غوينس تبعد عن هافانا (٧٦) كيلو، وهي قبل القرية التي نحن ذاهبون إليها بـ٢٥ كيلومتراً، ويبلغ عدد سكانها ٧٥٠٠ نسمة ولابد لمن يذهب إلى قرية (بلايا ديلارسواريو) أن يمر بها.

وجدنا المدينة ذات منازل منثورة وليست مكومة متراكمة معظم البيوت فيها من طابق واحد.

ورأينا قبل الوصول إلى بلدة (غوينس) أبقاراً سمينة ترعى في الطريق وليست من الأبقار البالغة الكبر في الحجم ولكنني رأيت بعضها ذات أثداء مليئة بالحليب فهي كثيرة اللبن جداً، ربما لكونها لم تحلب.

وتلك الأبقار ترعى في العشب النضر مع أننا في فصل الشتاء الذي لا يسقط فيه المطر عادة، والفندق مكيف مع أن الجو جيد، و إنما المطر الكثيف يكون في الصيف ويكون أشد حراً.

كما بدأت حقول السكر الكوبي الشهير ترى من الطريق، وكله مملوك للدولة.

رأيناهم نصبوا في مدخل المدينة صوراً لسبعة وعشرين شخصاً ذكروا أنهم من الثوار الذين قتلتهم الحكومة التي قبل هذه عندما اشتركوا في الثورة، وقد كرمهم الكوبيون بأن صورا صورهم وكتبوا عليها أسماءهم، ونصبوها في مدخل المدينة.

وتجاوزنا نهراً صغيراً تقع عليه المدينة اسمه (مايا ويكي) وهذا اسم من السكان القدماء الذين يسمون الهنود الأمريكيين، ولا يوجد منهم أحد معروف الآن بل انقرضوا أو ذابوا في الناس الذين جاءوا إلى هذه المنطقة من العالم القديم من أوروبا وإفريقية.

ورأيت في مدخلها أناساً متجمعين على عربة يجرها حصان، ويستعملونها هنا للانتقال مثلما نستعمل سيارات الأجرة، ولكنهم يزدحمون فيها.

وقد التقطت لها صورة ولأخرى مثلها، ثم التقطت صورة للشارع العام في المدينة.

في مدينة غوينس:

أوقف السائق سيارته في أهم ميدان وأقدمه في المدينة واسمه (باركي دي غوينس) وترجمته الحرفية (حديقة غوينس) والأمر ليس كذلك فهو ليس حديقة وإنما هو ميدان فيه شيء قليل من الشجر ولكن هذه هي عادة الإسبان في مدن أمريكا الجنوبية أن يسموا الميادين التي فيها أشجار ولو قليلة (باركي) بمعنى حديقة أومنتزه، رأيت ذلك في عدة مدن في تلك القارة، وهذا الميدان عليه حوانيت وكذلك في الشوارع القريبة منه التي تصب في الحديقة، وكل الأبنية المحيطة بالميدان هي ذات أروقة أمامها قائمة على عمد حتى يستطيع من يسير فيها أن يتقي بها المطر والشمس.

صورة للمؤلف في الشارع رقم ٨٥ في مدينة غوينس

دخل الإخوة إلى مقهاة على الميدان ليشربوا ماء وليشتروا شيئاً من الحلوى لأطفال أهل القرية التي سنذهب إليها، وجعلت أنا أتجول في الميدان وأتصفح وجوه الناس من الذين ظهر لي جلياً أنهم مختلطون وهم هكذا بلغتهم يسمون المختلطين (مولاتو) وليس المراد باختلاطهم أنهم يتألفون من أشخاص بيض وأشخاص سود وأشخاص بين هؤلاء وأولئك ولكن المراد أن الشخص الواحد منهم ذو دم مختلط يدل عليه لون مختلط أو تقاسيم مختلطة كأن يكون وجهه أسمر ولكن له شعر أصفر أو العكس أو يكون أبيض اللون ولكن إذنه صغيرة كآذان الزنوج أو تكون رجله كبيرة بمعنى أن قدمه كبيرة كأقدام الزنوج.

كما أن الأنف أيضاً علامة ظاهرة على الاختلاط إذ قد يكون قريب الشكل من أنوف الأفارقة في وجه أبيض أو العكس حيث الأنف الأقنى وهي المرتفع الوسط على وجه أسود أو رمادي اللون.

وهكذا هم مختلطون وليس اختلاطهم لجيل واحد وإنما لأجيال متعددة، ولذلك لم يعودوا هنا يلقون للون بالاً، ولأن كثيراً منهم في دمائهم أو في أعراقهم شيء من الاختلاط.

أما البيض المتغيرون فإنهم موجودون على قلة وهم الذين تغيروا بسبب تأثير الجو هنا أو لكون اختلاطهم واحداً وهم لغير البيض قليل أو ضعيف التأثر.

دخلت المقصف الذي هو مقهاة تقدم فيها أطعمة خفيفة وأشربة باردة فصعدت لحمام في الطابق الثاني فوجدت بابه لا يغلق وله رائحة خبيثة، ولا شك أن ذلك بسبب عدم العناية بتنظيفه وتلك عادة عرفتها في البلدان الشيوعية السابقة كلها من الصين إلى روسيا فأوروبا الشرقية.

وتشرف على هذا الميدان كنيسة قديمة ولكنها ليست فاخرة البناء وليست عليها آثار عناية ظاهرة.

الانتقال بالعربات التي تجرها الدواب (بمثابة سيارة الأجرة في غوينس)

وذكرت بهذا أن مدننا القديمة في نجد كلها تجد الميدان الرئيسي فيها عليه المسجد الجامع فسألت نفسي عما إذا كنا أخذنا ذلك من الإفرنج أم هم أخذوه منا أم الأمر كله مصادفة ليس فيها أخذ ولا عطاء.

وقد رأيت شارعاً مهماً متفرعاً من الميدان وإن شئت قلت: إنه يصب في الميدان: سيان، عليه مبنى ذو أعمدة في مقدمته تشبه الأعمدة التي تكون في مقدمات المباني المهمة التي تبنى على الطراز الروماني واسمه (شارع ٧٧) هكذا الشوارع عندهم بالأرقام، فالتقط لي أحد الإخوة صورة فيه ويعتبر من الشوارع الواسعة نسبياً كما رأيت شارعاً ضيقاً في جنوب الميدان اسمه شارع رقم ٨٥ فالتقط أحد الإخوة فيه لي صورة أيضاً.

ولم أر سياحاً في هذه المدينة بخلاف (هافانا) العاصمة حيث يكثر السياح فيها كثرة ظاهرة، وذلك أن حكومة كاسترو صارت تمنح للسياح تسهيلات مهمة

من أظهرها منح سمة الدخول السياحية لمن يطلبها، كما أنها لا تبالغ في أسعار الخدمات التي تقدم لهم.

ومن أجل ذلك رأيت الناس هنا ينظرون إلينا بخلاف أهل هافانا، ورأيت نساء المختلطين الخلاسيين وهم الذين ألوانهم بين البياض والسواد ينظرن إلينا كثيراً ولا أدري سبب ذلك.

كثرة الدراجات:

لاحظت كثرة الدراجات في هذه المدينة يركبها الصغار والكبار من الرجال والشبان والأطفال ولكن لم أر النساء يكثرن من ركوبها، وذلك على خلاف ما عليه الحال في الصين حيث يركبونها بدون تفريق فيما بينهم، ولذا تعتبر الصين بحق بلاد الدراجات.

وقد أخبرني بعض الإخوة أن الحكومة الكوبية كانت فكرت في وقت من الأوقات أن تعطي كل شخص دراجة يركبها لما يترتب على ذلك من توفير المحروقات ولكن لم تستمر في هذا الأمر وإنما استمروا في تيسير وسائل المواصلات العامة كالحافلات ونحوها.

مغادرة غوينس:

في الثانية عشرة إلا عشر دقائق كنا نغادر بلدة (غوينس) مع طريق ريفي خصب قد استغلت أرضه كلها بمزروعات نافعة، والطريق ضيق سيء لأنه ذاهب إلى قرية (بلايا دي ويلاروسارو) وما دونها، وليس طريقاً سلطانياً يمر بها ويتجاوزها إلى غيرها، وعلى هذا الطريق بيوت ريفية متفرقة من طابق واحد أكثرها من لبن الأسمنت المسقف بالصفيح على هيئة سنام البعير.

والحقول هنا هي من قصب السكر والطماطم والبطاطس ولكن حقول الطماطم ليست كثيرة لطبيعة استهلاكه والبطاطس يسمونه (بطاطا) ويباع مثل غيره من المواد

الغذائية بالبطاقة ليست زراعته حرة هنا، ثم وصلنا إلى حقول من الأرز في أرض منخفضة مغمورة بالمياه كما هي العادة في زراعة الأرز الذي يحتاج إلى مياه وافرة.

هذا وقد كثرت حقول السكر في الطريق يمين الطريق ويساره وكله مملوك للدولة، ومررنا بحقول من قصب السكر الحصيد والشاحنات محملة بالقصب بجانبه آلة كالجرار الزراعي له رافعة تجمع القصب وترفعه لسيارة الشحن، ورايتهم تركوا في حقول السكر مقداراً كبيراً من أصول القضب وأوراقه اليابسة أكثر مما يتركه زراع القمح من أصول نبات القمح، ولا أدري أيطلقون عليه الأبقار لترعاه أم أنهم سوف يتركونه في الأرض عندما يهيئونها للزراعة ثانية وقد يحرقونه فيخصب الأرض ببعض السماد.

وهذه الشاحنات التي تنقل قصب السكر إنما تنقله إلى معامل التصفية.

وفي هذا الريف الخصب القليل السكان يرى المرء بعض الرجال عليهم القبعات من أجل الوقاية من الشمس وإن لم تكن حارة الآن ولم يكن الجو حاراً، كما يرى الأطفال على البعد وقد تخففوا من اللباس وكأنما هم صبيان الأعراب عندنا في ألوانهم بخلاف تقاسيم وجوههم إذا نظرت إليهم من قرب.

وقد كثر منظر الأبقار التي ترعى في الحقول كما مررنا بحقول من حقول الذرة فأسرع أحد المرافقين ليقول: إن الذرة هي في الأساس من هذه البلاد ولم تكن معروفة في العالم القديم قبل اكتشاف العالم الجديد، فأقول له: إن ذلك صحيح، وليست الذرة وحدها التي تراها الآن في موقعها الأصيل من هذه البلاد، بل هنالك البطاطس فهو أمريكي وإن شئت قلت: إنه كاريبي، والطماطم فهو أيضاً هدية العالم الجديد للعالم القديم، وهنالك فواكه لذيذة عدة مثل الأناناس والجوافة أصلها من العالم الجديد، إلا أن الأمر السيئ الذي يمحو كل الحسنات التي قدمها العالم الجديد هو أنه أهدى (الدخان) أو الطباق ذلك النبات الخبيث أصلاً وفرعاً ورائحة وعاقبة، فلم يكن

معروفاً في العالم القديم قبل اكتشاف أمريكا، وبالتحديد في جزر البحر الكاريبي هذا، وما يزال التبغ أو الطباق، وبخاصة السيجار الغالي من المنتجات المعروفة، بل المشهورة في هذه البلاد الكوبية.

بلدة بلايا دي روساريو:

شارع البحر في قرية بلايا دي روساريو

في الثانية عشرة والنصف ظهراً كنا نصل بلدة (بلايا دي روساريو) وهي في منطقة غير معتنى بها واقعة على شاطئ البحر الذي يقع عليه شارع الشاطئ وهو ردي الزفت، بحيث أن بعضه ذهب زفته ولم يجدد.

أما البحر الذي تقع عليه فإن الذي يليه الشاطئ منه ضحل ما يلبث أن يصبح أعمق ولكنهم ذكروا أنه غني بالأسماك، وبالمخلوقات البحرية الأخرى كالإربيان

الذي هو (الروبيان) بلغتنا الدارجة، وهو الجمبري باللغة المصرية الدارجة، وكذلك السرطانات البحرية.

وقد اصطفت بيوت القرية التي أسميتها بلدة مع أنها بعدد سكانها لا تستحق أن تسمى إلا قرية لولا أنه ليس على وجوه أهلها ولا ثيابهم شيء مما يكون في القرى من الخشونة والاتساخ أو حتى القشف التي تركب جلود أطراف الإنسان.

والبيوت كلها طابق واحد ذات مقدمة صغيرة أمامية غالباً ما يكون المدخل تحت مظلة صغيرة وكلها من الخشب ومن بيوت معدودة فيها من اللبن الذي هو الأجر، ولبن الأسمنت، وسقوفها من الصفيح الذي أثرت فيه العوامل الجوية فغدا صدئاً رديء المظهر، ولكن الناس ليسوا كذلك.

والملاحظ أن البيوت تبدو كلها من حيث السعة واحدة، أو تكاد، فليست فيها بيوت كبيرة وبيوت أخرى صغيرة، سواء أكان ذلك بمبانيها أو أراضيها.

وكل بيت له حديقة خلفية خضراء أي تكون في مؤخرته خلاف مقدمته فمقدمة البيوت هي على شارع الشاطئ الذي بعده البحر مباشرة ومؤخرتها في داخل الريف الذي هو أخضر خصب حتى إننا رأينا أشجاراً من الفاكهة كالموز والنارجيل نامية فيها دون سقي، وأما الماء فإنهم ذكروا أنهم يحفرون بئراً ارتوازية بأنبوب من الحديد فيصلون إلى الماء الصافي العذب النمير ويصب على وجه الأرض دون رافعات ولكنه قليل، مما ذكرني بالآبار الارتوازية ذات المياه العذبة في القصيم التي كانت مياهها تخرج إلى سطح الأرض بدون رافع أو دافع.

وبعض البيوت الخشبية فيها قد تخرقت فرقعوها برقع من الخشب، ولكنها قليلة، مع أن البيوت على وجه العموم هي ذات مظهر غير وجيه.

عندما وصلنا إلى طلائع القرية رأينا مصادفة ثلاثة من أهلها فأشار الإخـــوة بأنهم من المسلمين الذين لا يحتاج الأمر إلى نعتهم بأنهم جُدُد في الدين، لان جميع المسلمين من الكوبيين الأصلاء هم من المسلمين الجدد.

كان على رأس أحد هؤلاء الإخوة المسلمين قلنسوة (طاقية) ولكننا عرفنا بعد ذلك أنهم من المسلمين لأننا اجتمعنا بهم مع مسلمي القرية.

الأخ حنيف الإسلام عند مسجد قرية بلايا دي روساريو

كما وجدنا إمام المسلمين في القرية الأخ (حنيف الإسلام) وهو هـــايتي الأصـــل كان يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية فأسلم هناك وحسن إسلامه واتهمته الولايـــات المتحدة بعد ذلك مع أربعة من المسلمين باختطاف طائرة، لذا التجأ إلى كوبـــا وتـــزوج منها وقد عينته جمعية الدعوة في قطر للعمل في هذه القرية إماماً ومرشـــداً للمـــسلمين الجدد فيها براتب رمزي قليل جداً بالنسبة إلى الرواتب عندنا، لكنه بالنسبة إلى رواتـــب أهل البلاد كثير، وهو فيما أظن (٦٠) دولاراً أمريكية في الشهر، غير انه وهو متزوج

من كوبية الجنسية وحاصل على إقامة نظامية رسمية في كوبا يحق له أن يحصل على قدر من الأشياء الضرورية التي تبيعها الحكومة للناس بأسعار رخيصة جداً بالنسبة إلى الأسعار العالمية، وإن تكن غالية بالنسبة إلى الأجور التي يتقاضاها الكوبيون.

المسلمون وغيرهم:

التف علينا المسلمون من أهل القرية وبخاصة من أطفال المسلمين الذين كان في مقدمتهم ثلاثة أو أربعة أطفال ممن أسلموا حديثاً وهم في أعمار لا تتجاوز الثانية عشرة ولا ينبغي أن يسارع المرء إلى تخيل الشيء الطبيعي وهو أن أهليهم أسلموا فأسلم أولئك الأطفال بإسلامهم، لأن ذلك غير صحيح وإنما العكس هو الصحيح، وحيث إن بعض الأطفال أسلموا قبل أن يسلم أهلهم، وواحد منهم أخبرونا أن إسلامه كان سبباً لإسلام أهله، وقد أرونا إياه وحضرت أمه فذكرت أن ابنها هو الذي دعاها إلى الإسلام فأسلمت.

طلب بعض أهالي قرية (بلايا دي روساريو) التصوير، والأخ عبدالرحمن بن محمود في أيمن الصورة بالقبعة

وذلك أن الأطفال لم يخضعوا لأي تربية نصرانية، لذلك لم يكن لديهم تعصب، بل إن المتوسطين في السن من الأهالي هم كذلك.

وقد حضر مع الأطفال المسلمين أطفال من أهل القرية حباً في الاستطلاع وكان الأخ عبدالرحمن بن محمود المحمود عضو جمعية الدعوة القطرية وهو الذي اقترح هذه الرحلة وسافر معنا قد اشترى مقداراً من الحلوى، ولما وصلنا وزعها على الأطفال الكثر من أبناء المسلمين وغيرهم، ففرحوا بذلك غاية الفرح، وذلك لصعوبة حصول الأطفال عندهم على الحلوى وليست عندهم مآكل حلوة رخيصة.

كما أنني كنت أحضرت معي من التمر ما أحضرته معي لكوبا أعطيت بعضهم منه وقال بعضهم: هذا من مكة المكرمة، يجب أن يعطى منه الناس واحدة واحدة.

ومن الطريف أن الأطفال اجتمعوا وقرءوا سورة الفاتحة مع أنهم كانوا قبل فترة قليلة ربما لا تزيد على أربع سنين لم يسمعوا هم ولا آباؤهم بها.

ثم جاءت النسوة من دون احتشام حتى نسوة المسلمين، ولنقل إنهن المسلمات الجدد، لأن بعضهن اسلمن قبل أن يسلم أزواجهن، ولكن لم يكن لديهن من يعلمهن آداب الإسلام في اللباس، وكيفية لقاء الرجال الأجانب، وهذا أمر طبيعي مرحلي لاشك في أنه سوف يتغير عندما يخالط الإيمان مشاعرهن، وعندما يوجد عندهم رجل أو امرأة من الدعاة إلى الإسلام الذين لديهم بصيرة فيه.

كان وصولنا إليهم يشبه وصول الرجل إلى بيته ولقائه بأسرته فقد كانوا يعرفون الرفقة من قبل ولذلك جلسنا معهم عند بيت أحدهم وقد اختلط الرجال بالنساء على عادتهم التي لا يعرفون غيرها.

ولم نر من الحكمة أن نبادرهم بخلاف ذلك لئلا ينفروا من الإسلام أو يجد في هذا من يريدون التنفير عن الإسلام حجة لهم، والحقيقة أن مرحلية الدعوة أمر مقرر معروف في الإسلام قولاً وعملاً، ومن ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لبث سنوات وهو يدعو إلى التوحيد من دون أن تفرض عليه الفرائض.

ومن مرحلية الدعوة أن الخمر لم ينزل تحريمها دفعة واحدة لأن العرب كانوا يتعاطونها كما أن من مرحلية الدعوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى المؤلفة قلوبهم من الزكاة مع أنه يوجد من هم أفضل منهم وأقدم إسلاماً من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ولكنه كان يكلهم إلى إيمانهم، و أنزل الله تعالى نصاً على أن الدفع إلى المؤلفة قلوبهم هو باب من أبواب الزكاة الثمانية، أي أنه مصرف من مصارف الزكاة الشرعية إلى يوم القيامة.

صورة تذكارية مع أهل بلايا دي روساريو

ومن الغريب بالنسبة إليَّ أن بعض الحاضرين من سكان القرية هم بيض حتى إنه يوجد فيهم من هو إلى بياضه أشقر الشعر وهو أمر لم أكن أظنه من قبل، بل كنت أظن أن الجو في كوبا يمحو البياض من الناس، ولكن تبين أن هذه المنطقة وهي واقعة في شمال كوبا تحت خط العرض ٢٣ شمال خط الاستواء كما أن

هؤلاء البيض هم من أنسال الأوروبيين اللاتينين- نسبة إلى لغاتهم التي ترجع إلى اللغة اللاتينية كالأسبان والإيطاليين.

بادرونا عندما جلسنا بشيء من الطعام البارد الذي أحضروه من ثلاجة البيت الذي جلسنا عنده، ولكننا لم نرده، لأن خطتنا أن نعطيهم ما يعدون منه طعاماً للجميع منا ومنهم، وإن كان العدد كثيراً، ولم نكن أيضاً لنأكل الآن دونهم وهم كثر، فالأخ عبدالرحمن بن محمود يعرف أهل بيت صاحبته امرأة حازمة قوية أسلمت حديثاً، بل إنها أسلمت قبل ٨ أشهر وأسلم زوجها بعدها بشهرين.

وسيأتي الكلام على هذه الأسرة فيما بعد.

من الشيء الطريف أن جمعاً من النسوة من أقارب صاحبة البيت من جاراتها قد نهضن يساعدنها على إعداد الطعام الكثير الذي سوف يأكل منه نحو السبعين أو الثمانين من رجال ونساء.

وقد فتحت بيتها وهو كان مفتوحاً من قبل من بابيه اللذين يكونان في مثله من البيوت أحدهما مما يلي الشارع الذي هو شارع الشاطئ بعده البحر وهو الباب الأمامي والثاني خلفي يفتح على حديقة طبيعية خلفية، فكان الناس من صبيان ونساء وأطفال يدخلون ويخرجون حتى إنهم عندما أرادوا أن يسقونا ماءاً من ثمار النارجيل التي في الحديقة، أدخلونا من الباب الأمامي وأخرجونا من الخلفي لأنه أقرب.

وفي الحديقة كانت أشجار من النارجيل النضر غير المرتفعة، ربما لكون غرسها في هذه المنطقة ليس قديماً فلم أر فيها أشجاراً سامقة.

وثمار النارجيل من النوع الأصفر الجيد وهو أصدق حلاوة وألذ طعماً من ماء ثمار النارجيل الأخضر.

عند تناول ماء النارجيل في (بلايا دي روساريو)

جلسنا تحت ظل شجرة النارجيل وصعد أحد الفتيان إلى الشجرة فصار يلقي بالثمار واحدة واحدة ثم صاروا يقطعون جزءاً من رأس الثمرة بسكين قوية حادة يفعل ذلك منهم من مرن عليه وعرف كيف يتفادى ضياع شيء من الماء ويجعلون بعد إبعاد الليف والغلاف من الشجرة ثقباً فيها ضيقاً يشرب منه الماء.

ثم بعد الفراغ من شرب الماء يفلقون الثمرة فلقتين ويأكلون من شحمها الذي تحت القشر السميك وهو دسم إلا أنه ليس خالص الدسم، بل يشبه بياض البيض الصليق وهو المسلوق.

وكانت جلسة في الحديقة غير مستقرة لأننا صرنا نتنقل بناء على طلبهم في حدائق جيرانهم التي لم يتعبوا عليها فالحديقة هنا يسقيها المطر وليست مسورة بأي سور، أما الجيران فإن غير المسلمين أيضاً جاءوا إلينا، وجلسوا معنا من باب الاستطلاع ومشاركة مواطنيهم المسلمين الترحيب بنا.

في قرية بلايا دي روساريو

وقد تجلت البساطة في الترحيب بل والمعاملة في تصرف هؤلاء القوم وعدم وجود العقد تجاه العرب والمسلمين عندهم.

المسجد الذي تبرعت به امرأة:

كان من بين الأسباب التي جعلتنا نزور هذه القرية ونلتقي بأهلها المسلمين وجود مسجد تبرعت به إحدى الإخوات اللاتي أسلمن حديثاً وطلب منا الأخ عبدالرحمن المحمود أن نراه وأن نتبرع له بما يحتاج إليه من فرش ونحوه، فقلت له: هذا جيد ونزيدك على ذلك بأننا سوف نتبرع من رابطة العالم الإسلامي بما يكفي لبناء منارة له صغيرة!

فقال: إذاً سيكون أول مسجد له منارة في كوبا وسوف نسميه مسجد رابطة العالم الإسلامي، و قد وجدناه بيتاً معتاداً خالياً من الأثاث والفرش حتى إنه ليس فيه ولا فراش لإمام المسجد، وذلك لضيق ذات اليد عند المسلمين، وضعف دخولهم، وعدم إحساسهم بأهميته.

وجدناه بيتاً جيداً بالنسبة إلى بيوت القرية مؤلفاً من ثلاث غرف وحمام ومطبخ وله بابان مثل غيره أحدهما إلى الشارع الذي يماشي البحر وهو شارع دريء الزفت إلا أنه لا يزال فيه منه شيء وما هو خارج من الجزء المزفت فيه هو حصباء جيدة كانت مفروشة فيه قبل الزفت، وله باب آخر يفتح إلى حديقة خلفية.

وهو عامر لا يحتاج إلى ترميم.

كانت الأخت الكريمة التي تبرعت به مع الجمع الذي ذهب معنا للمسجد، ولكن لم تتقدم القوم ولم تتبجح بعملها فناديتها واسمها الإسلامي (يسيره) واسمها قبله (ليسادرا سالينا) قالت: اسمي الآن (يسيره ليساندرا سالينا).

دعوت لها وقلت لها: إننا سوف نخبر الإخوة المسلمين أهل مكة المكرمة التي فيها رابطة العالم الإسلامي وعن طريق الرابطة أيضاً نخبر المسلمين في أنحاء العالم عن طريق النشر والإيضاح، وسوف نذكر اسمك ونشكرك لعل أحد المسلمين يدعو لك بالخير دعوة مستجابة.

ومرادي بذلك أن ينتشر تبرعها في الصحف والمجلات التي تنشرها رابطة العالم الإسلامي وترسلها إلى أنحاء العالم فضلاً مما يباع منها في المملكة، وكثير من الصحف والمجلات الإسلامية تنقل ذلك عن مجلة الرابطة.

وقلت لها: إنك بعملك هذا أول سيدة مسلمة تتبرع في كوبا بعملها هذا للإسلام وسوف يكون لك بإذن الله أجر كل من صلى فيه، وإنْ لم ينقص ذلك من أجره شيئاً، وذلك لما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ دَلَّ على خير فله مثل أجر فاعله).

وفيما يتعلق بالثواب العظيم لعملك هذا وأمثاله ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم (مَنْ بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة).

ومفحص القطاة حيث تقع فيه من الأرض وهي عادة تفحص المكان بجناحيها ورجليها حتى تبعد عنه الاقذاء والحصا الصغار الذي يؤذيها إذا باتت فيه.

وكانت المرأة جاءت مع زوجها الذي أسلم بعدها فقلت لها: إننا ندعوك لأداء فريضة الحج من الآن أنت وزوجك تقديراً لما عملتيه، قلت ذلك تشجيعاً للآخرين على أن يعملوا عملاً طيباً يعرفون أن له صدى خارج قريتهم بل خارج بلادهم.

هذا والبيت مؤلف من ٣ غرف وحمام ومطبخ مبنية كلها بلبن الآجر ومسقف بالصفيح مثل سائر البيوت في هذه القرية، بل إنه مثل أكثر المنازل المنفردة في كوبا كلها.

وغرفه متداخلة بمعنى أن الداخل يدخل لكل واحدة مع الأخرى وليست فيه قاعة توزيع أو ممر يفصل بين الغرف.

تبرع الرابطة:

سألناهم والجميع يسمعون عن النفقة اللازمة لفرش المسجد، لأنه ليس فيه أي فراش فأخبرونا بالفراش البساط الموحد (الموكيت) الرخيص والغالي الجيد فأعلنا لهم التبرع بالجيد وأعلنا لهم أيضاً أننا سوف ندفع مبلغاً يكفي لبناء منارة صغيرة للمسجد مع العلم بأن جميع بيوت القرية هي من طابق واحد ولذلك يكفي للمنارة مبلغ قليل لتكون أعلى بناء في القرية كما أعلنت لهم أيضاً أننا سوف نتبرع للمسجد بوضع قبة رمزية من المعدن الذي هو الصفيح الموجود في سقوف بيوتهم لكي يكون فيها وفي المنارة ما يعطي المسجد المظهر الإسلامي المتميز، وقد أكبروا ذلك وأعظموه وقال عبدالرحمن الذي يعرف قيمة النقود الأجنبية هنا إن خمسة دولارات هنا تساوي أكثر من خمسمائة دولار في بلادنا إذا نظرنا إلى قيمة المرتبات فيها، فمرتب الطبيب وذكر أنه يعرف عدة أطباء كذلك هو ١٢ دولاراً وإن الرواتب في كوبا الآن تتراوح ما بين ٧ إلى ١٥ دولاراً والمراد ما يعادل الدولار، وإلا فإن

الرواتب تدفع بالعملة الكوبية المحلية التي هي البيزو، وكل المواد الغذائية الضرورية وغيرها تباع بالبطاقة للمواطنين بأسعار شبيهة بالمجانية، لذلك يستطيع الفرد منهم الاكتفاء بهذا إذا كان ليس له طموح إلى تحسين وضعه.

وقد أخبرنا الأخ عبدالرحمن المحمود والأخ الفلسطيني الذي رافقنا وهو الذي يعرف الإسبانية معرفة جيدة أننا سوف ندفع مبلغاً رمزياً للإمام وهدية رمزية للأخت التي تبرعت بالمسجد أيضاً.

وجلسنا معهم جلسة في المسجد أردت أن أستقصي منهم السبب في كون الأخت المسلمة هذه قد تبرعت بهذا البيت بعد أن بلغنا أن امرأة لم تسلم بعد قد تبرعت ببيت آخر للمسلمين، وذلك لكون أختها أسلمت وبعض أقاربها أسلموا.

فأخبرتني الأخت المسلمة (يسيرة) أن هذا البيت كان لها قبل أن تتزوج وأن زوجها كان له بيت قبل أن يتزوج، ولذلك زاد هذا البيت عن حاجتهما فتبرعت به مسجداً.

يستمعون إلى محاضرة المؤلف في مسجد بلايا دي روساريو

ولكن لم أجد من أخبرني عن السبب الذي جعلهم لا يبيعون البيت، إلا أنهم ذكروا أن الحكومة تفكر في إجلاء أهل القرية عن بيوتهم، أو نقلهم إلى مكان آخر تعطي صاحب كل بيت أرضاً بديلة عن بيته ومبلغاً ضئيلاً من المال يدعي أنه يكفي لكي ينقض بيته وينقل ما فيه إلى الأرض الجديدة فيبني به بيتاً.

وهذا بطبيعة الحال غير كافٍ، ولكن هذا هو النظام حتى لو فرض أن الدولة سوف تساعدهم على بناء بيوتهم الجديدة فإنها لن تعطي الشخص أرضاً لأكثر من بيت واحد، وذكروا أن أسباب تفكير الحكومة في نقلهم من قريتهم هذه أن مياه البحر التي تقع عليها هي مياه فسفورية لذلك يصلح المكان لأن يكون مكاناً سياحياً ممتازاً وهي تريد أن تجعله كذلك.

غير أن الشيء الذي لم يذكروه هو كيفية تعويضهم عن الخيرات التي في هذا البحر من الأسماك الجيدة ومن الروبيان (الإربيان) ومن السرطانات البحرية، وربما كان نقلهم إلى مكان بحري غير بعيد من هذا المكان.

وكانوا نوهوا بالخير الكثير الذي يحصلون عليه من البحر وتدل على ذلك نضارة غريبة في وجوههم واعتدال في أجسامهم مما يدل على أنهم يحصلون على طعام جيد، إضافة إلى ما يحصلون عليه من ذلك من الزراعة، لأن المنطقة زراعية خصبة، إلاّ أن ذلك كله لا يضيف إلى دخولهم شيئاً، إذ لا يستطيعون أن يبيعوا مما ينتجونه شيئاً إلا إلى الحكومة التي تشتريه منهم بثمن بخس، ولا يجيز النظام المعمول عندهم ان يتاجر المرء ولو بما يحصل عليه من المصادر الطبيعية كالصيد البحري وإنما يمكنه أن يأكل منه ما يريد ويبيع ما يزيد عن حاجته على الحكومة.

الصلاة الحافلة:

أذن الأخ (حنيف الإسلام) لصلاة الظهر وهو واقف أمام نافذة المسجد، ولم يكن ملتزماً للإعراب في أذانه فكان يقول: شهد أن محمدٍ رسول الله ويقول (حيال

الفلاح) وهذا أمر طبيعي ولا ينقص من عمله في هذه المنطقة التي يصح أن توصف بأن العمل الإسلامي فيها فتح جديد، إذ لم يكن للإسلام فيها وجود من قبل، وقد أفهمناه اللفظ الصحيح، وطلبنا من الأخ (حنيف الإسلام) أن يصلي بنا الظهر إماماً من أجل أن نخبرهم بما قد يكون في صلاته من ملاحظة، وقد صلى صلاة متقنة وصلى خلفه الرجال والصبيان، كما صلت بعض النساء متسترات.

وبعد انقضاء صلاة الظهر صليت بالمسافرين مثلنا صلاة العصر جمعاً وقصراً مع الظهر وشرحنا لهم ذلك باللغة الإسبانية لأنهم ليس لديهم علم به.

صورة تذكارية مع بعض الرجال والأطفال في بلايا دي روساريو

وبعد انقضاء الصلاة جمعوهم جميعاً حتى الأطفال وألقيت فيهم كلمة مبسوطة بدأتها بتهنئتهم بعيد الأضحى وبينت لهم الحكمة الشرعية من الأعياد في الإسلام، إن الاجتماعات فيه خمسة أولها وهو أوسعها اجتماع أهل الحي أو القرية

في المسجد لأداء الصلوات الخمس مثل حالتهم هذه والثاني الاجتماع الأكبر من ذلك في صلاة الجمعة والثالث الاجتماع الأوسع في صلاة العيدين الفطر والأضحى، والرابع الاجتماع الأكبر من ذلك كله وهو الاجتماع لأداء الحج في مكة المكرمة الذي يجب على المسلم أداؤه في السنة مرة واحدة إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وقلت لهم: إن الاجتماع للحج يوضح أن الإسلام دين عالمي لأن المسلمين يجتمعون فيه من أنحاء العالم كما يجتمع الإخوة في مكان معين بعد تباعدهم.

وإذا فالإسلام ليس دين العرب وحدهم ولا دين آية أمة بمفردها أو شعب بمفرده دون بقية الشعوب لذلك وجد المسلمون في كل أنحاء العالم.

وأنتم أيها المسلمون الجدد بدخولكم الإسلام أصبح لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين لا فضل لأحد من المسلمين القدماء عليكم إلاّ بالعمل الصالح ولا فضل لكم على أحد من المسلمين الذين يسلمون بعدكم إلا بالعمل الصالح الذي قدمه المرء في إسلامه من صلاة وصيام، وصدقة وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

وقلت لهم: إن الإسلام لا يجعل بين الإنسان وربه وساطة، بل يستطيع المسلم أن يناجي ربه بالدعاء والرجاء وأن يتوب إليه وحده من دون أن يحتاج إلى واسطة من المخلوقين، كما أن الإسلام لا يرفع أحداً من الآدميين إلى رتبة القداسة، بل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى في القرآن أنه بشر من البشر كما قال تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد).

لذا فالإسلام يحرر الإنسان من ارتباطه بغير الله الذي خلقه وأوجده مثلما خلق وأوجد جميع الكائنات.

وقد دعوت لهم في نهاية هذه الكلمة المبسوطة بأن نرى المسلمين في هذه البلاد أكثر عدداً وأقوى تمسكاً بدينهم، و أن نحضر إلى منطقتهم هذه لافتتاح مسجد فيها مناسب لذلك.

كما دعوت لهم بأن يقدر الله الاجتماع بهم مرة ثانية في مكة المكرمة عندما يأتون إليها حجاجاً ومعتمرين، وكان يترجم كلمتي جملة جملة الأستاذ علي محمد شريف الفلسطيني ويعرف الإسبانية لكونه درس في هذه البلاد وتخرج فيها، ولكنه بقي مترجماً لبعض السفارات العربية وغيرها، وقد أثيرت بعض الأسئلة من الحاضرين بعد ذلك فأجبتهم عليها.

هذا وقد احضروا القهوة أثناء الكلام في المسجد جاءوا بها في إناء من المعدن كبير وليس إبريقاً فصاروا يأخذون منه بأكواب الشرب وغيرها وهي مرة اعتادوا على أن يضعوا السكر فيها.

ونوهوا بانها من كوبا وأن كوبا لا تستورد القهوة بل تصدرها، وقد رأيت أشجارها فيها بعد ذلك.

تجديد عقود الزواج:

حضرت إلينا الأخت التي تبرعت بالمسجد ومعها زوجها قائلة: إننا نريد تجديد عقد زواجنا على الطريقة الإسلامية لأننا كنا تزوجنا بدين غير إسلامي.

وكان ذلك أثناء جلوسنا في المسجد مما استدعى أن تلبس لباساً يستر ما كان ظاهراً من جسمها غير وجهها ويديها فرأيت النساء يعاونها على ذلك، إذ لبست منديلاً كالغترة على رأسها وغطى كتفيها ولكن المشكلة عندهن أنه يحتاج إلى مثبت كالمشبك ونحوه لم يكن موجوداً عندهم فشبكته بعود.

جددنا العقد بموجب الشريعة الإسلامية وكأنه عقد زواج جديد، وقد سروا لذلك وأقبل عدد من الأزواج يريدون تجديد عقود زواجهم بعقد شرعي كذلك وكانوا ثلاثة أزواج كل واحد منهم زوجان.

وإسلام امرأة:

وحضرت امرأة أيضاً ذكروا أنهم كانوا يحاولون أن يجعلوها تسلم لأن إسلامها نافع للمسلمين هنا ولكنها لم تقبل حتى اليوم، قالوا ربما كان ذلك من ميل إلى أن تسلم على أيدي أناس من أهل مكة فلقناها الشهادتين وأخبرناها بما يجب على المسلم تجاه إخوانهم المسلمين وغيرهم.

كنا لا نزال في المسجد وقد نزل المطر قوياً غزيراً ونحن كذلك فاستبشروا بذلك خيراً وعدوه من الفال الحسن لأن الوقت ليس موسم المطر.

إن إسلام هؤلاء النفر وبخاصة من النساء اللاتي بلغ عددهن في القرية ضعف عدد الرجال هو أمر عجيب يدل على ما في الدين الإسلامي من سماحة ويسر، وما كان من قبول إذا ما قام به دعاة مخلصون يعروفون كيف يقدمونه للناس.

والغداء الحافل:

انتقلنا ومعنا الجمع الغفير من الحاضرين من رجال ونساء وصبيان إلى البيت الذي سنتغدى فيه وهو الذي كان يصنع فيه غداؤنا، وكانت ربة البيت واسمها (نورا) تسعى طول الوقت في إعداد الطعام تساعدها أخوات لها وصديقات، وكانت أسلمت في شهر رمضان الماضي، وعقب إسلامها بشهر إسلام زوجها الذي سمى نفسه (سعيداً) بعد إسلامه.

لم يكن في البيت متسع للجميع فكان أن قسموا المائدة قسمين أحدهما للضيوف وبعض كبار القوم.

مع الأطفال في بلاي دي روساريو

جلسنا على الطعام الذي كان عماده السمك الجيد الذي اصطادوه لتوه من البحر وكذلك نوع من الإربيان (الروبيان) كبير صيد لتوه من البحر أيضاً، وكانوا أرونا إياه قبل طبخه قالوا: نحن صدناه في هذا الصباح، ولم يكن الذين صادوه أهل البيت الذي طبخ طعامنا وهو بيت (نورا) إن نسبت البيت إلى الزوجة العاملة الموجودة فيه الآن أو بيت سعيد إن نسبته إلى زوجها الذي لم يكن حاضراً في القرية لأنه يعمل في مدينة (غودينس) التي مررنا بها، وإنما نظن أنهم أخذوه من الذين صادوه بثمن أو من باب التعاون فيما بينهم.

والطبق الرئيسي هو أرز محمص بالزيت وخبز، وسلطة وقليل من الخضرات المطبوخة وأطباق من فاصوليا كبيرة الحب كالفول، أما الفواكه فإنها كانت الموز والعمبة (المانجو).

لم يكن يأكل معنا من النساء ولا من الأطفال منهم أحد إلا فتاة شابة في نحو السابعة عشرة لا يظهر عليها أنها مسلمة، وطفل فسألت عن ذلك فأخبرونا أنهما ضيفان على القرية لذلك أجلسوهما على الطعام معنا، وأما الآخرون فإنهم كلهم بقوا حتى تغدينا فتحلقوا على الموائد التي كانت موضوعة على الأرض وتغدوا.

كان غداؤنا في مدخل البيت الذي هو بمثابة الغرفة الأولى ولكن يستعمل غرفة الجلوس إذ فيه مقاعد أضافوا إليها كراسي عديدة.

وقد فرغوا من الطعام وأحضروا لنا الشاي والقهوة وجاءت النسوة وقد لبسن لباساً ساتراً ومعهن بعض من أهل القرية واقتربن منا يردن التقاط صورة تذكارية تكون لهن، فمنعتهن من الاقتراب الذي ليس فيه شيء عندهم ولكن غير لائق عندنا، إذ رأيتهن يعتبرن الاقتراب من الرجل المحتفى به نوعاً من التكريم أو على الأقل من العناية به.

وقد رأيت في بيت مضيفنا جهازاً للتلفزة وغسالة وداخله نظيف، وإن كان قليل الأثاث مع أن مظهره الخارجي لا يوحي بذلك.

وكانت حفاوتهم بنا زائدة، ونحن لم نقصر معهم إذ منحنا أهل البيت الذي طبخ فيه غداؤنا مبلغاً من الدولارات ذكر لي الإخوة المرافقون العرب أنهم لا يحلمون بمثله إذ سألتهم عن نفقة هذا الطعام مع ما فيه من السمك و(الروبيان) فأخبروني به فأضعفته مرتين وسلمناه لهم دولارات على سبيل الهدية، ولم يأخذوها إلا بعد إلحاح.

المسلمون في بلايا دي روساريو:

حان موعد مغادرتنا لهذه القرية التي حظيت بالإسلام أكثر مما حظيت به أية قرية كوبية مماثلة لها من كوبا، ولذا رأينا أن نكتب كلمة عن الإسلام والمسلمين فيها قبل أن نغادرها وبعد أن استكملنا الحصول على المعلومات عن ذلك من أهلها.

يبلغ عدد سكان القرية ٤٢٢ أسرة لا يعرفون بالضبط عدد الأفراد فيها، ومن بين الأسر فيها ٧٢ أسرة مسلمة حتى الآن، ولكن المسلمين يزداد عددهم باستمرار.

وقد دخلها الإسلام لأول مرة في أواخر عام ١٩٩٥م.

وقال لنا إمام القرية الأخ (حنيف الإسلام): لقد صلى معنا العيد هذا العام يريد عيد الأضحى ٨ من المسلمين الجدد الذين لم يكونوا حضروا صلاة عيد الفطر، قال: وكان عدد المصلين في عيد الفطر ٥٣ وأما عيد الأضحى فبلغ ٦١.

وقال المسلمون بفخر: إن مسلمي قريتنا الصغيرة هذه هم أكثر عدداً من مسلمي هافانا وهذا الذي قالوه مقارب للصحة إذا بقي الأمر على ما هو عليه من عدم البحث عن المسلمين ومن عدم وجود مسجد أو مصلى ثابت لهم، لأنهم متفرقون، ولذا لا يعرف عددهم بالضبط.

أما التخمين أو القول بلا تدقيق أو تدليل فإن المسلمين في هافانا أكثر من هؤلاء بكثير، ولاحظنا أن عدد السكان من النساء هو ضعف عدد المسلمين من الرجال، وهذا غريب لأول وهلة لأن المرأة إذا أسلمت وجب عليها أن تتستر، وأن تلبس ملابس سابغة مما قد يقيد حركتها، أو بعض حركتها عند المشي، إضافة إلى أنه يمنعها من التبرج بالزينة، ومع ذلك رأيتهن في هذا المكان وغيره راضيات بإسلامهن بل سعيدات به.

وذلك لكونهن يجدن في الإسلام سعادة روحية تفوق السعادة المادية السريعة الزوال، وأهم ما يحتاج إليه المسلمون هنا تثبيتهم على إسلامهم برعايتهم دينياً مثل إرسال مرشد لهم في أمور الدين، ومساعدة من يواجهون مشكلات منهم بسبب الإسلام مثل بعض الشبان الذين لا ترضى أسرهم بإسلامهم.

وأهم ذلك أن يشعر المسلم الجديد أن إخوانه في الدين معه يشدون أزره، ويتعاونون معه على أمور دينه، بل على مواجهة المشكلات التي يعانيها حتى في أمر دنياه حتى يثبت الإيمان في قلبه.

هذا ومن أهم ما ينبغي أن يعمل للمسلمين الجدد هنا أن يشعرهم المسلمون الأصلاء بأنهم جزء منهم، وأن المسلمين الجدد بمجرد أن اسلموا صاروا كغيرهم من المسلمين، بل صاروا جزءاً من العالم الإسلامي الكبير.

ومن الطريف ما تقدم ذكره عن فتى أسلم وسنه ١٢ سنة في هذا العام اسمه خالد وكان اسمه قبل إسلامه خوليو، وإنه أسلم قبل والديه وأهله، وأن عمره الآن هو ١٢ سنة، وأن والديه أسلما لإسلامه كما أسلمت بقية أسرته، ويظهر أن عقله أكبر من سنه فقد كان يجلس معنا يتابع ما يقال، ولا يلعب مع أطفال القرية الذين كان أكثرهم يلعب بالسيارة يفتحها ويغلقها ويركب فيها لقلة السيارات عندهم مع أنها سيارة قديمة من طراز ١٩٥٠ كما تقدم.

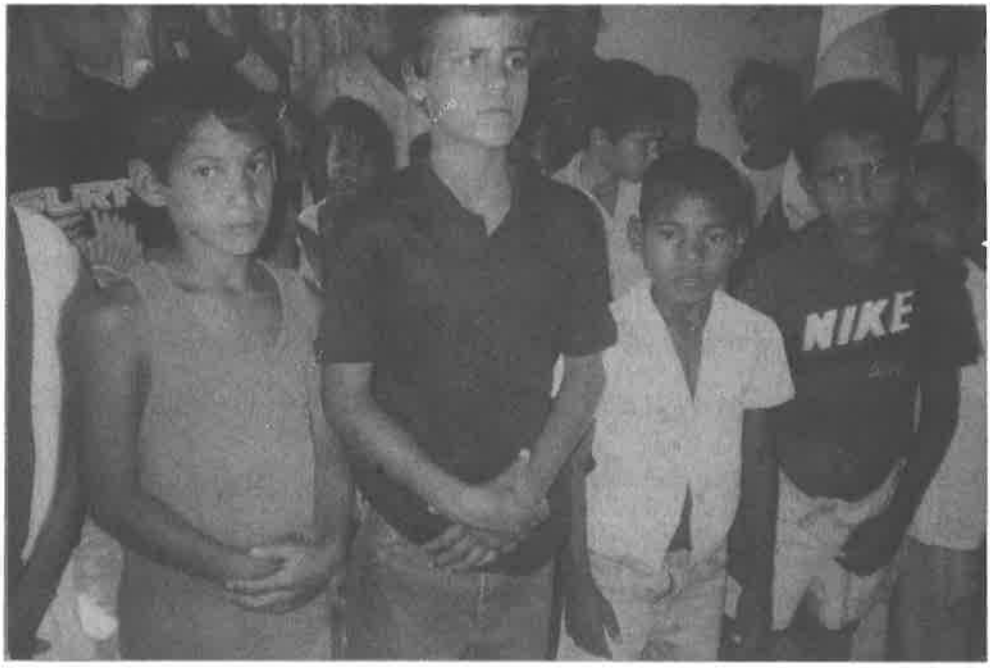

الشاب خالد (في الوسط عليه القميص الأسود) الذي أسلم فأسلمت أسرته بسببه

مغادرة (بلايا دي روساريو):

ركبنا السيارة لنغادر القرية بعد أن ودعنا الأهالي إلا أن أمرين استوقفانا أحدهما أن إحدى الإخوات اللاتي أسلمن حديثاً اندفعت إليَّ تقول: إنها حامل في الشهر الرابع وأن العادة عندهم أن يتقدم أحد الأشخاص من الرجال والنساء ذوي الشهامة ويعلن أمامها وأمام الناس أنه إن حصل لها مكروه في ولادتها كأن تموت فإنه سوف يكفل ولدها ويربيه حتى يبلغ الرشد، وتقول: إن مثل هذا الرجل يسمى عندنا الأب الروحي للطفل وإنه ليس من المعتاد ولا المنتظر أن تموت المرأة بالضرورة ويتولى ذلك الرجل تربية الطفل، ولكن ذلك يبقى رمزاً لفضل الرجل الذي أبدى استعداده لكفالته إن حصل لامه مكروه وقد أسلمت هذه الأخت قبل سنة، وتقول: إنه جرياً على العادة المتبعة تقدم رجل غير مسلم وذكر أنه سيتبنى ولدها الذي هي حامل به، فهل يجوز ذلك؟ وهو يجوز لها أن تدع ابنها بتولى تربيته غير مسلم؟

فقلت له: إنه لا يجوز ان يربي ولدها شخص غير مسلم، مع أن المسلمين في القرية موجودون وفيهم أشخاص يمكن أن يتولوا تربيته مع العلم أيضاً بأن زوجها والد الطفل موجود وإنه أسلم بعد إسلامها.

أما ذلك الرجل الذي أبدى الشهامة لتربية طفلها إن حصل لها مكروه فإنه يشكر على شهامته، ولكن لا ينبغي أن يمكن من أن يربي ابنها.

وينبغي لها ولكل من أسلم أن يحسن الظن بالله تعالى وتأمل أن الله سبحانه وتعالى سوف يعافيها ويصحها، ويعينها على الولادة وعلى تربية ولدها بنفسها.

والثاني: أن امرأة يبين من لباسها البعيد عن الاحتشام أنها غير مسلمة أوقفتنا وقالت وهي تشير إلى بيت أمامنا: إن هذا البيت قد تبرعت به من أجل أن يكون مسجداً للمسلمين.

قالت ذلك وهي لم تسلم بعد، ولكن أختها (نورا) أسلمت قبل نحو أربعة أشهر وحسن إسلامها حتى إن زوجها أسلم لإسلامها.

فسألتها عن السبب الذي جعلها تقدم هذا البيت للمسلمين؟ فذكرت أن ذلك لكونها لا تحتاج إليه، واسم هذه المرأة (موريتابنوالاينو).

فشكرتها على تبرعها بالبيت وقلت لها: أرجو أن أراك مسلمة فسكتت ولم تقل: لا أو نعم.

والبيت مظهره جيد له مقدمة صغيرة معتادة في بيوتهم معتمدة على عمد من الخشب، الجميل المعتنى به، وقلت للإخوة: ينبغي أن يستعمل هذا البيت الآن سكناً للإمام ومدرسة لتعليم الأطفال مبادئ القراءة وتلاوة القرآن الكريم وكتابة الحروف العربية.

العودة إلى هافانا:

عدنا مع الطريق السيئ الذي يوصل بين بلدة (بلايا دي روساريو) ومدينة (غوينيس) وهو الذي جئنا معه وقد زاده المطر الذي نزل قبل قليل سوءاً إلى سوئه.

والريف أخضر خصب مزروع وقد سألتهم عن قيمة (الروبيان) الذي يستخرجونه من بحرهم هذا وهو كبير من النوع الجيد، فذكروا أنه لا يباع رسمياً ولكن الأهالي يبيعونه خفية لمن يأكله ولا يتاجر به من أهل القرى المجاورة بما يساوي أقل من دولارين، للكيلو الواحد، ومن يجرؤ على بيعه في المدينة يستطيع أن يجد من يشتريه منه بدولارين ونصف.

هذا وقد انتبهنا لحقول واسعة من الطماطم في هذا الريف الخصيب الندي، ولا أدري ماذا يصنعون بها لأنها تفوق استهلاكهم، مع العلم بأن المزارع هذه كلها ملك للدولة الشيوعية وهي تبيع ما تبيع منه وتصدر ما تصدره من أجل الحصول على العملات الصعبة لها.

ومرة أخرى رأينا حقول السكر النضرة، التي ظلت سيارتنا تباريها لفترة إلا أن سير السيارة بعد المطر كدر علينا الاستمتاع بالخضرة لقدمها وارتجاجها، وعدم تحملها للطريق الخشن، ولا أدري الذي جعلني أقارنها في ذهني وهي من طراز ١٩٥٠م بسيارتي الجديدة التي أركبها في مكة المكرمة، وهي من طراز فورد لينكلن الفاخر (طراز عام ١٩٩٩م بما فيها من مميزات مستجدة لراحة الراكب، فأحمد الله تعالى وأشكره على أن وفر لنا في بلادنا من أسباب الراحة ما لم يستطع الحصول عليه كثير من الناس في كثير من الأقطار.

وصلنا (غوينيس) في السادسة والنصف ولم نقف فيها إلا عند المقصف الذي دخلناه في الصباح وذلك من أجل دخول الحمام فيه، إذ لم أدخل أي حمام، ولم تتح لي فرصة البول منذ الصباح.

ومررنا بمحطة القطارات حيث يعمل الأخ (سعيد) الذي تغدينا في بيته وهو مسلم جديد أسلمت زوجته (نورا) قبل إسلامه بنحو شهر كما تقدم.

وشكرناه على ضيافته، وإن لم يعلم بها وإنما شكرناه للغداء الذي طبخ في بيته مع أننا رأينا جماعة من النساء ساعدن زوجته على طبخه وإعداده.

ونم نذكر له الهدية التي أعطيناها أهل بيته في مقابل إعداد الطعام ولا شك في أنهم سوف يخبرونه.

وهذا ذكرني بشيء نسيت أن أذكره فيما سبق وهو أننا أعطينا كل زوجين من المسلمين الجدد عقدا زواجهما عندنا بالزواج الشرعي (٥٠) دولاراً أمريكية وهو مبلغ كبير عندهم، وقد تمنعوا قبل أن يأخذوه.

كما أعطينا المسلمة الجديدة التي نطقت بالشهادتين أمامنا خمسين دولاراً وكانت أكثر تمنعاً من غيرها عند أخذ النقود.

وغادرنا (غوينيس) في السابعة والنصف مساءاً، فوصلنا هافانا قبيل التاسعة.

يوم الأحد: ١٣/١٢/١٤٢٠هـ- ١٩/٣/٢٠٠٠م:

إلى النقوش العربية:

مجرد وجود نقوش عربية أصيلة في مكان هو أمر يحرص مثلي على مشاهدته لاسيما إذا كانت في مبنى ثابت ومهم.

المؤلف عند النقوش العربية في فندق إنكلترا في هافانا القديمة

كان الإخوة العرب حدثونا عن وجود نقوش عربية أندلسية في أماكن من مدينة (هافانا) ومع أنني لم أستغرب ذلك لكون الكوبيين ينزعون إلى الأصل الإسباني بفخر واعتزاز، ونحن نعرف كما يعرف غيرنا أن الأسبان عندما توجهوا لاستعمار القارة الأمريكية الجنوبية والبحر الكاريبي كان أفخر أطرزة البناء عندهم هو الطراز العربي الأندلسي، ولذلك بنوا به قصوراً وأبنية عظيمة في المدن التي أنشأوها في أمريكا الجنوبية، تلك المدينة التي أصبحت تسمى بالمدن الاستعمارية ويراد من ذلك أنها كان أنشأها الأسبان أيام الحكم الاستعماري، و قد رأيت عدداً من تلك ومنها (ليما) عاصمة بيرو وكيتو عاصمة الإكوادور ومدينة (كولونيا) في بنما، وأجزاء من مدينة بوغوتا عاصمة كولومبيا.

ذهبنا مع الأخوين عبدالرحمن المحمود وعلي محمد شريف إلى فندق اسمه (فندق انغيليترا) أي فندق انكترا.

وقبل الوصول إليه رأينا تلك الحافلة الضخمة التي أسموها الجمل تشبيهاً لها بالقوة بالجمل الذي يحمل الأحمال الثقيلة على ظهره، وقد تأملته اليوم فوجدته يسير على ١٨ عجلة من العجلات الضخمة، وقد رسموا على هذه الحافلة صورة بعير مشوه الخلقة، وإن كانوا أبرزوا فيه ملامح القوة.

وصلنا (فندق (انغيليترا) الذي كان يشغل مبناه المسرح الوطني ولكنهم حولوه بعد ذلك إلى فندق فوجدنا الفسيفساء الأندلسية تشغل كثيراً من حيطانه وفيها العبارات العربية المشهورة في الأندلس الشهادة (لا إله إلا الله)، ولكنهم كتبوها مقلوبة لأن الذين وضعوا هذه الفسيفساء لا يفهمون معنى الشهادة، وإنما أثبتوها على أنها من النقوش العربية، ومثل جملة (لا غالب إلا الله) معكوسة أيضا، بحيث لو قلبت لقرئت صحيحة.

وقد ذكروا من بناء هذا المبنى أنه في عام ١٨٨٥م وهذا تأخير متأخر، ولكن هذه النقوش العربية هي منقولة من أمكنة أخرى بلا شك ولا نظن أنهم أحضروها أو أحضروا نماذجها من إسبانيا ولكن من أماكن قديمة في هذه المنطقة أو في أمريكا الجنوبية.

النقوش والزخارف العربية في أحد المباني في هافانا القديمة

وانتقلنا من هذا المبنى الذي هو الآن فندق كبير فيه مطعم رأيناه حافلاً بالرواد وكلهم يشاهد هذا الفن العربي الجميل في الزخرفة إلى مبنى آخر في حي آخر من المدينة وينبغي أن نذكر أن (فندق انكلترا) هذا يقع في حاشية القسم القديم من هافانا القديمة، وصلنا مبنى اسمه (اوفيشو بلاقير) ذكروا أن معنى (اوفيشو): مبنى، وبلاقير: اسم لأسرة من الأسر ربما كانت هي التي بنته أو إنه انتقل من أسرة أخرى إليها.

وهو مبنى ضخم يشبه القصر القديم، ولكن ليست له مقدمات، بل هو مبنى على الشارع مباشرة الذي كله من هذا النوع من الأبنية من حيث كونها على الشارع مباشرة لأنه في حاشية أخرى من مدينة (هافانا) القديمة.

له مقدمة عالية داخل رواق فيه مسقوف بالخشب القوي على طريقة القصور القديمة، وقد نقش بانوه سقفه وما كان أسفل نوافذه العالية بفسيفساء أندلسية ضئيلة وظهرت فيما جملة (لا غالب إلا الله) واضحة يقرأها من لا يحسن قراءة النقوش لأنها ظاهرة وليست معكوسة كما في المبنى الذي قبل هذا، وهي بخط مغربي جيد وهو الذي كان في أصله خطاً كوفياً أخذه المغاربة منا نحن الشرقيين وحافظوا عليه، ونحن ضيعناه بأخذنا خطوطاً أخرى، ومن الأشياء المهمة إن لم نقل الجوهرية الاختلاف بين الخط الكوفي المغربي والخط الشرقي الآن الذي أظهر أنواعه المستعملة في الوقت الحاضر خط النسخ أن القاف فيه تكتب بنقطة واحدة بحيث يقرؤها الشرقي الذي لم يتعود على ذلك فاء، أما الفاء فإنها تكون بنقطة واحدة أسفل الحرف أي حرف الفاء.

وقد أكثر بانوا هذا المبنى القصر مع الفسيفساء العربية المزينة بهذه العبارة العربية فالتقطنا صورة عادية له وللنقوش المذكورة.

ثم تركنا هذا المبنى المهم وما حوله وغادرنا منطقة (هافانا) القديمة مع شارع يسمونه (كارلوس الثاني) جيد.

وقد كررت عليهم السؤال عن معنى اسم (هافانا) هذه العاصمة فأجمعت آراؤهم على رأيين أحدهما: أنها كلمة هندية أي من لغة السكان الأصلاء الذين كانوا موجودين في البلاد قبل أن يصلها الأوروبيون ولا يعرف معناها الآن، وإنما سمعها كريستوف كولومبس من الهنود فسمى بها المكان.

المؤلف في القسم القديم من هافانا

والثاني: أنه كانت تسكن في هذه المنطقة قبيلة هندية اسمها هافـانو، وقـد انقرضت كلياً الآن، ولكن كان المكان سمي باسمها حتى بقي الآن بلفظ (هافانا).

وقد مررنا في محطة للحافـلات بأعـداد كبيرة من المنتظـرين ذكـروا أنهـم ينتظرون (الجمل) وهو الحافلة الضخمة التي تقدم ذكرها، ويقولون: إنهـا لا يدخلها أحد فيرجع دون أن يجد مكاناً له فيها لأنه إذا لم يجد مقعداً خالياً فيها فإنـه يقف وسوف ينزل بعض ركابها في المحطة التي بعد المحطة التـي ركـب منهـا لكثرتهم فيجد مكاناً.

إلى مدينة سانت ياقو

مدينة (سانت ياقو) هي المدينة الثانية في كوبا، وليس ذلك فحسب هو الذي يدعو السياح إلى زيارتها وإنما لكونها مدينة تاريخية كانت لفترة قصيرة عاصمة لكوبا كلها، وشهدت أحداثاً سياسية جساماً، ربما صح القول معها بأن تاريخ مدينة (سانت ياقو) هو تاريخ كوبا ويكفي من تلك الأحداث أنها المدينة التي انبثقت منها هذه الثورة الشيوعية الحاضرة التي يقودها الآن (فيدل كاسترو).

وسيأتي ذكر شيء من ذلك عندما نزور المدينة.

خرجنا إلى المطار مع الأخوين الكريمين عبد الرحمن المحمود القطري وعلي محمد شريف الفلسطيني، وكانا أحضرا لنا سيارة كوبي يعرفانه، وذكرا أنهما اتفقا معه على الأجرة.

جددنا عهداً بطريق المطار الذي وصلنا منه إلى فندقنا بالليل، ورأينا عنايتهم بالشوارع ليس في السعة فقط وإنما في العناية بها بالتشجير والتجميل.

ومررنا بتمثال على نصب أبيض نوهوا بأنه (جوزيف مارتين) أحد المفكرين القوميين الكوبيين ذكروا أن أهم مظهر لعمله للقومية الكوبية هو نضاله ضد الأسبان من أجل استقلال كوبا، وقد عمر طويلاً، ولم يمت إلا منذ ٩ سنين، وذكروا أنه ولد في عام ١٨٧٥م.

ويذكر الكوبيون في ميدان التقارب مع الشعوب العربية أن هذا المناضل القومي عندهم كان مثله الأعلى في النضال هو الشيخ عبدالقادر الجزائري ويشبهونه (بسان مارتين) الذي يسميه الأرجنتينيون بـ(المحرر) لكونه حرر الأرجنتين من الأسبان.

وبالنسبة لنظرة الشعب الكوبي إلى الشعوب العربية فالحق الذي عرفناه من الكثير أنهم يحبون العرب، وقد افتتحت في بلادهم أول سفارة لفلسطين خارج البلدان العربية.

وكانوا طردوا اليهود وأغلقوا سفارتهم في كوبا، ولا شك في أن لذلك علاقة بصلة اليهود الوثيقة بالأمريكيين، بل نفوذ اليهود على الإدارة الأمريكية التي تعادي فيدل كاسترو وثورته الاشتراكية.

ويذكر أيضاً أن (كوبا) كانت قد احتضنت أعداداً من الطلاب العرب يبلغ عددهم خمسة آلاف أو تزيد، كانت توفر لهم المسكن والمأكل والتعليم بالمجان.

وعندما رأيت عنايتهم بالشوارع حكمت على ضوء مشاهداتي في الدول الشيوعية في أوروبا وآسيا بأنها أحسن بلد شيوعي فيما يتعلق بالشوارع والأرصفة، ومظاهر العناية بها، حتى لا تتخيل أنك في بلد شيوعي وأنت ترى الأقسام الجيدة من مدينة (هافانا) والمراد بالحسن هنا الحسن النسبي، فالدول غير الشيوعية لا يدانيها مدان من الشيوعيين في هذا الميدان.

وصلنا إلى مطار داخلي صغير وجدنا قاعة الترحيل فيه صغيرة وليس فيها زحام من الركاب وهذا ظاهر السبب من كون البلاد شيوعية، ودخول المواطنين فيها محدودة ومجالات العمل ضئيلة لأنها داخل ما تفرضه الحكومة ولا يجوز تجاوز ذلك.

ثم دخلنا لقاعة المغادرة بعد أن اجتزنا التفتيش للأمن الذي كان خفيفاً مثل أكثر الإجراءات في هذه الرحلة، ولاشك في أن ذلك بسبب غربتنا وعدم وجود مشكلات منا وأمثالنا للبلاد.

وكانت مفتشة الأمن عند دخول قاعة المغادرة امرأة رمادية اللون من ذوات الأصول الإفريقية التي دخلها الاختلاط، ولذلك كان مظهرها جميلاً جذاباً، وهذا شيء عرفناه بعد ذلك في كوبا وهو أن المختلطين الذين يغلب عليهم اللون الأسود الخفيف هم من أفضل المواطنين معاملة وهم نشطون وإداريون متميزون، أو هذا هو ما لاحظناه فيمن صادفناهم، وربما كان من رأيناه منهم قد اختيروا اختياراً دون غيرهم من أمثالهم ليسوا كذلك.

وقد طلبت هذه المفتشة فتح حقيبتي اليدوية أسوة ببقية الركاب مـــن دون أن تطلع على جوازي الدبلوماسي وكان رفيقانا الأستاذ عبدالرحمن المحمـــود وعلـــي شريف قد رجعا عندما دخلنا القاعة، ففتحتها لأن التفتيش للأمن لا يستثنى منه حملة الجوازات الدبلوماسية، فرأت زجاجة عطر لم تعرفها فسألت عنها فأخبرتها مما يدل على عدم وجود الكماليات عندهم وهذا أمر عرفناه بعد ذلك.

المؤلف في قاعة المغادرة ذات السقف الخشبي التقليدي في مطار هافانا الداخلي

وصلنا إلى قاعة المغادرة عبر حديقة صغيرة فيها ممر مسقوف من دون أن تكون له جانبان مبنيان أي أن سقفه على هيئة المظلة إلا أنه مقبب وثابت وجميل، مما ذكرني بممر طويل تاريخي رأيته في (قصر الصيف) الإمبراطوري في بكين عاصمة الصين وهو مرفوع فوق أعمدة أنيقة من الخشب.

وقد وضع الكوبيون فوق سقف هذا الممر قشاً لكي يبدو كما تبدو سقوف المنازل التقليدية للسكان القدماء في البلاد من الهنود.

أما القاعة فإنها ليست واسعة ولكن وضعها متميز بغرابته فأرضها ليس فيها بلاط معتاد، و إنما هي مبلطة أي ممسوحة بالأسمنت بحيث بدت كلها كأنما هي قطعة واحدة وهي ليست كذلك، وإنما كانت مسحت بالأسمنت مجتمعة، مما ذكرني بعهد مضى في بلادنا عندما كنا (نُسَمِّت) الأرض بمعنى نفرش فيها الأسمنت ونملّسه عوضاً عن التبليط.

وقد جعلوا هذه القاعة على هيئة كوخ ضخم من الخشب مخروط الشكل عمده كلها من الخشب وسقف من القش لكنه مرصوف بشكل جيد، ومصان عن الخراب.

وجميع الأثاث فيها من الخشب من كوبا ومنه الكراسي الثقيلة والموائد الخشبية التي فيها خشونة أيضاً. وقد جعلوها هكذا من باب إظهار قدمها وأصالتها عندهم.

وفي هذه القاعة فرقة مؤلفة من خمسة أشخاص يعزفون موسيقى كوبية خالصة رأيت في أدوات العزف فيها طبلاً يشبه الطبل المعروف عندنا، وعلى اثنين من العازفين قبعات عريضة وهم يعزفون لا يفترون ويغنون بالإسبانية ولا ندري ما يقولون إذْ ليس معنا من يترجم كلامهم، مع العلم بأن معظم الذي في القاعة هم من الأجانب لما ذكرته من قلة الكوبيين الذين يستطيعون السفر بالطائرة.

الفرقة تعزف موسيقاها في قاعة المغادرة في المطار الداخلي لهافانا

وفي موسيقاهم ملامح من الموسيقى العربية القديمة، أو الأندلسية إلا أنني لم أرها تقع من أذني موقعاً نشازاً كما تكون عليه الحال بالنسبة إلى موسيقى بعض الشعوب البعيدة عنا، ورأيت أعضاء هذه الفرقة يلقون نكاتاً بالإسبانية ويضحكون ويضحك لها أيضاً من يفهمون الإسبانية من المسافرين وهم من غير الكوبيين.

بل إن المسافرين في القاعة عددهم قليل.

وهذه القاعة هي من أغرب قاعات المغادرة التي رأيتها على طول العالم وعرضه، وألوان أعضاء الفرقة (المستيزوس) وهم الأوروبيون الجنوبيون الذين يأتي الأسبان في مقدمتهم عندا يختلطون بعنصر السكان الأصلاء في البلاد ممن يسمون بالهنود الأمريكيين، وقد أثر عليهم الجو أيضاً فصاروا من لون السمر من العرب.

استمرت هذه الفرقة بالعزف المجاني وقد انسجم معها المسافرون الذين عرفت أن فيهم بعض الكوبيين، أما الحقائب اليدوية التي مع النساء فإنها رثة من

القماش إلاّ واحدة كانت معها حقيقة جلد، أما الحقائق اليدوية التي صرنا نسميها في بلادنا (دبلوماسية) على اعتبار أن (الدبلوماسيين) كانوا أول من عرفنا أنهم يستعملونها فإنه لا يوجد بين الركاب من يحملها غيرنا إلا واحداً.

وذلك ذكرنا بالحقائب التي رأيناها في مدغشقر عند زيارتي قبل ٢١ سنة، فقد كانت حقائب النساء فيها حتى تلميذات المدارس من الخوص، لعدم قدرتهم على اقتناء الحقائب الجلدية أو الحقائب الأخرى المستوردة.

وبعد انتهاء العزف جاء أحد أعضاء الفرقة ومعه ما يشبه الوعاء من القش له مقبض طويل كالعصا يمر به على الركاب من دون إلحاح فيضع فيه من يشاء منهم شيئاً.

وظني أن عدم الإلحاح في طلب العطاء لكونه للدولة وليس للعازفين فيما فهمته، لأن الدولة تملك كل شيء وهي التي رتبت أمر هذه الفرقة امعاناً في إظهار البهجة أو إن شئت قلت في إظهار عدم العبوس أمام هؤلاء الضيوف الأجانب، إلى جانب عرض أنموذج للفن الكوبي من الموسيقى والغناء.

وفي القاعة مقصف يبيع المشروبات الخفيفة ولم أر عليه إقبالاً من الموجودين.

حان موعد الصعود إلى الطائرة فأحضروا عند باب المغادرة حافلة خشنة كان بابها يصدر وهي تسير أصواتاً منكرة في التقلقل وعدم الثبات.

أما الطائرة فإنها عكس ذلك فهي نظيفة ومرتبة المقاعد، وهي صغيرة ذات محركين مروحيين من طراز (آرت٤٢) ولا أدري في أي بلد صنعت، وهي تابعة لشركة كوبية اسمها (ايروكاريبيان) أي طيران الكاريبي.

وجدنا مضيفة الطائرة عند بابها في الداخل معها صحن فيه حلوى مغلفة يأخذ منها من أراد من الركاب، وعادة تقديم الحلوى في الطائرات قد نسيناها في بلادنا لأن المقصود إضافة إلى رمز تقديم شيء حلو أن يمصها الراكب والطائرة تطير ويكرر بلع ريقه فلا يدخل الهواء إلى أذنيه فيؤذيهما.

وهذا شيء تجاوزناه في بلادنا وأمثالها لأن الطائرات صارت مكيفة الضغط في الداخل بحيث لا يدخل الهواء في الأذنين فيها عند الصعود أو الهبوط.

يبلغ عدد المقاعد في الطائرة ٤٢ مقعداً فقط كلها مشغول إلا واحداً، وكلهم من ذوي اللون الإسباني المتغير، وفي بعضهم جمال ظاهر وليس فيها من السود إلا زوجان يظهر أنهما من أهل الجزر الكاريبية.

وسود الكاريبي هم أجمل السود الذين نعرفهم من الذين تقع بلادهم تحت خط الاستواء في إفريقية وفي جزر المحيط الهادئ وأما جزر البحر الكاريبي فإن السود فيها طارئون مجلوبون من القارة الإفريقية، عبيداً لأن أهلها الأصلاء من الذين يعرفون بالهنود الأمريكيين ليسوا سوداً، وقد تعجبت عندما رأيت في ظهر المقعد في الطائرة (طاولة) للطعام مع أنها طائرة صغيرة لا تسافر بعيداً، وكذلك الورقة، المتعلقة بنوع الطائرة وتعليمات السفر فيها، وذلك لكوني ركبت عشرات المرات في الطائرات المحلية في رحلات داخلية في الدول الشيوعية، وبخاصة في روسيا والصين، فلم أرهم يضعون خلف المقعد مائدة للطعام والكتابة لأنهم في روسيا لا يقدمون الطعام في أي طائرة إلا إذا كانت مدة الطيران المتواصل فيها أكثر من ثلاث ساعات، كما أنهم لا يبالون بالركاب فلا يضعون في جيب المقعد أية أوراق لا فيما يتعلق بالمعلومات عن الرحلة أو الشركة التي تتبعها الطائرة ولا غيره، كما أنهم لا يضعون أية صحيفة أو مجلة فيها.

وقد تمسكت روسيا بهذه العادة الشيوعية حتى بعد أن طلقت الشيوعية.

والشيء الوحيد الذي عملوه يشبه ما يعمله الشيوعيون في رحلاتهم الداخلية بالطائرة أنهم أخذوا من الركاب بطاقة الصعود إلى الطائرة عند باب الحافلة التي أوصلتنا للطائرة، فلم يبق بأيدينا شيء يدل على رقم الرحلة ولا رقم المقعد لأن مقاعد الطائرة غير مرقمة.

من هافانا إلى سانت ياقو دي كوبا:

عندما أعطيت الموظف المختص بالرابطة خط سير رحلتنا هذه وضعت فيها بعد هافانا زيارة (سانت ياقو) فجاء إليَّ الموظف بعد فترة يقول لي: إن (سانت ياقو) بعيدة جداً ألا تريد طريقاً أخصر منه؟

فهم أن المراد (سانت ياقو) هو عاصمة تشيلي التي اسمها (سانت ياقو) فقلت له: إنني أعرف الناس بقربها وبعدها لأنني زرتها أكثر من مرة وإنما هنا مدينة في كوبا اسمها (سانت ياقو).

وعندما أعطونا التذاكر التي اشتريناها أمس، لأن بعضهم ذكر أنه يمكن السفر منها إلى (هايتي) رأيتهم ذكروا في اسم هذه المدينة (سانتياقو دي كوبا) أي إنها سانتياقو الكوبية، فعجبت من ذلك وقلت في نفسي: إن عاصمة تشيلي بعيدة فلم هذا الحرص على الإيضاح بأنها الكوبية مع أننا الآن في كوبا؟

واتضح لي الأمر بعد ذلك وأنه توجد مدينة في جمهورية الدومنيكان التي عاصمتها (سانتو دومنقو) اسمها (سانتياقو) ولذلك وجب الإيضاح لتقارب المدينتين وكون بعض الناس يسافرون إلى تلك التي في الدومينكان.

وهذا له شبيه عندنا بمدينتي طرابلس حيث توجد مدينة طرابلس اللبنانية، بل هي ثانية مدن لبنان وطرابلس الليبية.

وكان الناس في القديم يفرقون بينهما بقولهم في الأولى (طرابلس الشام) وذلك قبل استقلال لبنان، ويقولون في الثانية (طرابلس الغرب).

وتبعد (سانت ياقو) الكوبية عن هافانا بـ ٩٧٠ كيلومتر جهة الجنوب وأجرة الرحلة إليها ذهاباً وإياباً بـ ١٨٠ دولاراً أمريكياً.

ومعنى (سانت ياقو): القديس أيوب.

غادرت الطائرة مطار هافانا في العاشرة و٣٧ دقيقة ضحى متأخرة ٧ دقائق عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل وهذا لا يعد تأخيراً لأنه من المعتاد.

وحلقت فوق مدينة (هافانا) فاستمتعت برؤيتها نهاراً لأنني كنت قدمت إليها في الليل، وهي خضراء رغم عدم وجود المطر في هذه الأيام التي تعتبر أيام جفاف في المعتاد، ومع ذلك رأينا فيها بحيرات ومناقع للمياه عديدة، إلى جانب الخضرة الندية في الأشجار والمزروعات.

وقد رأيت الحقول فيها متسعة بشكل عجيب، مع أنني لم أر فيها نهراً.

وكل الحقول فيها ذات محاصيل جيدة كالسكر و(الطباق) الذي يدخن به وله شهرة عالمية عند من يتعاطونه، وبخاصة ما يسمى منه بالسيقار الذي يلف بورق من ورق الطباق وليس كاللفافة المعتادة التي تلف بالورق المعتاد.

واستمر الطريق تحت الطائرة فوق حقول خضر ممتدة يبدو بعضها من الأرز أو السكر الحصيد، لأن لونه أصفر.

وكان خظنا جيداً، إذ لم يكن الجو غائماً وإن كانت توجد قطع من الغيم الأبيض لا تمنع الرؤية، وليس في الطائرة إلا مضيفة واحدة ذات سمرة ندية كأنها سمرة البدوية من أهل نجد، والملاحظ عليها أنها مثل كثير من نساء البلاد تبدو كما لو كانت تستحي من الرجال الأجانب فلا تحد النظر إليهم.

ومع استمرار الطيران كنا نتوقع أن يتكلم الطيار أو المضيفة بشيء يوضح أسماء البلدان التي نطير فوقها، أو غير ذلك من المعلومات المعتادة ولكن لم يكن شيء من ذلك.

وكان يبدو أن سير الطائرة كان في خط مستقيم، ولم تتغير المناظر تحتها وهي مناظر الحقول الزراعية المنتجة.

وفي الساعة الحادية عشرة تكلم الطيار بالإسبانية ثم بالإنكليزية بكلمة قصيرة ذكر فيها ارتفاع الطائرة وموعد الوصول إلى (سانت ياقو) وحالة الجو فيها.

ومرت الطائرة بمنطقة جبلية خضراء صارت تطير فوقها لمدة يسيرة ثم انقطعت الجبال.

أما ضيافة الطائرة فإنها كأس من الماء الغازي أو الكوكاكولا، وبعد ذلك فنجان من اللدائن فيها قهوة سوداء من إنتاج بلادهم أكثروا فيه السكر مثلما يفعل البرازيليون، وجاءوا بها والسكر موضوع فيها من قبل، وكان أولى بهم ألا يضعوه في الفنجان وإنما يتركون ذلك لرغبة الراكب، وبعد قليل من ذلك أحضرت المضيفة زجاجات الشراب الثقيل والدخان تبيعه على من يريد من الركاب ولم أر الركاب اشتروا منها إلا واحداً أو اثنين.

هذه الصورة لجانب من مدينة سانت ياقو

ثم صارت الطائرة تطير فوق البحر الكاريبي، وذلك لأعوجاج في موقع الجزيرة من هذا البحر فهي ممتدة فيه ولكن ليست على خط مستقيم، ثم لججت في مياه البحر الكاريبي، ورأيت جزراً صغيرة كوبية ترقش مياه البحر وهي خضر، بل إن شدة خضرتها تجعلها تبدو كما لو كانت سوداء، وما شبهت بعضها في مياه هذا البحر الخضراء إلا ببيت الأعرابي الذي يكون من الشعر الأسود وسط روضة خضراء من رياض الصحراء قد جادها الغيث قبل ذلك، فاهتزت وربت حتى التف نبتها وصار لونها اخضر مائلاً على البعد إلى السواد، إلا أن هذه الجزر ذات أشكال متباينة ما بين مستطيلة وشبيهة بالمستديرة.

وفي الثانية عشرة إلا الربع عاد الطيار بطائرته إلى اليابسة أو عادت اليابسة إليه وظهرت سحب غير كثيفة عليها.

ثم انجلى السحاب عن حقول واسعة تشبه الحقول الموجودة في منطقة العاصمة (هافانا) وما قرب منها.

وكان طيران هذه الطائرة الصغيرة ثابتاً، رخاءً ليس فيه اهتزازات ولا اضطرابات.

الهبوط في سانت ياقو:

نزلت الطائرة عن مستوى السحاب فوق أرض جبلية معمورة طرقها ترابية، وفيها قطع من غابات سلمت من تحويلها إلى حقول، وذلك لكونها تقع في سفوح جبال أو على ظهور جبال غير عالية.

وصارت الطائرة تطير فوق ساحل البحر الذي بدت مياهه لازوردية جميلة لأنها ليست عميقة وبعدها من جهة البحر مياه زرق عميقة.

وحامت فوق البحر والجبال في اليابسة، وهي جبال غير عالية، وأجمل ما في النظر الشاطئ الأخضر بمياهه التي تقف عند رمال الشاطئ الحمر، ولكنني لم

أر عليه إنشاءات للسباحة أو السياحة، ولا شك أن الشعب الكوبي كما كررت ذلك تمنعه الدخول المنخفضة من استطاعة النفقة على الكماليات ومنها السياحة أو السباحة، إلا في أيام العطل ونحوها.

وقد لاحظت قلة المنشآت على الساحل مع أن الداخل وهو منطقة شبه جبلية فيها عدة قرى كما لاحظت أن الجبال التي قرب الشاطئ لا تأتي منها مياه أو نهيرات، وإنما هي مسايل المياه على هيئة أودية جافة.

وبانت مدينة (سانت ياقو) من الطائرة في حومة من الجبال وهو المتسع من الأرض المستوية تحيط بها جبال، ولكنه متسع جيد المظهر ظاهر الخضرة.

وكان أهم ما في المنطقة على البحر مما يلي المدينة ميناءها وهو كبير جيد، داخل في البر بعيداً عن تأثير العواصف والأمواج.

وقرب البر بضعة جزر مسكونة ولكن المنازل التي فيها قليلة.

والأشجار في الجبال حتى القريبة من المطار تبدو كالأشجار الصحراوية الملتفة فهي خضر إلا أن خضرتها غير يانعة.

هبطت الطائرة في مطار (سانت ياقو) في الثانية عشرة والنصف تماماً، وذلك يعني أنها ظلت تطير لمدة ساعتين إلا سبع دقائق.

ولم يعلن مكبر الصوت في الطائرة أي شيء عند الهبوط لا ذكر اسم المطار ولا درجة الحرارة ولا أية تعليمات أخرى.

والمدارج لا بأس بها وإن لم تكن طويلة، أما مبنى المطار فإنه مستطيل وقد جدد بناؤه وطلي باللون الأحمر، وكتبوا عليه اسمه (مطار سانتياقو دي كوبا) أي مطار سانتياقو الكوبية.

دخلنا قاعة الوصول وفيها سير متحرك إلا أننا لم نحمل معنا أمتعة بل أودعنا جميع أمتعتنا فندق فيكتوريا لأننا سوف نعود إليه غداً إن شاء الله.

وتيقنا أنه ليست هناك رحلات دولية من هذا المطار بعد أن كنا سمعنا أنه تقوم رحلات إلى بلدين محاورين هما (الدومينكان) و(هايتي) وطمعنا في أن نسافر منه لأنه أقرب إلى الدولتين كلتيهما من السفر من هافانا إلى مطار مكسيكي ثم إلى مدينة ميامي الأمريكية ومن ثم إلى (هايتي).

ركبنا مع سيارة أجرة من صنع روسي من طراز (لادا) وهو الطراز الذي ألفنا ركوبه في رحلاتنا في الاتحاد السوفيتي السابق، وهو طراز مأخوذ في الأصل من سيارة (فيات) الإيطالية ولا يزال يشبهها أدخل الروس عليه تحسينات قوته، ولكنها لم تجعله أكثر راحة، بل صار أقل راحة من (فيات) الإيطالية لأن آخر ما كان يفكر فيه الشيوعيون هو راحة عامة الناس.

وحددنا الأجرة بخمسة دولارات إلى فندق (سانياقو) أكبر الفنادق في المدينة وأشهرها وأرقاها.

يقع المطار على شاطئ البحر لذلك صعدنا قليلاً مع طريق ضيق غير جيد الزفت ثم صرنا ننحدر إلى المدينة، وتحف بالطريق أشجار ورقها أصفر في أكثر الأماكن، وربما كان ذلك لتأخر المطر.

وسائق السيارة أسود اللون مثل أكثر العاملين في هذا المطار خلاف مطار هافانا.

وسواد اللون في هذه المنطقة له ما يبرره من القياس وذلك أنها ذاهبة جنوباً حيث القرب من خط الاستواء إضافة إلى أن جيرانها الأقربين من الكاريبيين كلهم سود، وكان حصل اختلاط معهم بالمصاهرة والمقاربة في القديم.

ولا يعني هذا أن أهل المدينة كلهم سود، بل الذين رأيناه أنهم ليسوا كلهم كذلك، وسوف يأتي الحديث عن ذلك عند ما نقوم بجولة سياحية فيها بإذن الله.

وصلنا بسرعة إلى منطقة مرتفعة قليلاً بين الجبال ومنها انحدر الطريق بنا إلى المدينة ورأينا على البعد مبنى فيها عالياً متميزاً سألنا عنه السائق فقال: هو فندقكم (فندق سانت ياقو) وجدناهم كتبوا على واجهة الفندق اسمه (فندق سانت ياقو دي كوبا) مثلما كتبوا على مبنى المطار.

أعجبتنا فخامة الفندق بمبانيه وملاحقه وحدائقه وتنظيم الطريق إليه، في داخله وجدنا في مكتب الاستقبال في الفندق رجلين أحدهما يشبه الهندي الآسيوي سألته عما إذا كان ذا أصل عربي، فنفى ذلك، وقال: اسمي عربي (إبراهيم) وليس (إبراهام)، والثاني أوروبي متغير.

وأجرة الغرفة فيه ٩٢ دولاراً أمريكية، وطلبوا أن ندفع الأجرة مقدماً وهذا خلاف ما فعله أهل فندق فيكتوريا، وربما كان سبب ذلك كبر الفندق وتعدد مداخله، بحيث أنه يمكن أن يخرج الشخص الذي يكون مثلنا ليست معه أمتعة من دون أن يراه أحد إذا أراد ذلك.

الجديرة بالجمال:

أخذنا مفاتيح الغرف وسألنا موظف الاستقبال عن الجولات السياحية في المدينة فأشار إلى فتاة جميلة جالسة على مكتب منفرد وسط قاعة الاستقبال.

فنهضت الفتاة فاستقبلتنا وأشارت إلى مقصف في ناحية من قاعة الاستقبال الكبيرة في الفندق قائلة بعد التحية: سوف تشربون ضيافتي وأحدثكم، ثم ذكرت أنها تقدم الشراب الذي نطلبه من المقصف فطلبنا عصير البرتقال وطلبت لنفسها كوكاكولا.

قالت الفتاة وهي جميلة جداً إلى درجة أن أقول إنها أجمل فتاة رأيتها في مرورنا بفرنسا وفي كوبا: اسمي (يديرة) وأنا إسبانية ولكن اسمي عربي حدثتني أمي أنها رأت (فيلماً) سينمائياً بطلته اسمها (يديرة) وأنها أعجبت بالبطلة فسمتني على اسمها فما هو معنى (يديرة)، وقد لفظت به كما يلفظ بكلمة (جديرة) بكذا أي حقيقة به ما عدا الجيم التي نطقت بها ياء وهذا غير مستغرب في اللغات اللاتينية حيث ينطقون بالجيم ياء في بعض الأعلام كالجابان التي هي اليابان في الأصل.

فقلت لها: إن هذا الاسم هو (جديرة) وذكرت لها معناه، وقلت لها: إنه يدل على أنك (جديرة) بهذا الجمال التي منحك الله إياه.

وكانت أسرعت كما يفعل أهل أمريكا الجنوبية والبحر الكاريبي إلى إبراز بطاقتها الشخصية لترينا اسمها مكتوباً (يديرة).

ثم تحدثت عن أحوال هذه المدينة وتبين أنها مبتدأة بالعمل.

وقد استرحنا قليلاً في غرفنا وصلينا الظهر والعصر جمعاً، وحجزنا بالهاتف مع جولة سياحية بعد الظهر.

ونزلنا بعد الصلاة إلى مطعم واسع في الفندق بل هو عدة مطاعم ومنه واحد خاص بالأطعمة البحرية وأحضروا سمكاً كبيراً لذيذاً مع بطاطس مقلي، وعصير برتقال طازج، وأما السلطات فإنها معروضة على مائدة خاصة بها ليس معها إلا الخبز وبعض البقول يأخذ منها الآكل ما شاء.

وكان ثمن الوجبة لنا نحن الاثنين ٢٣ دولاراً أمريكية.

وينبغي أن يتذكر القارئ الكريم هنا ما سبق أن ذكرته من قبل وهو أنه يجب على الأجنبي أي غير الكوبي أن يدفع جميع ما يتوجب عليه دفعه بالدولار الأمريكي، ولا تقبل منه العملة المحلية ولا غيرها وقد جعلوا بعض موائد المطعم بجانب بركة ضخمة للسباحة قد دار حولها المتشمسون من السياح الأوروبيين ومن في مظهرهم.

العرائس الكوبيون في فندق سانت ياقو دي كوبا مدينة سانت ياقو

ومن الطريف أنهم جعلوا بلاط البركة وما حولها من المطاعم أحمر اللـون كأنما صبغ بصباغ.

وعندما رأيت غرف الفندق وباحاته ومرافقه وملاحقه حكمت بأنه رخـيص الأجرة ولو كانت أجرته ضعف ذلك لما كان غالياً.

وقد صادف أن رأينا في جانب من قاعة الاستقبال في الفندق ثلاثـة أزواج يحتفلون بالعرس كل رجل وزوجته أو عروسه إن شئت أن نتكلم بالعاميـة حتـى يفهمها من لم يعرف أن كلمة (عروس) تطلق على الرجل والمرأة (عروسته).

وقد شاق لي المنظر فأردت تصويره إلا أنني لم أجرؤ على التقاط صورة لأحد منهم إلا بعد الاستئذان فرأتني أكثر العرائس جمالاً وأخذت بيد زوجها وقالت: صور.

وتقع غرفتنا في الطابق الثامن من الفندق وقد تجلت طبيعة المدينة وموقعها من نافذة الفندق فالتقطت منها عدة صور وهي كما قلت تحيط بها الجبال ولكنها لا تضايقها، فضلاً عن أن تكون تخنقها.

ثم انتبهت إلى قاعة في هذا الطابق وهو الثامن وهي أنها على هيئة محراب هلالي الشكل وقد أحاطوها بحيطان من الزجاج الشفاف من أجل أن يرى من يقف فيها جهات ثلاثاً من المدينة وما حولها بخلاف ما لو لم يكونوا فعلوا ذلك فإنه لا يرى إلا جهة واحدة فالتقطت منها صوراً أيضاً، ولا أذكر أنني رأيت مثلها في مكان آخر من العالم.

مدينة سانت ياقو كما التقطتها من الطابق الثامن من فندقها الفخم

ومن لطيف ما صنعوه في الغرفة في الفندق أن مصباح القراءة الذي يكون عند الوسادة قد وضعوا فوقه قبعة متحركة من أجل أن تصد النور عن عيني القارئ فلا يقع عليهما مباشرة فيؤذيه ذلك، وقد يؤثر على راحته عند القراءة.

وكذلك جعلوا لجراب الوسادة وهو الخرقة الظاهرة كالكيس الذي توضع فيه الوسادة ويغير كل يوم قد جعلوه طويلاً وحزموا طرفه بحيث لا يلي خد النائم ووجهه، وهذا أمر كان يحدث في بعض الفنادق، إذ يتقلص كيس الوسادة فيبدو داخلها غير نظيف ولا حديث عهد بغسل.

جولة في مدينة سانتياقو:

بدأت الجولة في الساعة الثالثة بسيارة خاصة حجزنا معها بواسطة الفندق الذي ذكر أنها من مكتب سياحي، وجميع المكاتب السياحية هنا هي حكومية ومعها دليلة سياحية كوبية تجيد الإنكليزية وهذا ما طلبناه وهو أن يكون معنا دليل سياحي يعرف الإنكليزية.

شارع أريديا في القسم القديم من سانت ياقو

والدليلة امرأة في نحو الأربعين من عمرها متوسطة المظهر أي ليست بذات مظهر فيه إغراء أو جاذبية، ومع أننا لم نطلبها فإنهم أرسلوها ولم نعترض حرصاً على ألا تفوتنا الجولة في هذه المدينة الكوبية النائية التي لا نملك فيها إلا وقتاً ضيقاً ولا ندري أتتاح لنا فرصة زيارتها مرة أخرى.

اسم الدليلة (جورجينا اندرو واتون) ذكرت أنها متزوجة وأنها ربة بيت، وهي من أهل هذه المدينة (سانت ياقو).

تل سوانغ وانغ:

مع هذا الجرس في هذا الاسم الذي قد يدل على أنه اسم صيني، أو نبت في أرض قريبة من الصين فإن الأمر ليس كذلك، وإنما هذا مصادفة حسبما ذكرت الدليلة.

وهذا التل وقعت عنده معركة حربية بين الأسبان الذين كانوا يستعمرون الجزيرة وبين الأمريكيين.

وذكرت بهذه المناسبة أن هذه المنطقة لم تكن مسكونة من قبل إلا بجماعة قليلة من الهنود، وهم السكان الأصلاء، وإنما الأسبان أحضروا إليها السود عبيداً من إفريقيا، لأن السكان الأصلاء كسالى ولا يعملون.

وقد قضى عليهم الأسبان قضاء مبرماً حتى محوهم، ولم يبق منهم أحد في هذه المنطقة.

وذكرت أن الأسبان أحضروا العبيد من إفريقيا من أجل العمل في مناجم الذهب، كانوا استقروا في كوبا أول ما استقروا أو قالت: أول ما وصلوا إليها عام ١٥٩٠م.

قالت الدليلة: مما تنبغي ملاحظته أن سالكان هنا من ذوي الأصول الإسبانية كانوا ضد أسبانيا وقد اعتبرهم محتلين للبلاد، لذلك قامت حرب بينهم بصفتهم مواطنين في كوبا وبين الأسبان المستعمرين عام ١٨٦٨هـ وقد اشترك العبيد معهم في تلك الثورة، وقد استمرت تلك الحرب عشر سنوات خسرها الكوبيون لأن الجزء الغربي من كوبا لم يشترك في هذه الحرب ضد الأسبان.

وذكرت أن أشهر قائد لتلك الحرب هو (انطونيو ماسيو) وهو جنرال من أب أسباني وأم إفريقية، وهو الذي قال سنحرر شبعنا من الأسبان، ولو بالمنجل الذي نزرع به السكر، ولم يكن لديهم سلاح آنذاك فخسر الحرب، وهاجر إلى أمريكا، وفي أمريكا التحق بالبطل الشعبي المشهور (خوسي مارتين) محرر جنوب أمريكا.

وقد جمع هذا الجنرال الكوبي الكوبيين في أمريكا وعاد إلى كوبا ليشعل الحرب مرة ثانية ضد الأسبان، وذلك في عام ١٨٩٥ إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية تدخلت تدخلاً عسكرياً هو أول تدخل عسكري أمريكي في كوبا في عام ١٨٩٩م من أجل وقت انتصار الشعب الكوبي.

وكان الأمريكيون قد قالوا للكوبيين في البداية: إننا سوف نساعدكم ضد الأسبان، إلا أنها عملت اتفاقية مع إسبانيا ضد الكوبيين، وكان من أبرز القواد الكوبيين آنذاك الجنرال (كالستوغارسيا) الذي غضب فمات قهراً، وقيل: إن الأمريكيين دسوا السم في غذائه فمات.

ثم اتخذت أمريكا هذه المنطقة من كوبا قاعدة عسكرية واستمر ذلك حتى عام ١٩٠٤م.

وفي عام ١٩٠٩ عملت اتفاقية مع أحد الخونة من القادة الكوبيين لاتخاذ قوانتانامو قاعدة أمريكية عسكرية لمدة ١٠٠ سنة تنتهي في عام ٢٠٠٩م.

تاريخ سانتياقو:

وقفنا عند جذع شجرة معمرة غلى هذا التل الذي اسمه سوانغ وانغ وقد وضعوا فيه نصباً وطنياً كتبوا عليه أنه قتل في هذا المكان ثلاثة آلاف كوبي وأهمها في عام ١٨٩٨م، وأحاطوا ما حوله بعناية وجعلوه معلماً سياحياً.

المؤلف عند جذع الشجرة المعمرة في المنطقة السياحية من مدينة سانت ياقو

تقول الدليلة: إن هذه الشجرة عمرها أكثر من ١٥٠ سنة، وأن اسمها (شيفا) وأنها مقدسة في إفريقيا، ولا أدري أية إفريقية تقصد، ولا أي شعب إفريقي يقـدس هذه الشجرة، ولكنها تشير إلى العبيد الأفارقة الذين جلبهم الأسبان إلى هذه المنطقة، وذكرت أن بعض الإفريقيين كانوا يعتقدون أن الألهة تتنزل عليها.

وهذا أيضاً من الخرافات المحرفة بلا شك.

وذكرت الدليلة أنه من هذا التل بدأت عمارة مدينة سانتياقو في عام ١٥٥٠م، وصارت عاصمة لجزيرة كوبا حتى عام ١٥٦٠م، وهي ثاني عاصمة لكوبا، أما الأولى فإنها بلدة (باراكوا).

ويبلغ عدد سكان سانياقو في الوقت الحاضر أكثر قليلاً من (٥٠٠) ألف نسمة، وهي عاصمة منطقة أو مقاطعة باسمها يبلغ عدد سكانها مليوناً من البشر ٣٣% منهم سود، و١٥% بيض، والبقية من الملونين.

وقد وضعوا في هذه المنطقة السياحية عدداً من المدافع القديمة، ومنها مدفع أسباني ضخم وضع هنا في عام ١٩٢٨م.

وعلى ذكر ذلك أفادت الدليلة أن كوبا استقلت في عام ١٩٥٩م،، وهي تقصد بذلك الاستقلال عن الإدارة الأمريكية، وإلاّ فإنها كانت مستقلة شكلاً قبل ذلك، غير أن الكوبيين الثوار الآن لا يعتبرون ذلك استقلالاً لكونه تحت الهيمنة الأمريكية.

المؤلف عند مدفع قديم في المنطقة السياحية من مدينة سانت ياقو

تل سان جوان:

أوقفت الدليلة سيارتها عند أقدام تلة مرتفعة وسرنا معها نصعد درجاً فيه، واسم التل: (سان جوان) وقد جعلوه منطقة سياحية في أعلاه كالمنارة القصيرة يدخل منها فيصعد إلى أعلاه مع درج حلزوني فيشرف الداخل على المنطقة كلها لأنها مرتفعة.

وقد جملوا ظهر هذا التل، بل المنطقة كلها على اعتبار أنها سياحية مهمة، وأقاموا فيها رموزاً سياسية من ذلك تمثال لجندي أمريكي معه بندقيته، وتمثال آخر لجندي كوبي رمز المقاومة لذلك الجندي، وقالت الدليلة: لقد وضعوا مع الجندي الكوبي بندقاً حربية، وكان ينبغي ألا يفعلوا ذلك لأن الكوبيين عندما غزاهم الأمريكيون لم يكن معهم سلاح كسلاح الأمريكيين يقاومون به، وإنما كان معهم المناجل.

ولاحظت أن الدليلة شديدة العداء للولايات المتحدة الأمريكية، مثلها في ذلك مثل أكثر الكوبيين، وهذا يفسر سبباً من أسباب نجاح الرئيس (فيدل كاسترو) في الحكم، لأنه كان يضرب على وتر مقاومة النفوذ الأمريكي، ولو كان ذلك دعاية مجردة لما استمرت، ولكنه يستند إلى حقائق تاريخية يعرفها الكوبيون من تدخل أمريكا الشمالية في شؤونهم وتأييد الظلمة من حكامهم الذين كانوا يخدمونها.

ثم نصب الجندي الكوبي المجهول:

وقد اندفعت الدليلة وهي إسبانية بيضاء، ولكن بياضها قد فقد جانباً من رونقه نتيجة لمعيشتها مدة طويلة وعيش آبائها في هذا الجو الاستوائي، وهي تقول وتعيد القول في مساوئ الولايات المتحدة، وكان مما قالته: إن الأمريكيين يسمون الكوبيين (ممابيس) وقالت: إن أصل هذه الكلمة من العربية ومعناها: المنبوذون، ولما ذكرت لها وهي إسبانية فيما تقول: إن العرب بقوا في إسبانيا قروناً متطاولة وأثروا فيها

آثاراً عظيمة عميقة، قالت: هذا صحيح فزوجي وهو إسباني مسيحي اسمه (عمـــر) وابني اسمه (عماريتو) وذكرت أن والد زوجها منحدر من أصل عربي إسباني.

وكانت تذكر العرب بالتقدير، وربما كان مرجع ذلك إلى كونها مثقفة، قد قـــرأت التاريخ نابعاً من سياسة كوبا الموالية للعرب نكاية بالولايات المتحدة الموالية لليهود.

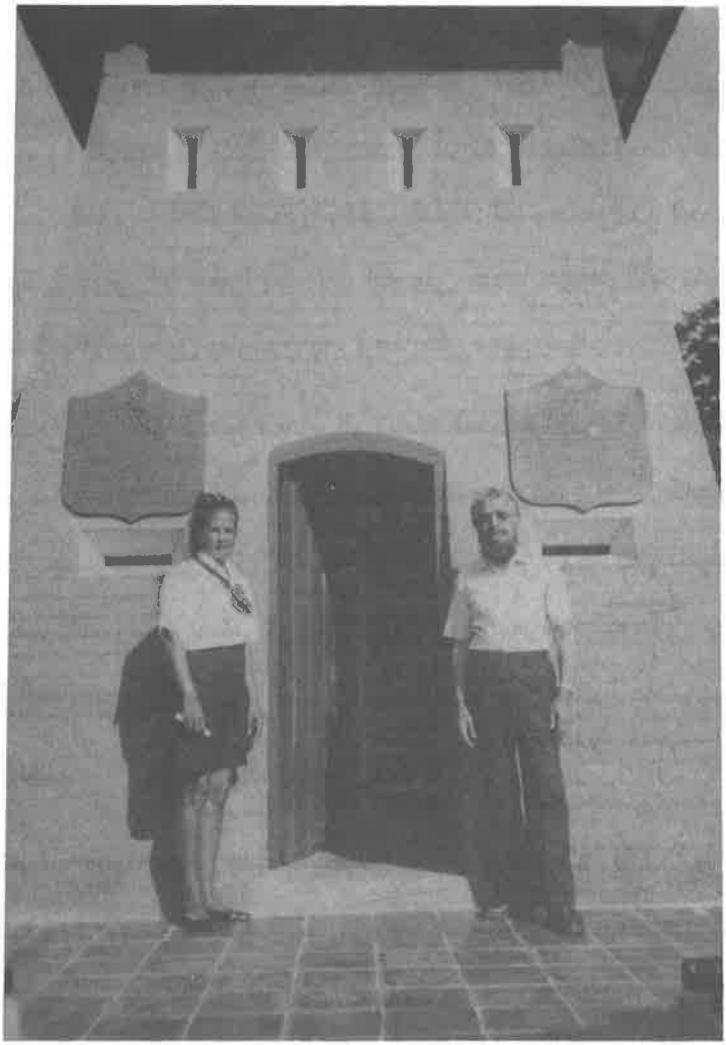

الدليلة السياحية عند مدخل البرج السياحي في تل (سان جوان) في مدينة سانت ياقو

منطقة الأثرياء:

غادرنا تل (سان جوان) قاصدين أحياء منظمة المنازل والشوارع ذكرت الدليلة أنها مناطق الأثرياء، وذكرت أنهم غادروها في عام ١٩٥٩م، أي بعد قيام الثروة الشيوعية التي قادها (فيدل كاسترو).

وقد مررنا بدارة واسعة جميلة فيها حديقة مزدهرة تحيط بها فقالت الدليلة: هذه كانت لأسرة عربية غنية تركت البلاد كغيرها من الأثرياء.

ثم جلنا في هذه المنطقة التي كانت للأثرياء، إلا أن ثراءها زايلها مثلما زايلها أهلها الذين هاجر أكثرهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وبعضهم ذهبوا إلى أماكن أخرى من العالم الثري مثل كندا والبرازيل.

واسترعى انتباهنا في هذه المنطقة منزل مبني على طراز عربي أندلسي ذكرت أنه كان لأحد الأثرياء العرب.

وقد حولته الحكومة الكوبية الآن إلى روضة للأطفال.

بيت كان لأحد العرب في حي الأغنياء في سانت ياقو

ثم ممرنا بمكان مرتفع فيها تمثال أبيض ونصب لجدار أبيض والتمثال لشي جيفار الذي يعظمه الثائرون على نفوذ الولايات المتحدة في أمريكا الوسطى وفي البحر الكاريبي.

جامعة سانتياقو:

مررنا بمباني الجامعة في هذه المدينة وهي متعددة واسعة، غير أنها ليست حديثة وبعضها يبدو أنها ليست في جو دراسي صحي، لأنها واقعة على شارع أو شوارع تزدحم بالسيارات والمفروض أن تكون الجامعات في جو خلوي بعيد عن الحركة العامة وعن الضوضاء.

وذكرت الدليلة أن عدد الكليات في هذه الجامعة هو إحدى عشرة، وأن مجموع طلابها أحد عشر ألف طالب، وذكرت أنه يتبعها ٢٥ معهد متخصصاً، وأن مبانيها متفرقة، فليست كلها موجودة هنا، وقد سألتها عن التعليم في مراحله كلها أهو بنقود أم بالمجان؟ فأجابت: بأن كل أنواع التعليم مجانية، وإنه لا توجد رسوم على أي نوع من أنواع التعليم لأن الدولة الاشتراكية ترى أنها ملزمة بتوفير التعليم لأبناء الشعب كلهم.

وواصلنا السير تاركين هذه الجامعة فمررنا بالملعب الرياضي وهو ليس واسعاً.

ميدان الثورة:

وغير بعيد منه (ميدان الثورة) واسمه بالإسبانية (بلاسا ديل ريفيلسيون) فبلاسا: ميدان، و(ديل) أداة تقع بين المضاف والمضاف إليه.

وقفنا طويلاً في ميدان الثورة لكونه مهماً عندهم من الناحية السياحية ففيه منصة بل منصات واسعة وهي أماكن مرتفعة تتسع لعشرات الجلوس، وترتفع عن الميدان نفسه الذي هو واسع يتسع لعشرات الألوف، ذكرت الدليلة أنه الميدان الرئيسي

للاحتفالات، وأن الرئيس فيذيل كاسترو رئيس البلاد يتكلم فيه في الجميع، وكذلك تكلم فيه (بابا الفاتيكان) عندما زار كوبا واستمع إلى كلامه عشرات الألوف من الناس.

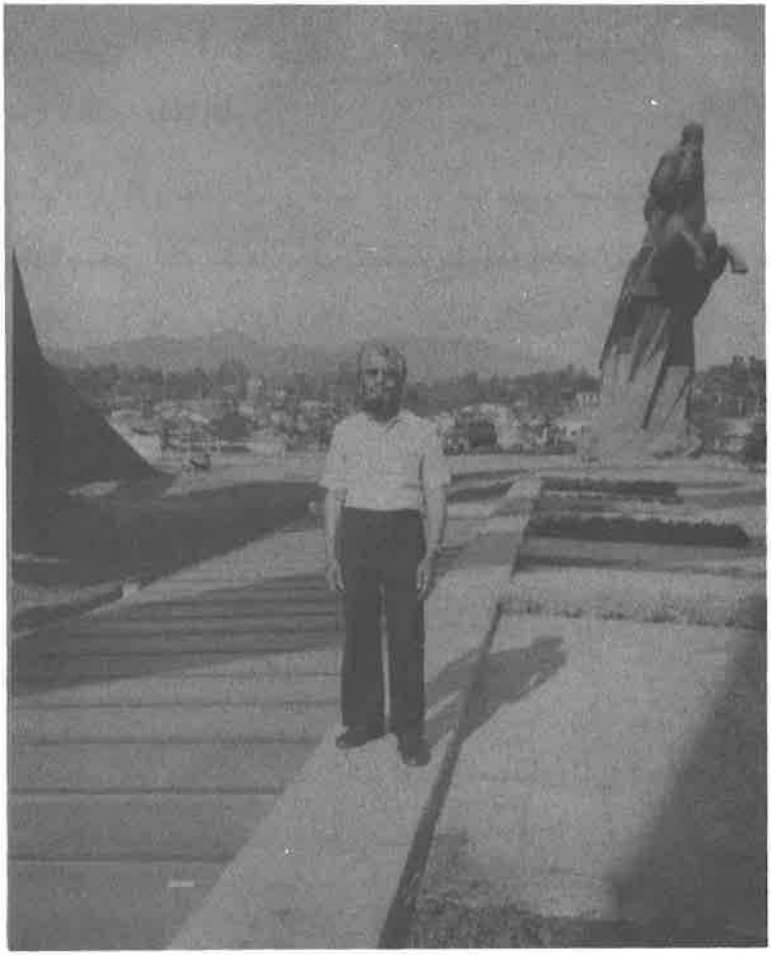

المؤلف في ميدان الثورة في سانت ياقو

ومما يجدر ذكره أن كوبا دولة شيوعية لا تبالي بالدين، بل لا تعترف بأهميته في حياة الشعب، إلا أن الشعب كان بمجمله قبل الثورة الشيوعية يدين بالكاثوليكية التي تتبع من الناحية النظرية لبابا الفاتيكان، ومع ذلك رحبت الحكومة لكوبية بزيارته، لكونها بحاجة إلى تأييد سياسي تقاوم به كيد الولايات المتحدة الأمريكية لها.

أما بعد الشيوعية فإنه لا توجد إحصاءات موثوق بها عن نسبة الكاثوليكيين الذين يعتقدون بصحة المذهب الكاثوليكي ويتمسكون به، ولا يصح القول بأن كل من لم يؤمن بالكاثوليكية منهم التي هي مذهب آبائه وأجداده هو ملحد، بل توجد طوائف منهم تؤمن بالله ولكنها لا تؤمن بالكاثوليكية، ولا بالطقوس التي يقوم بها رجالها، ومن أولئك دليلتنا هذه.

قلت لها: يا جورجينا: إنني أحب أن أعرف بهذه المناسبة ما إذا كنت مسيحية أم لا؟ بمعنى أنك متدينة بالمسيحية أم ملحدة، فقالت: لقد ولدت مسيحية كاثوليكية، ولكنني لا أؤمن بالكاثوليكية ولا أعتقد بالكنيسة ولا رجالها، ولذلك لا أذهب إلى الكنيسة مطلقاً.

قلت لها: هل معنى ذلك أنك غير متدينة؟

فأجابت قائلة: أنا أومن بالله، وأعتقد بأنه موجود، ولكن ذلك لا يحملني على أن أذهب إلى الكنيسة أو أومن بما يقوله القائمون عليها.

حكم الأقلية:

سألتها بهذه المناسبة عن عدد الشيوعيين المسجلين في الحزب الشيوعي الكوبي الذي يحكم البلاد منذ نحو أربعين سنة؟

فأجابت: إن عدد أعضاء الحزب هو ٣٣ ألفاً وهم أقلية ضئيلة بالنسبة إلى مجموع سكان كوبا.

إلا أنها أضافت أنه في كوبا فقط ينتخب الشيوعي انتخاباً، بمعنى أنه حتى الانتخاب يجري التنافس فيه بين الشيوعيين أنفسهم كما قالت.

وكلام كاسترو:

عاد الحديث إلى حديث الرئيس (فيدل كاسترو) للشعب في هذا الميدان فذكرت أنه قد يتحدث ثلاث ساعات أو أربع ساعات حديثاً متواصلاً، وأن بعضهم أحصى المدة التي تستغرقها أحاديثه التي هي بمثابة خطب في الجماهير فخص كل يوم منها ساعة واحدة، بمعنى أن هذا هو المعدل وذكرت أن والده إسباني وأمه كوبية، هذا يدل على أن والده من الأسبان الخلص ويعرف عنه أنه نشأ في أسرة ثرية وأنه شاهد ما يلقاه الأجراء والفقراء على أيدي الإقطاعيين من مظالم، فتأثر من ذلك، وكان من أسباب ثورته مع أن ثورته في الأساس على سياسة شعارها محاربة الإقطاعية.

وسألت عن شيء ورد على ذهني، وهو تآخي الألوان في كوبا من السواد الفاحم إلى البياض الناصع وما بينهما؟ فقالت: الناس في كوبا لا يلقون للون بالاً، ولا يهتمون به، وليس عندهم أي اعتبار، وإنما الاعتبار للعمل.

قلت لها: هذا هو ما يراه الدين الإسلامي فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم: (يقول: إن الله لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).

ويقول في حديث آخر (التقوى ههنا التقوى ههنا ويشير إلى صدره) أي هي في القلب.

وفي جانب من ميدان الثورة مكان مرتفع فيه تمثال ضخم جداً لأنطونيو ماسيو أحد رجال الثورة الكوبية وهو راكب حصاناً ويبلغ ارتفاع التمثال ٣٣ متراً أي كارتفاع مبنى مؤلف من ٩ طوابق.

وفي المكان أيضاً مثلوا مناجل ضخمة عددها ٢٣ منجلاً وهي رمز الثورة وكانوا يستعملونها في حصاد قصب السكر الذي تشتهر كوبا بإنتاجه، وذكرت أنهم وضعوا هذه المناجل هنا لأن الكوبيين لم تكن لديهم أسلحة يقاتلون بها الأمريكيين وأعوانهم من الاستغلاليين فقاتلوا بهذه المناجل، وهي مناجل طويلة مستقيمة على خلاف ما نعرفه من كون المناجل تكون معوجة محدبة.

حي جديد:

انطلقنا بعد فترة قضيناها في هذا الميدان المهم عندهم،وكان الجو معتدلاً، إلا أن الشمس حارة ذكرت الدليلة أن هذا الحي كله جديد بني بعد عام ١٩٥٩م الذي هو عام الثورة، ولم أجد هذا الحي فاخراً، ولكنه متوسط يتسم بالنظافة والبساطة.

قالت الدليلة: إننا كنا نعتمد على الاتحاد السوفيتي، ولكن بعد سقوطه صرنا نعتمد على أنفسنا، فكل واحد تبرع بالعمل ساعة واحدة يومياً زيادة على ساعات العمل المعتادة، وصرنا نعتمد على الزراعة.

وذكرت الدليلة أن عدد المدارس الابتدائية في هذا الحي الجديد ست، وقد بنوه على غرار الأبنية الكبيرة (العمارات) التي اعتادت الحكومات الشيوعية على بنائها ليوفر شققاً سكنية صغيرة لأفراد الشعب، لأن الفرد لا يستطيع أن يبني له مسكناً بمفرده فالحكومة لا تسمح بالملكية الفردية المتجددة والناس ليست لديهم القدرة المالية على ذلك.

وذكرت أن النظام المتبع أن تحسم الحكومة على كل من تعطيه شقة ٦% من راتبه الشهري لمدة ١٥ سنة تصبح الشقة بعد ذلك ملكاً له.

المقبرة التاريخية:

نوهت الدليلة بهذه المقبرة قبل أن نصل إليها وذلك لكونها تاريخية كما قالت، وذكرت أن اثنين من زعمائهم هما من بين المدفونين في هذه المقبرة، وهما (جوزيف مارتين) و(انطونيو ماسيو).

ودفعنا رسماً لدخول المقبرة مقرراً هو دولار أمريكي واحد لكل شخص أجنبي مثلنا، ولا يقبلون مثل غيره من النفقات إلا بالدولار الأمريكي.

وجدنا عند بابها من الخارج طوائف من شعب هذه المنطقة يتجلى فيه مظهر الشعب بأنه ملون ومعنى ذلك أن الملونين فيه هم أكثر من البيض.

وكان أول ما استرعى انتباهنا عندما دخلنا المقبرة قبراً مرفوعاً عن الأرض نحو المتر ومعتنى به غاية العناية مما يدل على أن المدفون فيه هو ثري جداً وليس هذا وحده هو الذي استرعى انتباهنا، وإنما ذلك لوجود كتابة عربية بارزة عليه في لوحات فنية عربية منها عبارة (مقبرة نصير).

و(الحاج سليم خليل نصير ١٨٧٤- ١٩٥٥) وفوق هذه الكتابة البسملة بالعربية أي (بسم الله الرحمن الرحيم).

وهذا القبر متميز على ما حوله من القبور بالعناية والرخام، وهذا الذي نذكره عنه لمجرد الإخبار به، وليس لكوننا نجيز مثل هذا الفعل بهذا القبر أو غيره، فضلاً عن كوننا نستحسنه.

ولما سألت الدليلة عن السبب في العناية الفائقة بهذا القبر، قالت: لأنه قبر رجل غني جداً.

ثم أضافت قائلة: العرب الذين كانوا يعيشون في كوبا كلهم أغنياء.

ثم مررنا بقبة صغيرة في المقبرة ذكرت أن فيها قبور ٢٤ جنرالاً منهم، فهذا الشبه بالقبور الجماعية ولكننا رأينا فيه على قبر منفرد ذكرت أنه صار كذلك لأنه قبر كاتب أي أديب هو (خوزي مارتين) ذكرت أنه كاتب وصحفي مات في عام ١٩٥١م.

وذكرت أن الفرنسيين هم الذين بنوا عليه هذه القبة الصغيرة مع أنه إسباني.

وسألتها بهذه المناسبة سؤالاً كان يشغل ذهني فقلت لها: لقد رأيت قبر العربي المسلم الغني (نصير) فماذا عن المسلمين في هذه المدينة؟

فقالت: لدينا كثير من العرب، ولكننا لا نعرف المسلمين، فالناس كلهم يتعبدون في منازلهم، بمعنى أنه لا توجد مؤسسات دينية رسمية لهم، على أنها ذكرت أن الاتحاد العربى له مكتب فى هذه المدينة (سانتياقو).

لافتة الاتحاد العربي في كوبا

ثم ذكرت أنه يوجد في مدينة (سانتياقو) ١٨ كنيسة كاثوليكية ولكن الناس لا يذهبون إليها، لأنهم يؤمنون بالله، ولا يعتقدون بصحة ما عليه الكنيسة.

متحف الثورة:

سلكنا شارع الشاطئ وهو رديء سيئ الزفت، إلا أن أرصفته جيدة،حتى وصلنا متحفا اسمه (كلاندسين ميوزيوم) أي متحف كلاندسين، ولم أعرف معناها ولكنني أسميته متحف الثورة، لكثرة ما تحدثوا فيه عن الثورة، وما عرضوه من لوحات ومخلفات ومأثورات تبين تاريخها وصور الأشخاص الذين شاركوا فيها والأحداث التي صاحبتها.

وهذا المتحف في مبنى أندلسي الطراز جميل ذكرت الدليلة أنه كان مركـزاً لشرطة المدينة حتى عام ١٩٥٩م، الذي هو عام نجاح الثورة الكوبية، وصار مكاناً لاجتماعات الثوار ، وفي عام ١٩٧٦ اتخذ متحفاً.

وتحدثت عن الثوار بأن السلطات الحاكمة في كوبا قبل الثورة اعتقلت عدداً منهم وأبعدتهم إلى المكسيك بعد أن سجنتهم فترة في كوبا، إلا أن أكثـرهم عـادوا للعمل في الثورة بعد ذلك.

المبنى العربي ذو الرواشين في سانتياقو القديمة

وكانت تشير إلى رسائل وبيانات توضح ما ذكرته إلا أنه كله بالإسبانية.

وهنا نطقت الدليلة بعبارة لم تلق لها كثير عناية، ولكنها فظيعة عندنا وهو أن رئيسهم فيدل كاستروا له أربعة أولاد ولكنه لم يتزوج حتى الآن!!

ومعنى هذا أنهم يعرفون كلهم أنه إباحي: لا يلقى بالاً للأسرة، ولا لحرمـة العرف الاجتماعي.

والمتحف واسع، وقد صحبتنا فيه دليلة عاملة فيه يظهر أنها أكثر معرفة بمحتوياته من الدليلة التي كانت معنا فجالت في الطابق الأول منه وأكثر الذي فيه رسوم وبيانات بالإسبانية وعلم الثورة في أوضاع متعددة، وبضع بنادق فهمنا أنها مما استعملها الثوار في بدء ثورتهم.

أما الطابق الثاني فإن أهم ما فيه صورة السفينة التي جاء فيها قائدهم (فيدل كاسترو) من المكسيك بجانبها قصاصات من صحف وبيانات أمريكية تقول: إنه مات!!! ثم صور لمظاهرات جماهيرية حاشدة في كوبا جرت في عام ١٩٦٣م، ولم توضح الدليلة الغرض من هذه المظاهرات، ولم نسألها عن ذلك، لأنها كانت تذكر أشياء نعتبرها ليست مهمة كالبيانات الكثيرة عن رفاق كاسترو من الثوار، وحتى بعض الأمور التفصيلية المتعلقة بكاسترو نفسه، ومن ذلك على سبيل المثال القميص الذي كان كاسترو قد لبسه في السجن وقد نقشت عليه الحروف الأولى من اسمه، وصور ثلاثة من الثوار قتلوا حينما حاولوا منع الأمريكيين من دخول المدينة.

وصور وبيانات لأول مطبعة صغيرة استعملها الثوار وصورة لجماعة من المشيعين الذين يسيرون في جنازة أحد أعوان كاسترو.

وفي هذا الطابق نماذج من الأدوية والأغذية التي كان يتعاطاها الثوار، حتى إنهم صوروا الأحزمة التي فيها ذخيرة البنادق التي كان بعض الثوار قد تحزموا بها بالفعل.

ومن أهم ما عرضوه هنا بندق ذكرت أنها مصنوعة هنا، ونوهت الدليلة بأنها صناعة محلية.

ومن طريف ما عرضوه هنا صورة للزئيس فيدل كاسترو دون لحية، أي قبل أن يطلق لحيته، وذكرت أنه أطلق لحيته بعد نجاح الثورة ليكون رمزاً للثوار.

ومن ذلك صورة لصفحات من جريدة ثورية صدرت في عام ١٩٥٧م، أي قبل نجاح الثورة بسنتين، والحقيقة أنني فرحت بالدخول إلى هذا المتحف ظناً مني

أنه متحف وطني فإذا به متحف للثورة قد عرضوا فيه أشياء لا تعنيني، وقد شعرت بأن الوقت الذي أنفقناه فيه ونحن نتابعهم قد ذهب في غير طائل، ولذلك لم نمنحهم أي حلوى (بخشيش) على خلاف عادتنا في مثل هذه المواطن.

المدينة الاستعمارية:

تحفل مدن الاستعمار الأسباني في أمريكا الجنوبية والوسطى بوجود مدينة تسمى (كوليان ستي) بالإنكليزية بمعنى المدينة الاستعمارية، ويراد من ذلك المدينة التي كانت موجودة إبان الحكم الاستعماري.

عرفنا على ذلك في الإكوادور وبنما وبيرو وغيرها، وتعتبر مثل تلك المدينة معلماً سياحياً لأن شوارعها ضيقة وطراز البيوت فيها قديم، وقد أبقاها أهلها كما هي في الأغلب و(كوليان ستي) أو المدينة الاستعمارية في هذه المدينة الكوبية هي ملاصقة لها وتعتبر بمثابة الجزء القديم منها.

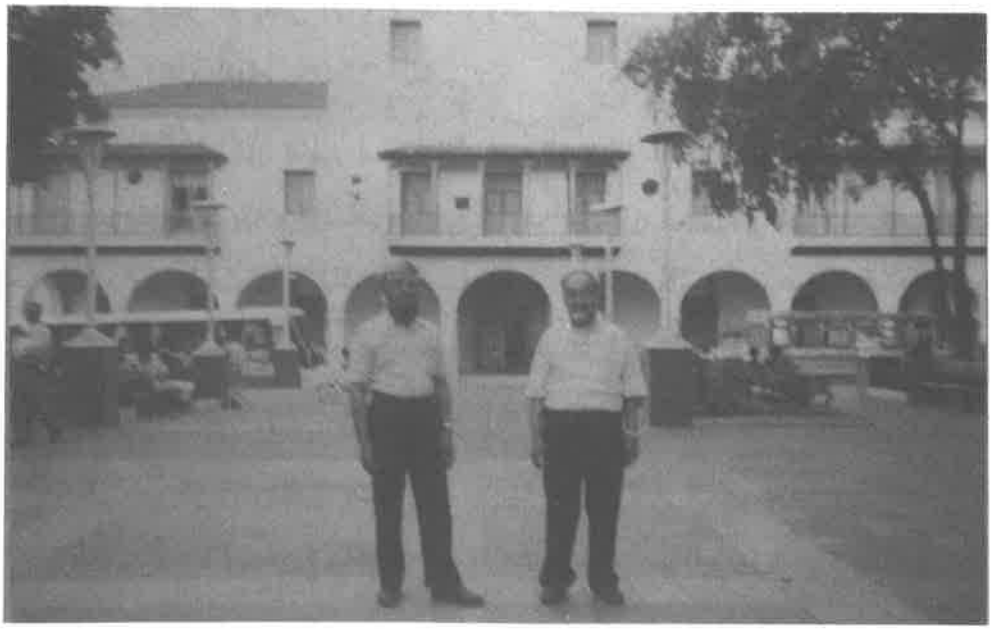

مع الأستاذ المرافق رحمة الله بن عناية الله في سانتياقو القديمة

نزلنا في شارع منها مغلق عن السيارات مفتوح للمشاة، فيه مطعم كبير ذكروا أنه متخصص بتقديم الأطعمة الكوبية دون غيرها.

وأرتنا الدليلة مدرسة ابتدائية فيها ذكرت أن رئيسهم (فيدل كاسترو) كان درس بها وأنه درس أيضاً الثانوية وهما مدرستان كاثوليكيتان، إلا أنه كفر بالكاثوليكية كلها ولم تنفع فيه الدراسة الكاثوليكية في هاتين المدرستين، وذكرت ما سبق أن أشرت إليه من كونه ولد في أسرة غنية تملك مقادير من الأراضي الزراعية، وأنه شاهد العمال الفقراء الذين يعملون في مزارع أبيه، فغضب على أبيه بسبب ذلك وعمره كان تسع سنين، فأرسله أبوه إلى هذه المدرسة لكي يصححوا أفكاره، ولكن ذلك لم ينجح فيه، ثم جاهر فيدل كاسترو بآرائه عندما دخل الجامعة.

كان أول شارع وصلناه من هذه المدينة القديمة هو (شارع أريديا) ذكرت الدليلة أنه سمي على اسم شاعر كوبي ولد هنا في عام ١٩٠٣ وتوفي عام ١٩٣٩م فهو قصير العمر لم يعمر إلا ٣٦ عاماً، ومع ذلك أسموا هذا الشارع باسمه، وخلدوا بذلك ذكره لأهل بلدته.

وهذا الأمر من تخليد أسماء الأدباء والكتاب والمفكرين رأيناه شائعاً في أقطار أمريكا الجنوبية والوسطى، على خلاف ما عليه الحال في بلادنا العربية، حيث لا يكون للمفكرين إلا النفوذ السياسي الذي يكون كل رصيدهم في العادة هو العمل السياسي الحافل بالمكر والدسائس وتحصيل الغنم للنفس دون الآخرين.

وأشارت إلى بعض المحلات التجارية هنا التي كانت للعرب أيام الحكم الرأسمالي في كوبا، وقالت: لدينا أسر عربية عديدة لا تزال موجودة هنا أحفظ منها أسرة تسمى أسرة (عباس) وأخرى اسمها مصطفى وثالثة اسمها (ناصر).

المؤلف في أحد شوارع القسم القديم في سانتياقو

وذكرت الدليلة أمراً غريباً وهو أنه في نهاية هذا الشارع ولدت الموسيقى (تروفا) وهي الموسيقى الشعبية الكوبية، وذلك قبل الثورة التي نجحت في عام ١٩٥٩م، كما سبق.

وقد رأينا مجموعة من الموسيقيين والفنانين في الشارع حول مقهاة هناك، وبقربها نادٍ كان للسود والملونين، عندما كان يوجد حكم عنصري قبل الثورة، وقد حول ذلك النادي الآن إلى بيت للطلاب.

أول فندق:

شاهدنا أول فندق أقيم في مدينة سانتياقو هذه واسمه (كاساقراندي) فتح في عام ١٩١٥م، ويقع على ميدان رئيسي في هذا القسم القديم من المدينة اسمه (سيابدس) ويقع على هذا الميدان المهم أيضاً (نادي البيض) كان العنصريون يستعملونه لذلك قبل الثورة وقد صار الآن (بيت الثقافة) في المدينة.

ومن أهم ما يلي هذا الميدان كنيسة قديمة بنيت لأول مرة في عام ١٥٢٢م وهذا أمر عام في مدن المستعمرات الإسبانية القديمة، أن تكون الكنسية على أهم ميدان قديم في المدينة ولكن الميدان يكون في الغالب غير واسع، جرياً على العرف القديم الذي سار عليه في الميادين التي تكون بين البيوت أو تخطط لتكون كذلك.

وذكرت أن هذه الكنيسة عمرت على الصفة التي هي عليها الآن في عام ١٩٢٢م.

العربي الذي لا يريد أن يتكلم:

وضعوا في وسط هذا الميدان الرئيسي المهم مقاعد من الخشب جلس عليها بعض المواطنين جلسة استراحة، وجدنا أحد العرب معه فتاته التي لا ندري صلتها به، لأنه لم يرد أن يتكلم، وكأنما هو خائف.

وقفت بنا الدليلة عليه، وقالت: هذا عربي من مدينتنا.

فسألته عن اسمه فلم يجب ولكن فتاته التي كانت أطلق منه لساناً واثبت جناناً ولا أدري إلى أي جنس من الناس تنتمي سارعت لتقول: إن اسمه حسين، فقلت له: حسين ماذا؟

فلم يجب بأكثر من أن يقول إنه حسين، ولم يكن يعرف أية لغة أخرى غير الإسبانية فيما ظهر من أمره، لأن الدليلة كانت تتولى مهمة الترجمة معه غير أنه تغير لونه، وبدا كما لو كان خائفاً، وأشاح بوجهه عنا فتركناه، لأنه تبين أنه لن يضيف إلى معلوماتنا شيئاً عن العرب في هذه المدينة.

وهو مولود هنا، ولكن لا ندري عن أصله العربي شيئاً.

وأوقفتنا الدليلة على أقدم مبنى من المباني المهمة على هذا الميدان قالت الدليلة: إنه (مورسيك) وتريد بذلك أنه على الطراز العربي الأندلسي، وذلك ظاهر من مظهره، إلا أنها أشارت إلى الرواشين التي فيه، وقالت: إنها (مشربيات) هكذا

باللفظ العربي وهي كالنوافذ البارزة في المبنى مؤلفة من خشب مخرق يسمح لمن يكون داخل المنزل أن ينظر إلى الناس ولا يرونه إذا لم يكن في المنزل ضوء في الليل، وذكرت أنه بني في عام ١٥١٥م، وذكرت أنه الآن متحف للآثار، وبيتاً آخر على طراز عربي ذكرت أنه الآن يستعمل مقراً لرئيس البلدية.

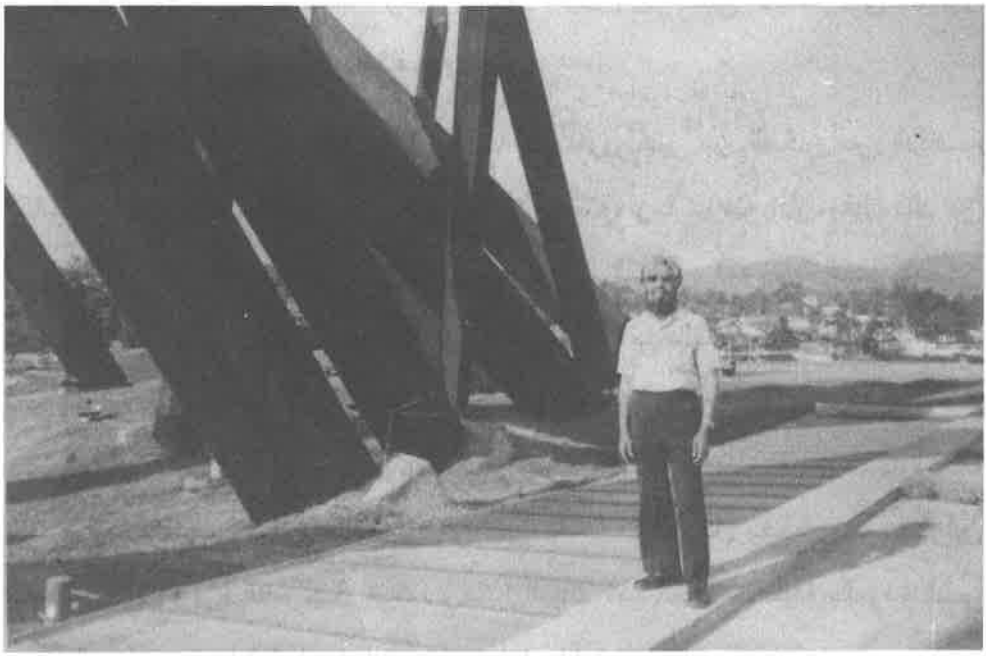

المؤلف عند مجسمات المناجيل، المستطيلة في سانتياقو

وسلكنا شارعاً متفرعاً من هذا الميدان اسمه (سانت توماس) كما تجولنا في شارع آخر في هذا القسم القديم من المدينة اسمه (سانت بيتر) وهو طويل ضيق يصب في الميدان القديم الذي ذكرته.

والميدان الرئيسي وما حوله في موقع مرتفع ينحدر إلى البحر.

وقد انتقلنا من هذا القسم المهم من المدينة إلى قسم حديث نسبياً فيه ميدان اسمه (ميدان سامز مارسي) أسس في عام ١٩٠٢م، وصارت الدليلة تشير إلى أبنية حديثة

فيه وما حوله تنوه بها مع أنها غير مهمة، ولكنها لا تعرف أن في بلادنا ما هو أحسن من هذه الأبنية الحديثة وأهم منها، وإنما نحن نبحث عن الأبنية التاريخية.

أما الناس الذين في الشوارع والميادين والمحلات التجارية هنا فإنهم ملونون يكثر فيهم السود وتنقصهم الوجاهة في المظهر بالسبة إلى سكان هافانا حتى السود هنا أقل وجاهة من سود هافانا، ومن الممكن القول بأن الطابع الغالب على سكان هذه المدينة هو عدم الجمال، بخلاف هافانا.

وفكرت فيما رايته وما ذكرته الدليلة من نفور كثير من السكان عن الديانة الكاثوليكية التي كانت ذات نفوذ عظيم في هذه البلاد، وما عرفته الآن وقبل ذلك من أن كثيراً من القرى ليس فيها كنائس مطلقاً، وحتى الكنائس الموجودة في المدن بعضها معطل فقلت: إن هذه فرصة الدعاة إلى الإسلام، فالشعب مثله مثل أي شعب آخر بحاجة إلى غذاء روحي بعيد عما يصعب فهمه على العقل مثل عقيدة التثليث يريد ديناً واضحاً جلياً وهو الدين الإسلامي، ولكن هناك عقبات يصعب تجاوزها سيأتي الحديث عنها فيما بعد عندما نعود إلى هافانا ونقابل بعض المسئولين الكوبيين في وزارة الخارجية هناك، وهكذا انتهت هذه الجولة المفيدة بالعودة إلى فندقنا المريح ودفعنا ثمنها بعد الانتهاء منها (٤٠) دولاراً أمريكياً.

يوم الاثنين: ١٤٢٠/١٢/١٤هـ- .....

كان الإفطار في مطعم هذا الفندق الكبير الذي هو واسع مؤلف من عدة وحدات بعضها أعلى من بعض ويصعد إليه من درج فيه.

وجدنا المطعم غاصاً بالناس حتى إنني لم أجد مائدة خالية فيه إلا بصعوبة، والذين بعدنا لم يجدوا موائد خالية، وكانت مائدتنا لأربعة أشخاص فوقف علينا زوجان مسنان وطلبا السماح بالجلوس معنا على المائدة لأنهما لم يجدا مائدة أخرى، وأخبرانا أنهما من مجموعة سياح ألمان.

وقد اضطرا لطلب الجلوس لأن الطاعمين يخدمون أنفسهم فيحضرون كل شيء من موائد مفتوحة ما تلبث أن تنفد بسرعة لكثرتهم.

وحتى الشاي لم نجد فيه شيئاً، وقالت الألمانية، كيف يكون فندق خمس نجوم ليس فيه شاي.

مع الطلبة الصحراويين:

والنسبة إلى الصحراء التي هي الصحراء الغربية صحيح واضح، ولكن إذا كانت النسبة إلى ما يسمى بالجمهورية العربية الصحراوية فإن النسبة كاذبة لأنه لا توجد جمهورية صحراوية ولا مملكة صحراوية، وإنما يوجد أناس يطالبون بها سمحت لهم الجزائر بأن يفعلوا ذلك وهم يقيمون على أراضيها.

والقصة تتضح مما يلي:

عندما أعلن استقلال ما يسمى بالجمهورية الصحراوية، وهي تقاتل ضد المغرب الذي هو رأسمالي يميني النظام حسب تعبيرهم كانت الحكومة الكوبية من أوائل من اعترف بهذه الجمهورية، لم يقف الأمر بها عند هذا الحد وإنما قبلت أعداداً كبيرة من أبناء الصحراويين وبناتهم للدراسة لديها على اعتبار أنها تعترف

بالجوازات التي تصدرها تلك الجمهورية الوهمية، وقد زادت على ذلك بأن قبلت أولئك الطلاب للدراسة فيها مجاناً، بل إنها تقدم لهم حتى الطعام مجاناً، إلى جانب السكن في مساكن الجامعة بدون أجرة.

ولم يكن هذا متيسراً لهم في دول أخرى، لأنها لا تعترف بجمهوريتهم، لذلك أقبلوا عليها وكثر عددهم حتى نقل إلينا أنه بلغ نحو ألف طالب، وأنه توجد أعداد أيضاً من الطلبة الفلسطينيين واليمانيين في جامعات كوبا، وبخاصة في جامعة هذه المدينة سانتياقو.

لذلك حرصنا على زيارة الطلبة لكونهم مسلمين، وذلك من أجل المساعدة على أمورهم الثقافية الإسلامية إن وجدنا مجالاً لذلك.

كنا حملنا عنوان الجامعة وعنوان اثنين من هؤلاء الطلبة من الإخوة الفلسطينيين في العاصمة هافانا.

ركبنا سيارة أجرة طلبنا من سائقها أن يذهب إلى جامعة (ساينسكو مدكول) أي علوم الطب.

عندما وصلنا البوابة الخارجية للجامعة طلبوا منا بطاقات الإثبات الشخصية، ولم تكن معنا إلا بطاقات الفندق فقبلوها، ثم سألوا عن الأشخاص الذين نريد الاجتماع بهم فأخبرناهم، وقد تفاهمنا معهم بصعوبة، لأنهم يتكلمون الإسبانية دون الإنكليزية.

وجاء اثنان من الإخوة العرب الصحراويين فأفهمناهما بأمرنا فقلدنا المسئولون عن بوابة الدخول الخارجية بطاقات الإذن بالدخول وهم يعلقونها في عنق الزائر، بعد أن سجلوا المعلومات اللازمة عنه.

تقدمنا اثنان من الطلاب الصحراويين إلى البوابة الداخلية التي بدت لنا مع داخل مباني مساكن الطلاب غير وجيهة، بل إنها تدل على الفقر والمسكنة، وهذا

ظاهر من كون اقتصاد كوبا كان اقتصاداً شيوعياً معتمداً على الاتحاد السوفيتي السابق الذي سقط فسقطت معه قوة أتباعه.

قلنا للأخوين: إلى أين نحن ذاهبون؟ قالا: لمرقدنا.

يريدون لمهاجع الطلبة التي هي مساكنهم.

أدخلونا غرفة واحدة واسعة فيها سرير للنوم لشخص واحد، وثلاجة صغيرة وخزانة صغيرة (كامادينو) وفرشوها ببطانية جلسنا عليها مع بعضهم ثم جاءوا من غرف أخرى ببطانيات أكثر وفرشوها واتكأوا عليها.

مع الطلبة الصحراويين في مسكنهم في الجامعة في مدينة سانتياقو

وقد اجتمع عندنا تسعة ما لبث أحدهم أن كَوَّع وهو أن يكون على هيئة المضطجع على جنبه، إلا أنه ينصب مرفقه ويضع رأسه فوق يده ليرفعه عن الأرض قليلاً.

وهذه جلسة صحراوية عرفناها في أول الأمر من الإخوة الموريتانيين والطوارق الماليين، ومدد أحدهم رجليه ونحن نحاول أخذ صورةٍ فطلبت منه أن يكف رجليه.

أخبرونا أول الأمر بأسمائهم وكلها أسماء عربية بطبيعة الحال، لأنهم من القبائل الصحراوية العربية وهي تشبه أسماء الإخوة الموريتانيين، ولاحظت أن أحدهم ذكر أن اسمه (حُمودُه) بإسكان الحاء وضم الميم مع تخفيفها وفي آخر الاسم ها، كما يسمى الإخوة المصريين بـ (حَمُودَه) ولكنهم يشددون الميم.

وكانت لهجتهم فيها غرابة علينا، ولم يغيروا الكلام بها إلا إلى الفصحى أحياناً، و ذلك لعدم اختلاطهم بطلاب آخرين من العرب.

قالوا: كلنا (نقراو) في مدرسة الطب يريدون كلية الطب وقالوا: ونتخرج دكتور أي أنهم سوف يتخرجون أطباء، وهم يسمون الدراسة (قراية) أي قراءة، وهذا هو الذي كان معروفاً عندنا في القديم.

ألقيت فيهم كلمة ضافية بالعربية طبعاً- وكلهم يفهمها لكنهم إذا تكلموا تكلموا بلهجتهم الصحراوية، قلت لهم: إننا جئنا سياحة إلى كوبا فأحببنا الاجتماع بهم لأنهم إخوان أعزة لنا.

وسألتهم عما إذا كان يوجد لهم مسجد خاص في الجامعة بإقامة الصلوات، فنفوا ذلك وذكروا أنهم يصلون في غرفهم، وأن لهم إماماً منهم يصلي بهم الصلوات كلها.

وقد حضر الإمام أثناء الحديث فذكروا أن الغرفة التي يصلون فيها تحتاج إلى فراش للصلاة وأن كل واحد منهم يحضر معه فراشه من غرفته، فأعطيتهم

مائتي دولار من أجل ذلك وقد سلمتها لهم وهم مجتمعون، ولم نجد عندهم أي شيء يمكن أن يكون مؤسسة إسلامية ينبغي التبرع لها.

وأعطيناهم شيئاً قليلاً رمزياً من المال يتغدوا أو يتعشوا به.

وذكروا ما عرفناه من غيرهم أيضاً، أنه لا يوجد مسجد في هذه المدينة المهمة، قالوا: ولا يوجد مسلم واحد من أهل البلاد الأصلاء، وذلك لكون البلاد شيوعية، ولكونهم هم غير مؤهلين أو غير مستعدين ثقافياً ليدعو غيرهم إلى الإسلام.

ويبلغ عدد الطلبة المسلمين في الجامعة حسبما ذكروه، والمقصود في جامعة سانتياقو فقط لأنه توجد أعداد من الطلبة المسلمين في جامعات هافانا.

٧٠ طالباً صحراوياً.
١٠ طلاب من اليمن.
١ طالب من فلسطين.
٣ من جمهورية غينيا كوناكري.
٢ من جمهورية موزمبيق.

قال أحد الطلبة واسمه (بصير بن مصطفى) أنا منذ ثلاث سنين أقرأ صحة يريد أنه يدرس الطب، وسوف أتخرج دكتوراً أي طبيباً، وقال: أنا منذ ١٢ سنة ما رأيت أمي، أما أبي مصطفى فإنه مات قتيلاً في الميدان.

قلت لهم جميعاً: إننا نرجو لكم وأنتم والمغاربة إخوة لنا أن تحل المشكلة قريباً حلاً جزرياً، فقالوا كلهم بصوت واحد: إننا منذ سنوات لم نر بلادنا الصحراوية وهذا صحيح، لانهم لا يملكون التذاكر التي يذهبون بها إلى بلادهم ويعودون ولو ملكوها لم يملكوا أن يدخلوا الصحراء التي بيد المغرب، إلاّ إذا أعلنوا أنهم من الصحراويين العائدين للمغرب، الذين لا يعملون على انفصالها عنه.

وقد ألحوا على وجوب أن ترسل إليهم كتب دينية بالإسبانية وترجمة معاني القرآن الكريم التي ذكروا أنهم لا يعرفون أنه توجد منها في هذه المدينة إلا نسخة واحدة عند طالب كوبي فكانوا يتداولونها بينهم إذا حصلوا ذلك.

وقد أخذنا عناوينهم لنحاول إرسال كتب دينية بالعربية والإسبانية، غلا أننا عرفنا بعد ذلك أنها لا تصل إليهم، لأن البريد الكوبي يحتجز أي كتاب ديني ولا يسلمه للمرسل إليه.

وهذا أمر عرفناه من البلدان الشيوعية الأخرى، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي المنحلّ.

وقد أكدت عليهم أن يطلبوا من إدارة الجامعة غرفة واسعة لتكون مكان اجتماع للطلبة العرب يحولونها إلى مكان صلاة إذا حضرت الصلاة مثلما وجدنا عليه الحال في الجامعات الروسية والأوكرانية، وقد ذكرت مما يتعلق بأوكرانيا من ذلك في كتاب: (خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين).

وقلت لهم: إنه لا يجوز لهم ترك صلاة الجمعة مع أن عددهم في هذه الجامعة وحدها يقارب مائة مسلم، ولكن يجب عليهم أن يحاولوا ألا يتظاهروا بعمل يخل بنظام الجامعة، فيمكن أن يفعلوا ذلك دون إخلال بنظام الجامعة.

تجولنا بعد نهاية الاجتماع في السكن الجامعي فوجدناه متخلفاً بالنسبة إلى ما نعرفه في بلادنا وحتى القواطع كلها من الخشب وطلاؤها ليس جيداً، ومع ذلك فإنه خير كثير بالنسبة لهؤلاء الطلبة الصحراويين كما تقدم.

وذكروا أن هذا السكن هو للطلبة الإفريقيين وأنهم معتبرون من الإفريقيين، قالوا: أما الطلاب الكوبيون فإن لهم أقساماً أخرى من السكن الجامعي غير هذا.

صورة تذكارية مع الطلبة الصحراويين في مساكن الجامعة في مدينة سانتياقو في كوبا

وقال أحدهم: لابد أن نفهم الكوبيين الإسلام لكن لا توجد لدينا كتب إسلامية، وقال آخر من أكبرهم سناً: المسلم هنا معرض للفتنة، وهو يشير إلى اختلاط الرجال بالنساء.

ثم ودعناهم وركبنا سيارة أجرة دفعنا أجرتها بالدولار الأمريكي لأنه لا يقبل من الأجانب أمثالنا إلا هو، ولا يقبلون منا العملة الكوبية، والأجرة إلى الفندق هي ثلاثة دولارات.

مغادرة سانتياقو:

في الثانية عشرة منتصف النهار كنا نغادر الفندق الكبير، فندق سانتياقو شاكرين لأهله حسن معاملتهم لضيوفهم، وتقديرهم لنا، وذلك مع سيارة أجرة، أجرتها خمسة دولارات، أخذت تصعد إحدى الأماكن المرتفعة المحيطة بالمدينة ذاهبة إلى المطار الذي يقع موقعاً مرتفعاً بالنسبة إلى موقع المدينة المنخفض.

والمطار لا بأس به إلا الصغر وضيق القاعة.

ركبنا في طائرة مروحية من ذوات المحركين، تشبه الطائرة التي قدمنا عليها وهي مثلها تابعة لشركة (ايرو كاريبيان) من طراز (اتر ٤٢) مثل التي قدمنا عليها أيضاً.

وكان الإعلان في الطائرة بالإسبانية ثم الإنكليزية، ومنعوا فيها التدخين طول الرحلة التي ذكروا أنها ستكون ساعتين ونصفاً.

غادرت الطائرة مطار سانتياقو في الواحدة والنصف متأخرة ٢٠ دقيقة عن الموعد المحدد لقيامها في الأصل، وهو الواحدة وعشر دقائق وهي مليئة بالركاب.

لقد تكررت رؤية تعرجات الساحل العجيبة في المنطقة، وكذلك رؤية طبيعة الأرض التي هي ليست خضراء، ولكنها مفعمة بأشجار خضر تشبه الأشجار الصحراوية الخضراء إذا كانت ريانة في وقت الربيع.

وفيها مضيفة واحدة كأمس لم أرها قدمت من الضيافة إلاّ كأساً من الشراب، ثم فنجاناً صغيراً من القهوة المفعمة بالسكر الكثيف.

العودة إلى هافانا:

هبطت الطائرة في مطار هافانا المحلي الذي أقلعنا منه إلى سانتياقو وهو غير مطار هافانا الدولي، وذلك في الثالثة والنصف بعد طيران لم يزد على ساعتين، خلاف ما ذكروه.

وجدنا في استقبالنا في المطار الأخ عبدالرحمن المحمود القطري، والأخ علي الفلسطيني، ومعهما السيارة المستأجرة التي كانت معنا بالأمس.

لم نذهب إلى الفندق وإنما ذهبنا إلى مكتب الطيران الكوبي من أجل الحجز إلى (هايتي) غداً مع عدم اطمئننا إلى أننا سنجد طيراناً مباشراً من هنا إلى (بورت أو برنس) عاصمة هايتي، ولم نجد ذلك بالفعل فاضطررنا إلى شراء تذاكر جديدة

من هافانا إلى (كانكن) وهو مطار مكسيكي يعتبر أقرب مطارات المكسيك إلى هافانا وميامي، ومن (كانكن) إلى مدينة ميامي في الولايات المتحدة ومن هناك إلى (بورت أو برنس) عاصمة هايتي.

ولم يكن في هذا مشكلة لنا إلا ضياع بعض الوقت لأننا نحمل سمات دخول متكررة أي غير محددة إلى الولايات المتحدة.

وقد حان موعد الغداء فلم نجد مطعماً نثق به إلاَّ (المطعم الغربي) في (بيت العرب) الذي تغدينا فيه من قبل، لأن مطاعمهم لا يضمن المرء فيها من ذبح الحيوان، وقد يخالطه لحم الخنزير.

وقد عدنا إلى فندقنا الذي كنا فيه من قبل وهو (فندق فيكتوريا) وكنا أودعناهم أمتعتنا الثقيلة وحجزنا عندهم غرفتين ابتداء من هذا اليوم

تمشية الشاطئ:

بقينا مع الإخوة حتى الساعة التاسعة ليلاً، وكنا طلبنا منهم أن يتصلوا بوزارة الخارجية الكوبية من أجل ترتيب اجتماع لنا بالمسئولين هناك.

وذلك أنني قلت: إنني لا يمكن أن أغادر كوبا وأنا أرى حالة المسلمين في عاصمتها بدون مسجد من دون أن نفعل شيئاً لتصحيح ذلك ولابد من مقابلة أكبر موظف نستطيع أن نقابله من الحكومة الكوبية حتى لو تيسر لنا أن نقابل رئيس البلاد (فيدل كاسترو) ونحن نعلم أننا لا نستطيع ذلك، لأننا جئنا بسمة سياحية ولم نقدم بصفتنا ممثلين للحكومة السعودية، وذلك رغم كوني أحمل جواز سفر (دبلوماسياً) سعودياً.

وقال الأخ عبدالرحمن المحمود: إنني أعرف الرجل المسئول عن إدارة البلدان العربية في وزارة الخارجية الكوبية ويسمونها (إدارة شمال إفريقيا والشرق

الأوسط) كما أعرف معرفة وثيقة مدير قسم الخليج العربي في تلك الإدارة، وهو يتكلم العربية بطلاقة وقد قدم لكتابي الذي كتبته عن كوبا، وكتب مقدمته بالعربية، وكان الأخ عبدالرحمن المحمود قد أهداني نسخة من كتابه الذي طبعه بعنوان (كوبا: عروس البحر الكاريبي).

وفي التاسعة ليلاً خرجنا في نزهة على الأقدام في شارع (الماليكون) الذي يراد به شارع الشاطئ وهو قريب من فندقنا الذي لم يكن على الشاطئ ولكنه داخل عنه جهة المدينة وشارع الشاطئ، وهو على البحر مرصوف بحجارة رصيفاً عريضاً واسعاً وهو أعلى من البحر، ومع ذلك لا يعدم من يجلس على جداره العريض من أن يصل إليه رذاذ لطيف من أمواج البحر إذا كان الموج فيه قوياً.

وجدنا الهواء فيه منعشاً لأنه بارد منعش، ليس فيه أثر للبرد المؤلم، ولذلك كان فيه بعض الناس جالسين على ظهر حائطه المرتفع المتسع.

وكان الإخوة أخبرونا أن الناس يكثرون فيه في السادسة الذي هو موعد غروب الشمس غير أننا لم نجد الفرصة في ذلك الوقت.

ولا يزال فيه بعض الناس جالسين، ورجال الشرطة موجودون أيضاً.

جلسنا على ظهر الجدار الذي يرتفع عن الرصيف مما يلي المدينة بنحو المتر، فكانت جلسة جميلة، ولاحظت أن بعض النساء الشابات تنظر إلينا وعلينا مظهر الأجانب نظراً غير معتاد من دون أن يبدو منهن شيء غير مناسب من تصرف أو كلام.

أما التصرف فإنه ظاهر، وأما الكلام فإنه باللغة الإسبانية التي لا أعرفها ولكنني اعرف شيئاً من شقيقتها البرتغالية تعلمته في البرازيل.

وقد جلست اثنتان منهن بجانبنا وقالت إحداهن: ألا تريدون مبيتاً عندنا فنحن لدينا غرفة لكل واحدة منا يمكن أن تستضيف فيها شخصاً آخر، ونظراً إلى أنه لا يعرفنا أحد، فقد أمعنا- من باب الاطلاع- في الكلام حتى عرفنا أن ذلك مخالف للقانون عندهم، ولكن الحكومة لا تدقق في هذا، وبخاصة إذا ذكرت الواحدة منهن أن الشخص الآخر ضيف عندها، وإلاّ فإن البغاء ممنوع في البلاد من الناحية الرسمية، إلا أن هذا المنع غير صارم، لأنهم يفسرون الأمور تفسيرات أخرى.

ومن الغريب أن الصغرى منهن وعمرها فيما ذكرته ثمان عشرة سنة، وفيما ترآ لي ١٦ سنة فقط عرضت عليَّ أن أبيت معها في غرفتها، وقد أبرزت مفتاحها بيدها لتشعرني بأنني لا أحتاج إلى أن أذهب بها إلى فندق قائلة بعشرين دولار تستطيع أن تبيت معي في غرفتي حتى الصباح، وقد تقززنا من ذلك، وامتنعنا عنه بل نهرناهما وقلنا لهما: إننا لو كنا نريده لبدأناها بالسؤال عنه.

يوم الأربعاء: ١٤٢٠/١٢/١٥هـ:

الاتصال بوزارة الخارجية:

كنت في غرفتي في الفندق عندما اتصل بي شخص يتكلم العربية بطلاقة، ولا يبدو عليه أنه غير عربي، بل يبدو من كلامه كما لو كان مثقفاً لبنانياً أو فلسطينياً قال: أنا (انريكي، نريكس) من وزارة الخارجية وقد اتصل بنا من الإخوة العرب عبدالرحمن المحمود وعلي.. يذكرون أنكم تودون الاجتماع بأحد المسئولين في وزارة الخارجية فهل هذا صحيح، وما هو الغرض من الاجتماع؟

فقلت له: إنه صحيح، والاجتماع سببه أننا نريد التعرف بكم، ونبحث معكم بعض الأمور التي تهمنا، وقد يهمكم أن تسمعوا رأينا فيها.

فذكر أنه يسرهم اللقاء بنا إلا أنهم لا يريدون أن يحضر معنا أحد من العرب إلى وزارة الخارجية، وقال: فيما يتعلق بالترجمة ليس هناك مشكلة فأنا كما ترى أتكلم العربية ورئيسنا مدير إدارة شمال إفريقيا والشرق الأوسط هو يعرف العربية أيضاً.

ثم اتفقنا معهم على أن يكون موعد الاجتماع هو الرابعة من عصر هذا اليوم.

في وزارة الخارجية الكويتية:

ذهبنا إليها على السيارة التي كانت معنا بالأجرة حتى وصلنا إلى مقر الوزارة فوجدنا المسئولين عندهم خبر بمجيئنا.

ووجدنا المبنى لا بأس به، ولكنه ليس كبيراً وهو أشبه ما يكون بفندق من الفنادق فليس فيه باحات ولا حدائق، أو أبهاء مكشوفة.

أخذنا موظف كان ينتظرنا إلى غرفة غير واسعة ما لبث أن دخلها في تمام الرابعة شخصان يتحدثان العربية.

أحدهما: أورلاندو ريكويهو جول مدير إدارة شمال إفريقيا والشرق الأوسط في وزارة الخارجية الكوبية.

والثاني: إنريكي أنريكس رئيس قسم شئون الخليج في الإدارة المذكورة.

أما الأول فإنه يتكلم العربية دون طلاقة، وحتى فهمه لكلامنا لم يكن كاملاً، إذْ كان يحتاج إلى ترجمة بعض الجمل والكلمات إلى الإسبانية، وأما الثاني فإنه يتكلم العربية بطلاقة ويفهمها بسرعة حتى لا يستطيع من يعرفه أن يزعم أنه غير عربي، لاسيما أنه في لون العرب.

رحب بنا الرجلان ثم سكتا فبدأت الكلام بقولي: إننا كنا في جولة في أقطار البحر الكاريبي لبعض الأمور التي تتعلق بعملنا في رابطة العالم الإسلامي وهي منظمة شعبية عالمية غير حكومية ينحصر عملها في تشجيع الثقافة الإسلامية في العالم.

وقد استقبلنا رَغم كوننا في رحلة سياحية من المسئولين في السفارة الكوبية في باريس في مطار هافانا بالترحيب والإكرام مما اقتضى منا الشكر للمسئولين عن ذلك وأن نبلغكم به الآن.

وقد صلنيا الجمعة في المسجد الذي يقع في (البيت العربي) وصلى معنا عدد جيد من المسلمين وأخبرونا أن الحكومة الكوبية هي التي خصصت الجناح الذي صلينا فيه ليكون مسجداً تصلى فيه الجمعة، غير أننا لم نر بين المصلين أحداً من الكوبيين، وقال لنا الإخوة المسلمون العرب: إن الكوبيين ممنوعون من الصلاة فيه، وأنه لا يوجد لهم مسجد يصلون فيه الجمعة، ولذلك صار المسلمون يصلون في بيت أحدهم، إلا أن ذلك كان يشق عليهم لأن صلاة المرء في بيت ليس معداً لذلك يجعله لا يطمئن في صلاته.

وهكذا كان بحيث أن بعض أهل البيوت لم يرض بتكرار صلاة الجمعة في بيته فصاروا يصلون في بيت آخر، ثم في بيت بعد بيت.

وقلت لهم: إن رابطة العالم الإسلامي دأبت على مساعدة المسلمين الذين ليس لديهم مسجد من أجل إيجاد مسجد يصلون فيه غير أن المشكلة هنا في كوبا أنه لا يوجد جمعية إسلامية رسمية يمكن أن توجه إليها المساعدات، ولا يمكن إعطاء المساعدات لأفراد قد يتصرفون فيها من دون أن يكون هناك ما يمنعهم قانوناً من ذلك.

وكان بودنا أن نساعد المسلمين على بناء مسجد وأو استئجار مكان لا تخاذه مسجداً بمعرفة من الحكومة الكوبية، لأننا لا نريد أن نعمل عملاً سرياً، لأن عملنا ليس له هدف سياسي وإنما هو القيام بالواجب الديني تجاه هؤلاء الإخوة المسلمين الكوبيين.

وقلت لهم: إن كوبا لها علاقات جيدة قديمة مع العدد الأكبر من الدول العربية ومن الدول الإسلامية، وذلك يحملنا على أن نلتمس من الحكومة الكوبية أن تسمح للمسلمين بتأليف جمعية إسلامية كوبية تكون تحت سمع الحكومة وبصرها، ولا تعمل شيئاً يخالف الأنظمة الحكومية، ولذلك نتمكن نحن من تقديم المساعدات اللازمة لإنشاء مسجد في هذه البلاد يصلي فيه المسلمون أسوة بغيرهم من المسلمين في العالم.

وقلت لهم : إني سبق أن زرت المسلمين في الاتحاد السوفيتي السابق وقت أن كان شيوعي المذهب فوجدت أن المسلمين من أهله لهم إدارات دينية تقوم على المساجد وتهيئ مسجداً في البلاد التي ليس فيها مساجد من قبل، وكذلك زرت الصين الشعبية فوجدتها رخصت رسمياً لجمعية إسلامية لها فروع في سائر أنحاء الصين.

ولما أنهيت كلامي انبرى المدير العام أورلاندو فتكلم بالإسبانية وترجم كلامه إلى العربية (انريكي) يقول: ونحن بلد اشتراكي لا مكان للجمعيات الدينية فيه، ولا يمكن لحكومتنا أن تسمح بتأليف جمعية إسلامية رسمية.

ثم سألني كم عدد المسلمين الذين ذكروا لكم أنهم موجودون في العاصمة؟ فقلت: إنهم قالوا: إن عددهم ما بين خمسمائة إلى ٦٠٠ مسلم وكلهم مسلم جديد.

فقال: نحن لا نعرف إلا ثلاثة أشخاص أو أربعة رغم أن سفير نيجيريا لدينا الأستاذ يحيى الحسن قال: إنه يوجد ألف مسلم كوبي جديد، وقال: لدينا في بلادنا (٤٩) مذهباً دينياً، ولكننا لا نعرف أهلها ولا نشغل أنفسنا بالأمور الدينية.

فقلت له: على أية حال إذا كان الأمر كما ذكرتم وأنه ليس من الممكن السماح بإنشاء جمعية إسلامية رسمية في البلاد فإننا نعرض عليكم أمراً سيكون له أثر جيد في تقوية العلاقات مع المسلمين كلهم في أنحاء العالم، وسيكون له أثر في تحسين سمعة كوبا هناك، ألا وهو أن تهدونا أرضاً في العاصمة هافانا نستطيع أن نبني عليها مسجداً نتكفل نحن بجميع نفقاته، ونطلع الحكومة الكوبية على الرسوم والمخططات اللازمة له قبل الشروع فيه، ونجعله ذا مظهر متميز مما تتميز به المساجد، بأن تكون له منارة مشرفة وقبة عربية، حتى يكون وجوده إضافة فنية إلى العاصمة الفتية، (هافانا).

وليعتبر إنشاؤه رمزاً للتعارف بين الشعوب الإسلامية الذين تمثلهم رابطة العالم الإسلامي وبين الحكومة الكوبية التي يهمها أمر العلاقات الطيبة مع المسلمين في العالم.

فسكتا طويلاً ثم قالا: إن هذا الأمر ليس من اختصاص وزارة الخارجية، ولكنه من اختصاص اللجنة المركزية للحزب، ولا يستطيع أن يبت به غيرهم، وسوف نرفع الأمر لها ثم نخبركم.

فقلت لهما: إننا سوف نكتب إليكم في بلادنا نسألكم عن ذلك إذا تأخرتم علينا في الكتابة فقالا: لا بأس.

ثم أخبرني المدير العام أورلاندو أنه سبق أن زار الرياض حاملاً رسالة من الرئيس كاسترو إلى الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود تتضمن دعوته لحضور

مؤتمر عدم الانحياز الذي من المقرر أن يعقد في كوبا بعد أيام، وأنه أعجبه ما رآه في المملكة العربية السعودية.

وذكر أنه أجرى محادثات في وزارة الخارجية السعودية مع السفير نزار مدني، مساعد وزير الخارجية.

وقد جاملنا كثيراً فقال: زيارتكم هذه المرة سياحية، ولكن ينبغي أن تكون في المرة الثانية زيارة رسمية، وإنني على استعداد الآن لأدعوك إلى زيارة رسمية لكوبا، وإذا وافقتم على ذلك فإننا سوف نضع برنامجاً منفصلاً لزيارتكم لبلادنا.

ثم قلت له: إنه إذا كانت الحكومة الكوبية لا ترغب أن تمنحنا أرضاً نقيم عليها أول مسجد في هافانا أسوة بالعواصم العالمية الأخرى التي فيها مساجد، فإننا نطمع في أن تبيع علينا بيتاً في العاصمة وتسمح لنا بتعديله بحيث يتخذ شكل المسجد، ويستعمل مسجداً بالفعل، فكرر ما قاله من أن ذلك ليس من اختصاص وزارة الخارجية وإنما هو من اختصاص اللجنة المركزية للحزب، قال: ولكن دورنا أن نبلغها بذلك ونخبركم بما تقرره.

هذا وقد استمرت المقابلة ساعة وعشر دقائق غادرنا بعدها وزارة الخارجية الكوبية وودعنا المذكوران حتى ركبنا السيارة في خارج المبنى.

مساجد البيوت:

قلت وكررت القول فيما سبق بأنه لا يوجد أي مسجد في هافانا، رغم وجود عدد من المسلمين الجدد فيها، وأن المسلمين يصلون في أحد البيوت وأنهم يفعلون ذلك متنقلين، ومع ذلك ذكروا لنا أنه حتى الجمعة المشقلة لم تبدأ إلاّ منذ سنتين.

وقد رأيت أنه لابد من مشاهدة بعض البيوت التي تصلى فيها الجمعة، بل وحتى بعض الصلوات الخمس.

انطلقنا بسيارة الأجرة إلى جنوب مدينة هافانا حيث غادرنا القسم الجيد منها الذي يقع فيه فندقنا ووقعنا في أحياء عديدة غير جيدة، ولكنها أحسن من الأحياء غير الجيدة في المدن الشيوعية، أو التي كانت شيوعية في أوروبا وآسيا.

وما زلنا نسير حتى وصلنا حي (ماريانا) ويبعد ١١ كيلومتراً من فندقنا، كل ذلك داخل هافانا نفسها التي تتصل بها الأحياء من دون أن تفصل بينها فواصل.

وصلنا إلى بيت الأخ محمد علي حسن وهو كوبي مسلم من الكوبيين الأصلاء الجدد، كان يدرس كامبيوتر ثم تقاعد وتفرغ للدعوة إلى الله متعاوناً مع جمعية الدعوة في قطر التي يمثلها الأخ عبدالرحمن المحمود هنا وجعل بيته على ضيقه مسجداً.

وصلنا إلى البيت قبل أذان المغرب بقليل فوجدنا فيه أخوين مسلمين اثنين من الكوبيين الجدد في الإسلام ووجدنا الأخ (محمد سالم علي فكو) وهو صحراوي من الصحراء الغربية، وهو طالب في هافانا ولكنه يحضر إلى هذا البيت يؤم المسلمين في الصلاة، ويعلم من حضر منهم أمور دينهم وهو تبرع بذلك وإن كان الأخ عبدالرحمن المحمود ذكر أنهم قد يعطونه أحياناً مساعدة قليلة تتمثل في عشرين دولاراً أو ٣٠ دولاراً.

ويقوم هذا الأخ الصحراوي بتدريس بعض الأطفال الذين أسلموا ويتراوح عددهم ما بين خمسة إلى عشرة أطفال.

وجدناهم يصلون في مدخل البيت الذي هو ضيق لا يزيد مكان الصلاة فيه على ٧×٣ أمتار أي مجموع مساحته ٢١ متراً مربعاً.

ومع ذلك كان منظره ساراً للنفس لأنه يدل على الصبر و المجاهدة مع الضيق على المسلمين في كل شيء، وإنْ لم يكن بهيئة مضايقات مباشرة موجهة

للمسلمين دون غيرهم فالضيق عليهم هو الضيق في العيش على الجميع وهو الضيق على المتدينين كلهم.

وذكروا أن هذا المكان يتسع لـ ٢٠ مصلياً لا يزيد على ذلك، وينقلب بعد الصلاة إلى مدرسة يدرس فيها هذا الأخ الصحراوي (محمد علي) جزاه الله خيراً.

كان وصولنا قبيل صلاة المغرب فجلسنا في المسجد، وجاء أحد الأطفال لأداء الصلاة وهو مسلم جديد أسود أسموه (يحيى) بعد إسلامه، وعمره ١٢ سنة، أسلم قبل سنتين بنفسه، ولم يسلم أبواه، ولكنهما لم يمانعا في إسلامه، فضلاً عن أن يعنفانه عليه.

ذكر لنا الأخ (محمد علي) أنه دعا والديه وأخبرهما أن ابنهما هداه الله إلى الإسلام وأنه سوف يرشده مثل غيره لأمور دينه، فوافقا على ذلك.

ثم حضر صبي آخر أبيض اسمه بعد إسلامه (أبو بكر) سنه ٨ سنين وهو جار للأخ (محمد علي) لم يعترض أهله أيضاً على إسلامه، ولا على تردده على المصلى، وقد جاء إلينا لأداء الصلاة معنا وصلينا بالفعل.

وذكروا أن عدد الأطفال الذين أسلموا وصاروا يواظبون على حضور الصلاة هو خمسة، وجلسوا معنا بحضور ثلاثة من المسلمين فسألناهم عن صلاة الجمعة، فذكروا أنهم يصلون الجمعة أيضاً في هذا البيت الذي تبرع صاحبه أو لنقل إنه أذن بأداء الصلاة فيه، رغم ضيقه، وأن عدد الذين صلوا الجمعة الماضية فيه هو ١٥ فيهم ٤ من الصحراويين، وأن هناك أكثر من بيت تصلى فيه الجمعة.

قالوا: وقد حدث أن تنازع المسلمون في البيت الذي يصلون فيه لأنهم كانوا يصلونها بالتناوب بين البيوت فتنازعوا فتقدمت امرأة مسلمة جديدة اسمها (مريم) وقالت لهم: لا تتنازعوا أنا أقدم بيتي لصلاة الجمعة بصفة مستمرة، وكانوا يتنازعون كل واحد منهم يريدها في بيته.

وهكذا كان، وقد فعلت هذه المرأة ما لا يفعله الرجال.

ولكن ذلك كله لا يغني المسلمين عن وجود المسجد بطبيعة الحال.

ويجب أن نتذكر أن هذا كله غير صلاة الجمعة التي تقام بانتظام في (البيت العربي) التي هي خاصة بالأجانب من (الدبلوماسيين) وغيرهم من الأجانب، إلا أنه لا يسمح للكوبيين بالصلاة فيه كما سبق إيضاحه.

ومع ذلك ذكروا أن الجمعة الرئيسية المتنقلة للكوبيين الأصلاء يصل العدد فيها إلى ٥٠ مصلياً، وأما العيد فإنهم صلوا عيد الأضحى منذ أيام وبلغ عدد المصلين زهاء مائتي شخص، ونوهوا بأنهم صلى معهم ١٢ مسلماً من المسلمين الجدد.

وهذا المصلى يدل على الفقر والعوز، بل إنه مثال لذلك، فليس فيه فراش، وحتى الأثاث لا يوجد إلاّ أثاث المنزل القليل، ومع ذلك أعدوه ليتخذ مظهر المسجد فرسموا على الحائط ما يشبه المحراب كتبوا عليه بالعربية (يا الله).

وكان الفراش في مكان الإمام الذي يكون في العادة سجادة صغيرة متميزة جلد خروف ليس فيه غيره.

أما المأمومون فإن الفراش كان لهم بطانيات من المنزل ومن منزل جار له مسلم.

وكان البعوض يحوم بكثافة في المكان مثل باقي حي(ماريانا) وهو بعوض ليس له أثر في الحي الراقي الذي يقع فيه فندقنا.

أمنا لصلاة المغرب الأخ الصحراوي (محمد علي) كانت صلاته خاشعة نسأل الله تعالى أن يقبلها، إلا أنها مليئة بالأسى على حالة المسلمين الجدد الذين كان بإمكاننا نحن وأمثالنا أن نحسن منها غير أن الظروف السياسية والإدارية في هذه البلاد لا تساعد على ذلك، بل إنها تقف حجر عثرة دون ذلك.

وقد أعلنا تبرعنا لهم بعد الصلاة بمائة دولار يفرش بها المصلى بالبساط الموحد وهو الموكيت وشراء مصابيح (لمبات) كهربائية لأننا لاحظنا أنه لا يضئ فيه إلا واحدة وإن اثنتين قد احترقتا.

وأعطيناهم المائة دولار، وبإمكاننا أن ندفع أكثر منها أضعافاً مضاعفة، ولكن كيف؟ ولم؟

إننا لا نريد أن نفتح باباً للطمع يصعب سده، إلا أننا أعطينا صاحب المنزل شيئاً قليلاً مكافأة على سماحه بالصلاة في بيته.

وبعد عملية حسابية ذكروا أنه يتبقى من هذه المائة دولار شيء استفسروا منا عن مصيره، فقلت: اشتروا به مصابيح كهربائية إذا احترق ما عندكم منها.

ثم ودعناهم آسفين على حالتهم وإن كنا مسرورين لمجرد وجودهم ووجود مصلى، وبخاصة أن إخواننا الصحراويين وكلهم طلاب في الجامعة في هافانا يساعدونهم على المعرفة بأمور دينهم.

وعدنا مع الشوارع المزفتة إلا أن الزفت فيها خشن مما يجعل السير عليها غير مرن، والمؤذي أكثر في هذه الشوارع هو درجة تلوث الهواء من السيارات المهترئة والحافلات الكبيرة التي تنفث الدخان.

ومع ذلك لاحظنا أن الشعب كله نظيف المظهر من الثياب وحتى مظاهر الأبدان فإنها نظيفة ولا يبين عليها نقص في التغذية أو بؤس كبؤس الفقراء في البلدان الفقيرة.

ولاشك في أن سبب ذلك أن المواد الغذائية الرئيسية من الأرز والفاصوليا الكبيرة وحتى من الخبز متوفرة بمقادير كافية لكل فرد، وبأثمان رخيصة، بل رمزية، لأن الدولة الشيوعية تتكفل بذلك في العادة على اعتبار أنها هي المهيمنة على اقتصاد البلاد كله، وهي التي تتصرف في الموارد منها حسبما تراه.

يوم الأربعاء:١٦/١٢/١٤٢٠هـ- ٢٢/٣/٢٠٠٠م:

مغادرة كوبا:

غادرنا هافانا في التاسعة من صباح هذا اليوم قاصدين مطار مدينة (كانكن) المكسيكية لنطير منه إلى ميامي ثم (بورت اويرنس) عاصمة هايتي وللحديث عن ذلك مكان في كتاب (غايتي من السفر إلى هايتي) ولله الحمد.

خاتمة:

تتضمن ملخصاً لما قام به وفدنا، وفد رابطة العالم الإسلامي إلى كوبا مجرداً عن الحديث في السياحة.

فقد قام وفد رابطة العالم الإسلامي المؤلف مني ومن الأخ الأستاذ رحمة الله عناية الله مدير مكتب الأمين العام برابطة العالم الإسلامي بزيارة عمل واستطلاع لأحوال المسلمين ومشاريعهم في كوبا فيما بين ١٠ -١٤ ذي الحجة عام ١٤٢٠هـ وتتضمن :

١- هافانا:

هافانا ويلفظها الكوبيون ويكتبونها هابانا (Habana) تقع على الساحل الشمالي في المنطقة الغربية لجمهورية كوبا، وقد أقيمت باسم لا فيلا دي سان كريستوبال دي لا هابانا (la Villa de San Cristobal de la Habana) في عام ١٥١٥م، ويشكل حالياً ذلك الجزء القديم الذي لا يزال يضم القلاع الثلاث وهي مورو (Morro) وكابا (Cabaa) وكاستيلو دي لافويرزا (Castuki de la Fuerza) هي أقدم قلعة موجودة في أمريكا كلها، وكذلك كنيسة كريستو (Cristo Church) التي أعيد بناؤها في عام ١٦٣٨م، وقد أصبحت هافانا عاصمة كوبا في عام ١٦٠٧م، ويقدر عدد سكان هافانا بنحو ٢,٥ مليون نسمة بموجب تقديرات عام ١٩٩٨م.

وفي هذه العاصمة توجد السفارات ومنها سفارات الدول الإسلامية: أفغانستان- الجزائر- لبنان- سوريا- مصر- تركيا- إيران- العراق- نيجريا- اليمن- جمهورية الصحراء العربية الديمقراطية- إندونيسيا- ماليزيا، وكذلك مقر الاتحاد العربي الكوبي والمتحف العربي، أو كما يسمونه بيت العرب الذي زاره وفد الرابطة وفي الغرفة المخصصة أدى صلاة الجمعة في يوم ١١ ذي الحجة ١٤٢٠هـ وكان الخطيب والإمام هو الأستاذ وسام محمد الضلاعين من الأردن، وقد حضر صلاة الجمعة نحو ثلاثين شخصاً هم من موظفي سفارات ليبيا ومصر وإندونيسيا وماليزيا ونيجيريا، وبعض الطلاب من الأردن ولاجئين من العراق وسائح من تركيا.

والغرفة التي جعلت مصلى تقع في الدور الثاني يعني في الدور الذي يلي الأرضي، ومساحتها ١٠/٤ متراً مفروشة بسجاد ومنبر خشبي صغير، يقال إنها خصصت للمصلين بجهود الأستاذ يحيى الحسن السفير النيجيري السابق، وبمساهمة مالية من جمعية قطر الخيرية، ولكن هذا المصلى مخصص للمسلمين الأجانب ولا يسمح للمسلمين الكوبيين بالدخول والصلاة فيه.

والمسلمون الكوبيون لا يعرف عددهم وخاصة الذين يرجعون إلى أصول إسلامية عريقة، والذين منهم العرب المسلمون الأعضاء في الاتحاد العربي، ولكن يتضح أن الكوبيين الذين شرح الله صدورهم للإسلام حديثاً يصل عددهم إلى مأتي شخص، وبالإضافة إلى موظفي السفارات الإسلامية والطلاب المسلمين يمكن أن يصل عدد المسلمين إلى ألف شخص.

والمسلمون الكوبيون يؤدون الصلاة في مساكنهم ويجتمعون في بيت أحدهم لأداء صلاة الجمعة أسبوعياً، وقد قام وفد الرابطة بزيارة لمنزل محمد علي حسن في شارع A٣٥ في حي مرياناو (Mrianao) الذي يبعد عن وسط مدينة كوبا بنحو عشرة كيلومترات.

ومحمد علي حسن هو مسلم كوبي جديد، وقد تم تخصيص الغرفة الرئيسية ومساحتها ٣×٦ من مسكنه لإقامة الصلاة وتعليم الأحكام الإسلامية، وقد أدى وفد الرابطة صلاة المغرب مع الإخوة المسلمين، وكان عددهم تسعة أشخاص، ويفيد الأستاذ عبدالرحمن المحمود مندوب جمعية قطر الخيرية الذي يرعى هذه المصليات بالدعم المادي والمعنوي أن عدد المسلمين الذين يترددون إلى هذا المصلى نحو ١٥ شخصاً، والأستاذ محمد سالم علي فكو من الطلاب الصحراويين يعلم المسلمين مبادئ الإسلام وقراءة القرآن الكريم في هذا المصلى.

وقد تحدث الأستاذ عبدالرحمن المحمود عن المساعدات التي قدمتها جمعية قطر الخيرية للأعمال الإسلامية، منها مساعدات مالية لتأثيث المصلى في بيت العرب، وكذلك مساعدات مالية لتنظيم إفطار صائم وتنفيذ برامج الأضاحي وتقديم اللحوم إلى المسلمين وغيرهم وتقديم الفرش والأثاث إلى الغرف التي خصصها المسلمون من منازلهم لأداء الصلاة، كما تحدث عن المحاولات التي جرت مع حكومة كوبا لتأسيس جمعية إسلامية تتولى إنشاء مسجد في هافانا وعن المشكلات التي تصادف العمل الإسلامي ومنها النشاط الباطني.

وقد انتهز وفد الرابطة فرصة وجوده في هافانا للاجتماع بالمسئولين الكوبيين لبحث موضوع بناء مسجد في هافانا، وفي ظهر يوم الثلاثاء ١٤ ذي الحجة ١٤٢٠هـ في مقر وزارة الخارجية الكوبية اجتمع وفد الرابطة برئاسة الشيخ محمد بن ناصر العبودي إلى السفير أورلاندو ريكويو جوال (Orlando Requeijo Gual) مدير دائرة شمال إفريقيا والشرق الأوسط والأستاذ انريكي انريكس (Henriqi Henrex) رئيس دائرة الخليج العربية في وزارة الخارجية الكوبية، وبعد تبادل كلمات الترحيب، تحدث رئيس وفد الرابطة: نحن من رابطة العالم الإسلامي وهي هيئة إسلامية شعبية عالمية مقرها مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية، ونحمل جوازات سفر سعودية، ولكننا لسنا وفداً رسمياً من الحكومة السعودية، كما أننا لا

نعمل في وزارة الخارجية السعودية، وقد جئنا في زيارة لكوبا وصلينا صلاة الجمعة في بيت العرب، وصلى معنا نحو ثلاثين شخصاً من جنسيات مختلفة وبعضهم من سفارات ليبيا ومصر وإندونيسيا ونيجيريا.

وقد علمنا من المصلين بأن مصلى بيت العرب هو هدية من حكومة كوبا، تتحمل نفقات الماء والكهرباء، فرغبنا في السلام عليكم ثم أن نشكر حكومة كوبا على تخصيص هذا المكان لصلاة المسلمين كما أردنا أن نعرب عن تقديرنا على ما لاقيناه من الحفاوة، وربما لا توجد علاقة بين الحكومة السعودية وكوبا، ولكن لحكومة كوبا علاقات قوية مع العرب وبخاصة منظمة التحرير الفلسطينية.

وكان عشرة آلاف من الطلاب العرب يدرسون في المعاهد والجامعات مجاناً مما يدل على أن موقف حكومة كوبا ومواقف الرئيس فيدل كاسترو هي مواقف صداقة ومودة مع العرب، وهم يمثلون قلب الأمة الإسلامية، وقد بحثنا عن إخواننا المسلمين الكوبيين ولكن لم نجد أحداً منهم، وعلمنا أنهم يصلون في مكان آخر، ولا يسمح لهم بالصلاة في مصلى بيت العرب بدعوى أنه مخصص للأجانب، مع أن الدين لا يفرق بين مواطن وأجنبي، ونحن باسم رابطة العالم الإسلامي التي نمثلها نعرض عليكم استعدادها في التعاون مع الجهات المسئولة في حكومة كوبا للمساعدة في بناء مسجد في هافانا، سيكون معلماً من معالم التعاون الثقافي بين الشعوب المسلمة وحكومة كوبا وشاهداً على التسامح الديني وتعدد الثقافات في كوبا، وقد تحدثنا إلى بعض الإخوة المسلمين فهم يحتاجون إلى تشكيل جمعية إسلامية تتولى الاتصالات والإشراف على العمل الإسلامي كما هو في الصين الشعبية، حيث تتولى الجمعية الإسلامية الصينية برعاية حكومة الصين العمل الإسلامي والإشراف على آلاف المساجد في الصين، وفي الاتحاد السوفيتي السابق كما تعلمون وجدت أربع إدارات دينية إسلامية لممارسة العمل الإسلامي تحت إشراف الدولة السوفيتية.

ونأمل أن تساعد حكومة كوبا المسلمين على تشكيل جمعية إسلامية رسمية تستطيع الرابطة التعاون معها في إيجاد مسجد في هافانا وبخاصة أن الرابطة لا تتعامل إلا مع الهيئات الرسمية التي تعترف بها الدولة نفسها.

وقد أجاب السفير أورلاندو جوال بالشكر على زيارة وفد الرابطة ورغبته في الالتقاء بهم وعرض اهتماماتهم على المسئولين الكوبيين ثم قال: كما أشرتم في حديثكم أن علاقات كوبا مع الدول لعربية والإسلامية هي علاقات قديمة ومتينة، وهناك كوبيون من أصول عربية ولعلكم زرتم الاتحاد العربي الذي يعتبر وجوده شاهداً على العلاقات الوطيدة مع الدول العربية، وبمناسبة انعقاد مؤتمر مجموعة ٧٧ الدولية القادم في كوبا في شهر أبريل ٢٠٠٠م فإن كل الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي ستشارك في هذا الاجتماع، ومن المؤكد مشاركة بعض رؤساء ووزراء خارجية الدول الإسلامية، وقد تلقينا تأكيدات كثيرة للمشاركة حتى اليوم.

وفي هذا السياق فقد زرت مبعوثاً شخصياً لحكومة كوبا مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية في العام الماضي وفي مقر وزارة الخارجية بالرياض التقيت بالأستاذ نزار مدني وكيل وزارة الخارجية السعودية، وكانت الاجتماعات ناجحة واتفقنا على متابعة المحادثة في هافانا، وهناك إمكانيات جيدة وعديدة لتوثيق التعاون بين البلدين، وقد زرتم سانتياغو وبيت العرب الذي يعتبر أقدم بيت في هافانا إذْ يعود تاريخه إلى ٣٥٠ عاماً، وقد تم فتح هذا المتحف العربي قبل عشرين عاماً تقريباً، وحضر الافتتاح الرئيس فيدل كاسترو، وأما المصلى فقد تم فتحه منذ ١٥ عاماً، وهذا البيت العربي هو معلم ثقافي لإبراز التقاليد والثقافة الإسلامية في التشكيل الداخلي للمنزل والمسجد، ويحظى هذا البيت العربي بالاهتمام مع تزايد السياح القادمين إلى هافانا ومنهم بالطبع مسلمون ونتوق أن يصل عدد السياح لأكثر من مليوني نسمة.

وحكومة كوبا لا تتدخل في الشئون الدينية فالانتماء الديني يعود إلى النـــاس، وهناك ٥٢ ديناً مسجلاً في الجهات الرسمية، ولا نفكر في إنشاء مسجد آخـــر لأن هذا يعود إلى المسلمين الكوبيين أنفسهم ولا توجد جمعية إسلامية مـــسجلة، ويبـــدو أنهم لا يرغبون ذلك لأن أعداد المسلمين قليلة، وهم يمارسون نشاطاً دينياً للاستفادة المادية من الجهات التي بدأت تتسلل إلى كوبا مؤخراً.

ولا توجد إحصائية لعدد المسلمين أو المسيحيين لأن هذا التصنيف القائم على الدين غير معمول به في كوبا والبطاقة التي يحملها الكوبي لا يوجد فيها ما يـــشير إلى ديانته، وربما يقال: إن هناك ألفين أو ألف مسلم كوبي، إذا كنتم قد التقيتم بسفير إيران، ونحن نقدر الدين الإسلامي وعلاقاتنا مع الدول الإسلامية جيـــدة، كمـــا أن الحرية الدينية مكفولة لجميع الأشخاص.

وفي كوبا أكثر من ٤٥ جمعية مسيحية تمارس نشاطاتها واجتماعاتها رسمية ولا تزال الجهات الرسمية تتلقى المزيد من طلبات التسجيل، ولا يوجد مـــا يمنـــع تسجيل أي جمعية دينية إذا تقدم أتباعها بطلب التسجيل، ولكـــن خـــلال الـــسنوات العشرين الماضية لم نسمع إلا بوجود سبعة أو ثمانية مسلمين كوبيين.

وخلال الأزمة الاقتصادية التي حدثت مؤخراً في كوبا تقدم الكثيـــرون إلـــى بعض السفارات بطلب المساعدة أو بطلب الهجرة أو الدراسة في الخارج، ومـــنهم من سافر إلى فلوريدا، ومنهم من سافر إلى بعض الدول الإسلامية، ولكن لم يعـــد أحد منهم حتى الآن لأن رغبة أكثرهم كانت الهجرة إلى أمريكا، وهؤلاء القلة هـــم منافقون لأن هدفهم هو اغتنام الفرص لاكتساب المنافع الخاصة وهذا يؤلمنا، ونعلم أن بعض الكوبيين يزورون بيت العرب وكان السفير النيجيري السابق يقـــدم لهـــم المال والملابس، وبهذه الوسيلة أصبح الفقراء مسلمين، ورأينا أن بعـــضهم أيـــضاً يذهب إلى المعابد اليهودية والكنائس أيام الآحاد لأخذ المساعدة، وحكومة كوبا ليست

دينية ولا تشجع الدين، ولكن الغرفة في بيت العرب بقيت مفتوحة بسبب الثقافة، وليس هذا تشجيعاً على الدين، وعندما يوجد مجتمع كوبي مسلم ويعمل على تأسيس جمعية إسلامية يمكن أن ينظر في إنشاء مسجد في كوبا.

المواضيع الدينية ليست من شأن وزارة الخارجية، وإنما هناك دائرة خاصة بالشئون الدينية تتبع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكوبي، ونقترح عليكم الاتصال بهذه الدائرة وتقديم طلب لزيارة رسمية بواسطة إحدى سفارات كوبا في الدول العربية، والعلاقات مفتوحة مع المملكة العربية السعودية، وهناك عوامل مشتركة واهتمام كبير على تأسيس الاتصال بين الطرفين، ويمكن بسهولة أن يتم ترتيب الزيارة الرسمية المطلوبة المقترحة، واختتم حديثه بالشكر على الزيارة وتبادل الأفكار.

وعقبت على حديثه بقولي: سررنا أن كانت زيارتكم لبلادنا ناجحة ولمسنا أن الشعب الكوبي ودود ويحب العرب، ونأمل أن تكون زيارتنا الثانية كما اقترحتم قريبة ومحققة لأهدافها بمساعدتكم، ولكن نحب أن ننوه لمساعدتكم إذا كان تشكيل جمعية إسلامية غير ممكن في الوقت الحاضر، ولكن يمكن أن تبحث الرابطة مع المسئولين المساهمة في تأسيس مسجد إذا رأت حكومة كوبا منحها منزلاً أو أرضاً لهذا الغرض، ونأمل أن تنقل هذه الرغبة إلى الجهات المسئولة، وسيكون معلماً من معالم تنوع الثقافات يتردد إليه المسلمون السياح الذين كما أشرتم أنهم يتزايدون يوماً بعد يوم.

ثم أنهى حديثه بالشكر على هذا اللقاء.

٢- بلايا دل سوروا (Playas de Sur- Soroa):

قرية ساحلية تقع على الساحل الجنوبي وتبعد عن هافانا بنحو ٨٦ كيلومتراً، يوجد فيها مجموعة من المسلمين الكوبيين الجدد، فقد أسلم أول شخص منهم في عام ١٩٩٥م، ثم تزايد عددهم حتى بلغ ٦٠ شخصاً من الكبار والصغار وخصصت

جمعية قطر الخيرية بواسطة مندوبها الأستاذ عبدالرحمن المحمود داعية لهم وهو الشيخ حنيف الإسلام وهو من هايتي أسلم في أمريكا عام ١٩٨١م، وهؤلاء المسلمون متحابون متفقون واجتماعيون بالرغم أهم فقراء، وقد تنازلت الأخت المسلمة (يسيرة ليساندرا سالينا) بمنزلها ليكون مسجداً، وهذا المنزل مكون من دور أرضي يضم ثلاث غرف وقد تبرع وفد الرابطة بمبلغ خمسمائة دولار لتأمين الفرش وبناء منارة له، وطلب المسلمون أن يسمى هذا المسجد وهو أول مسجد هناك باسم مسجد الرابطة.

كما صلى وفد الرابطة مع جماعة المسلمين صلاتي الظهر والعصر، كذلك قام رئيس الوفد بعقد قران الأزواج المسلمين الجدد بطلب منهم، على أن يكون زواجهم قائماً على السنة المطهرة بعد إسلامهم، كما تبرعت (موريتانيو ايلانو) وهي امرأة مسيحية بمنزلها للمسلمين للاستفادة منه، لأن حكومة كوبا تعمل على نقل المساكن الشعبية الخاصة بالصيادين والمزارعين من الساحل إلى مكان آخر، وذلك لإقامة مشروع سياحي في المنطقة.

٣- سانتياغو دي كوبا (Santiago de Cuba):

ثانية مدن كوبا تقع في الطرف الشرقي لجزيرة كوبا، وتبعد عن هافانا بنحو ٩٤٤ كيلومتراً وهي إحدى المدن التي بناها (ديغو فلازكز) (Diergo Velazquez) على مصب نهر بارداس (Rio Paradas) في عام ١٥١٥م، ثم نقلت إلى موقعها الحالي بين الهضاب والأحراش في عام١٥١٦م، وغدت عاصمة لكوبا حتى عام ١٥٥٣م، ثم عاصمة لمقاطعة أورينت (Oriente) حتى عام ١٩٧٦م، وكانت في البداية ميناء لتجميع العبيد كما أنها عرفت بأنها مدينة الأبطال، فقد كانت مقراً لثورة الكوبيان التي قادها الجنرال انطونيو ماسيو (Gen. Antonio Maceo) في القرن التاسع عشر الميلادي كما كانت منطقة الثورة الكوبية التي قادها الدكتور فيدل كاسترو، وهي تزخر بالآثار التاريخية والفنية ويقدر عدد سكانها بنحو نصف مليون نسمة.

تؤكد الشواهد والاتصالات كما تشير سجلات فرع الاتحاد العربي الكوبي في سانتياغو دي كوبا على وجود المسلمين القدماء في هذه المدينة الإستراتيجية، ولكن مع الأسف الشديد لا يوجد مسجد، فالطلاب الصحراويون الذين التقى بهم وفد الرابطة يؤدون كما يقولون الصلاة في غرفهم الخاصة في سكن الطلاب بالكليات التي يدرسون فيها، وقد اجتمع وفد الرابطة إلى مجموعة منهم في كلية الطب التابعة لوزارة الصحة الكوبية واطلع على أحوالهم وهم يحتاجون إلى المصاحف والكتب الدينية ويؤدون صلاتهم في غرفهم، ويبلغ عدد الطلاب المسلمين في سانتياغو دي كوبا ٧٠ طالباً من الصحراء الغربية وعشرة من اليمن وثلاثة أو خمسة من إفريقيا.

التوصيات

١- إرسال داعية أو اثنين إلى كل من هافانا وسانتياغو دي كوبا من خريجي الجامعة الإسلامية وممن يجيدون اللغة الإسبانية يعمل على توعية المسلمين بتعاليم دينهم ويثير الحس الديني في المسلمين المنصهرين في المجتمع الكوبي، ويعمل على تشكيل الشخصية الإسلامية في كوبا.

٢- تخصيص ثلاث منح دراسية لأبناء المسلمين أو من شباب المسلمين الجدد لدراسة العلوم الإسلامية واللغة العربية في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

٣- الاتصال بالندوة العالمية للشباب الإسلامي بطلب إقامة مخيم شباب إسلامي للمسلمين الجدد والطلاب المسلمين الدارسين في كوبا وبخاصة أن أكثرهم لديهم ثقافة دينية ضئيلة بحكم إقامتهم في مجتمع غير مسلم لا تتوفر فيه وسائل التعليم أو الثقافة الإسلامية.

٤- تزويد المسلمين المحليين والوافدين بالمصاحف والكتب الإسلامية باللغتين الإسبانية والعربية، وترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإسبانية، وذلك بالتنسيق مع الأستاذ أحمد الصيفي في البرازيل، ومكتب الرابطة في أمريكا.

٥- استمرار دعم المسلمين الجدد ومصلياتهم مادياً ومعنوياً وتزويدهم بما يحتاجون إليه من خلال مندوب جمعية قطر الخيرية أو بالزيارة الميدانية لهم والاطلاع على أحوالهم، وقطع الطريق على النشاط الباطني الذي يحاول الاندساس بينهم وتشكيل نواة له.

٦- الاتصال بحكومة كوبا عملاً بتوصية مدير دائرة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا مباشرة بواسطة سفارتها في دولة قطر بطلب السماح ببناء مسجد أو مركز إسلامي في كوبا أو عن طريق منظمة المؤتمر الإسلامي بطلب الإيعاز إلى إحدى الدول الإسلامية التي لها علاقات دبلوماسية بطلب ذلك.

الفهرس

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف ٥
مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات ١٤
المقدمة ١٧
الموقع الجغرافي ٢٠
الزراعة والنبات ٢١
المعادن والصناعة ٢١
الاقتصاد ٢٢
حكومة كوبا ٢٥
الكنيسة وضعف الوازع الديني ٢٦
التاريخ ٢٧
الإسلام والمسلمون ٣٠
يوميات الرحلة ٣٧
من الرياض إلى جدة ٣٩
من جدة إلى باريس ٤٣
في باريس ٤٥
مدينة النور ٤٦
مجاملة غير منتظرة ٤٩
السمة الكوبية ٥٠
عيد باريس ٥١
العودة إلى ذكر الصلاة ٥٨
السلام على الإمام ٦٤
مغادرة باريس ٦٦
من باريس إلى هافانا ٦٨

الهبوط في مطار هافانا ٧١
كانوا ينتظروننا ٧٤
صباح هافانا ٧٨
نظرة أولى ٨١
جمعة كوبا ٨٤
ممنوع صلاة الكوبيين ٨٦
وماذا عن المسلمين الجدد ٨٨
إلى صلاة الجمعة ٩٠
صلاة الجمعة ٩٥
المطعم العربي ٩٧
أهم ميدان قديم ١٠٠
جلسة عربية ١٠٢
إلى أعماق الريف الكوبي ١٠٣
الوجه المشرق ١٠٥
ينتظرون الجمل ١٠٨
بعد الوقت الضائع ١٠٩
نظام كاسترو ١١١
حزب الأقلية ١١٣
العودة إلى المشاهدات ١١٥
من هافانا إلى بلايا دول روساريو ١١٦
هافانا الشرقية ١١٧
الريف الهافاني ١١٩
الحامل بالسرطان ١٢٠
وحتى ذبح البقر ١٢١
مدينة غوينس ١٢٤
في مدينة غوينس ١٢٦

كثرة الدراجات ١٢٩
مغادرة غوينس ١٢٩
بلدة بلايا دي روساريو ١٣١
المسلمون وغيرهم ١٣٤
المسجد الذي تبرعت به امرأة ١٣٩
تبرع الرابطة ١٤١
الصلاة الحافلة ١٤٣
تجديد عقود الزواج ١٤٦
وإسلام امرأة ١٤٧
والغداء الحافل ١٤٧
المسلمون في بلايا دي روساريو ١٤٩
مغادرة بلايادي روساريو ١٥٢
العودة إلى هافانا ١٥٣
إلى النقوش العربية ١٥٥
إلى مدينة سانت ياقو ١٦٠
من هافانا إلى سانت ياقو دي كوبا ١٦٨
الهبوط في سانت ياقو ١٧١
الجديرة بالجمال ١٧٤
جولة في مدينة سانتياقو ١٧٨
تل سوانغ وانغ ١٧٩
تاريخ سانتياقو ١٨٠
تل سان جوان ١٨٣
ثم نصب الجندي الكوبي المجهول ١٨٣
منطقة الأثرياء ١٨٥
جامعة سانتياقو ١٨٦
ميدان الثورة ١٨٦

حكم الأقلية ١٨٨
وكلام كاسترو ١٨٩
حي جديد ١٩٠
المقبرة التاريخية ١٩٠
متحف الثورة ١٩٢
المدينة الاستعمارية ١٩٥
أول فندق ١٩٧
العربي الذي لا يريد أن يتكلم ١٩٨
مع الطلبة الصحراويين ٢٠١
مغادرة سانتياقو ٢٠٧
العودة إلى هافانا ٢٠٨
تمشية الشاطئ ٢٠٩
الاتصال بوزارة الخارجية ٢١٢
وزارة الخارجية الكوبية ٢١٢
مسجد البيوت ٢١٦
مغادرة كوبا ٢٢١
خاتمة ٢٢١
هافانا ٢٢١
بلايا دل روساريو ٢٢٧
سانتياغو دي كوبا ٢٢٨
التوصيات ٢٣٠
الفهرس ٢٣١

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون، ٢٣١٦٦٥٣ - فاكس، ٢٣١٦٨٦٦
E-mail: narjlscpp@yahoo.com

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

دار الثلوثية للنشر والتوزيع
١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

BN 9786039040040